ساحر الكتب

وهج النفس

أسامة المسلم

وهج البنفسج ٢

الروائي

أسامة المسلم

@OsamahAlmuslim

@OsamhAlmuslim

/osmontage

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

همسة قبل أن نبدأ..

نتيه الكثير من الخطوات المتجهة نحو السعادة كهدف..

في حين يمشي ملكًا من يصنع سعادته في كل خطوة..

فالمتعلقون على أطراف الأمل والباحثون باستماتة عن أسبابٍ تجعلهم أكثر تعلقًا بالحياة هم في الغالب واهمون.. نعم واهمون.. مع وعي خفيٍّ يخبرهم مع كل لحظة أملٍ أنَّ مرادهم مستحيل.. وذلك بمجرد أن يجدوا أمامهم أولئك السعداء بالفطرة والذين تعلقت بهم الحياة واستماتت هي في البحث عنهم.. فبهجتهم نبعٌ أصيلٌ وجزيلُ عطائهم لا ينضب.

والسؤال الذي يجول دائمًا في عقولنا هو: هل للسعادة أسباب؟

وإن كان فهل تؤخذ عنوة أم تُمنَح حظوة؟

أم أنها مسببات يفتعلها الفرد ليكون بذاته سعيدًا دون خضوعه لسطوة تعكر مزاجه أو لتقلبات الجو غير المتوقعة؟

اكتشفت بعد سنوات أن السعادة والراحة المتأتية منها ليست غنيمة نغنمها بعد بحث طويل، بل محصول نحصده بعد عمل وانتظار أطول..

لو كان حبُّك كلمة . . لقلتها

لو كان تضحيةً . . لقدَّمتُها

لكنّه حلمٌ.. أخشى الاستيقاظ منه

تحت شجرة التوت

أشرقت شمس الصباح على سوق قرية صغيرة متواضعة، وبدأت العربات المحملة بمنتجات المزارع القريبة من فاكهة وخضار بالانتشار فيه بالإضافة لبعض الدكاكين التي فتحت أبوابها لعرض اللحوم والدواجن والمنتجات الحيوانية الطازجة وبعض البضائع المختلفة الأخرى من إنتاج أهل القرية. خباز القرية هو أول من بدأ نشاطه قبل بزوغ الشمس، تبعه البقية تباعًا حتى دبّت الحياة في السوق بأكمله واكتظّ بالمتسوقين، لم يكن جميع روّاد السوق من أهل القرية فقد كان أهالي القرى المجاورة يأتون إليه لأنه الأشهر في المنطقة بسبب ما يعرض فيه من منتجات تعدُّ الأجودَ والأرخص مقارنة بغيره.

المدنية الحديثة لم تُلوِّث تلك القرية لذا بقي أهلها على فطرتهم النقية في تعامل بعضهم مع بعض ومع من يزورهم من خارجها سواء للعمل أو التسوق، أو حتى للاستجمام والسياحة التي كانت إلى حدٍّ ما نشطة في القرية خاصة بعد افتتاح نُزُل في قمة هضبة قريبة منها استقبل السيّاح ووفر لهم مكانًا ملائمًا للإقامة.

في أوج نشاط السوق ذلك الصباح تجوّل شاب في مقتبل العشرين من أهالي القرية بين المحلات والدكاكين.. رحب به صاحب كل محلّ مر به لأنه كان معروفًا ومحبوبًا لدى أهالي القرية.. توقف الشاب عند بائع البوظة وقال باسمًا: «كيف حالك اليوم يا عم؟»

بادله بائع البوظة الابتسام وبنبرة مرحّبة قال: أنت لا تتأخر عن بوظتك اليومية أبدًا!

(الشاب) واضعًا كفَّه خلف رأسه ضاحكًا: لا أستطيع مقاومتها وخصوصًا تلك التي من صنع يديك.

(بائع البوظة) وهو يغرف من علبة حديدية مطمورة في وسط الثلج: وهل هناك أحدٌ غيري يصنعها في قريتنا؟

(الشاب): حتى وإن حاول غيرك فأنا واثق من أنه لا أحدَ سيجيد إعدادها مثلك في المنطقة بأسرها.

مدَّ البائع للشاب كرة البوظة البيضاء المقلّمة باللون الزهري الغامق بعد ما وضعها في إناءٍ خشبي وغرس في قلبها ملعقة معدنية صغيرة قائلًا:

«لا تجزم قبل أن تجرّب.. أنت حتى لم تجرّب النكهات الأخرى التي أعدّها.. تكتفي ببوظة التوت فقط»

بدأ الشاب بتناول البوظة قائلًا: أنا مكتفٍ بالسعادة التي بين يديّ فلمَ أبحث عن شيءٍ آخر؟

تحدث صوت أنثوي من خلف الشاب وخاطبه قائلًا: «لأن الحياة تحمل أشياء أكثر جمالًا من بوظة التوت..»

التفت الشاب لمصدر الصوت وقليل من البوظة الذائبة قد سال من جانبَيْ شفتيه ورأى سيدةً في الثلاثين من العمر تقريبًا تتبسم له، ولفت انتباهه شعرها الأسود الطويل المُسدَل الذي تجاوز في طوله خاصرتها. عيناها تلونتا بلون العسل، واسعتان مكتحلتان ناعستان. سارت السيدة بخطواتٍ متغنّجة وهي تقترب منه بابتسامة عريضة، علم الشاب أنها لم تكن من أهل القرية فلباسها وهيئتها لم يوحيا بذلك بالإضافة إلى أن معظم أهالي تلك القرية الصغيرة يعرف بعضهم بعضًا جيدًا ويمكنهم تحديد الغرباء بسهولة، أعاد الشاب نظره للأمام واستأنف تناول البوظة بخجل وعلى عجالة وكأنه يريد الانتهاء بسرعة كي يرحل قبل أن تصل إليه. لم يلحق الشاب إنهاء

بوظته فقد وقفت السيدة بجواره وهو لايزال منهمكًا في تناولها وأخذت تحدِّق به باسمة وتراقبه بصمت وتتأمله وهو يتناول البوظة بتوتر، فقال البائع لها: «هل تريدين بعض البوظة الطازجة يا سيدتي؟»

(السيدة) دون أن تحيد بنظرها عن الشاب أو تذبل ابتسامتها: «لا.. سأكتفي بالمشاهدة فقط..»

لم يكمل الشاب محتوى الإناء الخشبي الصغير ومدَّ ما تبقى من البوظة الذائبة جزئيًا للبائع وهو يقول بتوتر وعجلة للرحيل: «شكرًا يا عمي...!»

أخذ البائع الإناء وقال مستغربًا: ما بك؟ أنت لم تنهها! ألم تعجبك؟

مسح الشاب فمه بكمِّه وقال قبل أن يهمَّ بالرحيل: بلى بلى لكني تذكرت أمرًا هامًا يجب أن أنجزه! أراك لاحقًا!

ما أن وضع البائع الإناء جانبًا حتى أدار الشاب ظهره راحلًا بخطوات متسارعة متوجهًا لوسط السوق تاركًا خلفه السيدة تراقبه مبتسمة..

بعد مسيرة دقائق توقف الشاب عند بائعة الخضار، سيدة ممتلئة الجسم تتقلد أقراطًا ذهبية كبيرة تربط رأسها بوشاح قماشي أصفر وعلى وجنتها شامة كبيرة نبتت منها شعرة سوداء طويلة، قال لها الشاب بعد ما فرغت من خدمة بعض الزبائن: صباح الخير..

(بائعة الخضار) بتجهم وهي تعيد ترتيب الخضروات التي قلّبها الزبائن خلال تفحصهم لها: ليس لدي اليوم بطوله.. ماذا تريد؟

أجاب الشاب بنبرة متوترة بسبب استقبالها المشحون بالحنق وقال: «أمي تقول لكِ بأن الطماطم التي أعطيتِني إياها بالأمس كانت فاسدة..»

(بائعة الخضار) تقلب بعض حزم الفجل دون أن توجه نظرها للشاب: وهل أجبرتُك على شرائها؟

(الشاب): لا ولكن كان يجب أن تقدّمي لي منتجًا جديدًا!

(بائعة الخضار) ترش بعض الماء بيدها على الخضار المعروضة: لقد كان ذلك من محصول الأمس وأنا لم أخدعك.

(الشاب) متجاهلًا تبريراتها: أمي تريد عوضًا عنها..

(بائعة الخضار) ببرود: ها هي أمامك انتقِ منها ما يعجبك والشر كما هو لم يتغير

(الشاب) وقد بدأ يتجهم: أي ثمن؟! يجب أن تستبدلي الفاسدة!

(بائعة الخضار): أين هي؟ لِمَ لم تحضرها معك إذًا؟

(الشاب): أُحضر من؟ أمي؟

صوت ضحكة أنثوية يأتي من خلف الشاب..

التفت الشاب على مصدر الضحكات ليرى السيدة نفسها التي كانت عند محل البوظة ممسكة بإناءٍ خشبي من البوظة تتناوله وهي تراقبه مبتسمة.

اقشعر الشابُّ لرؤيتها وقبل أن يرحل هاربًا مرة أخرى أشار لبائعة الخضار بسبابته قائلًا: «سأعود لاحقًا لأخذ الطماطم!»

(بائعة الخضار) وهي تراقبه يرحل وبتهكم: لا تنسَ أن تحضر أمك معك!

بعد ابتعاده مسافة كافية هدّأ الشاب من هرولته ثم أدار نظره للخلف بشكلٍ خاطف ليتحقق من أن تلك المرأة لم تتبعه فرأى

[illegible]

الخير يا عم!»

(الخباز العجوز) بصوت مرتجف وبعض الطحين يغطي جبينه وتفوقه: أهلًا بأوسم شابٍّ في القرية!

(الشاب) بإحباط: هذا لأنّي الشابُّ الوحيد في القرية.. الجميع هنا إما أطفالٌ أو كهول

(الخباز العجوز) ضاحكًا: صحيح نحن الشبّان نادرون بهذه القرية!

(الشاب) مبتسمًا بحزن: نعم معك حق..

(الخباز العجوز): لم لم تلتحق بالجامعة في المدينة مثل بقية شبّان القرية؟

(الشاب) محاولًا تغيير الموضوع: هل خبز أمي جاهز؟

(الخباز العجوز) يمد لفافة قماشية بها بعض الأرغفة: ما بك؟ لا تبدو على طبيعتك اليوم؟

(الشاب) وهو يأخذ النفاقة: كيف أكون على طبيعتي وأنا مطارد؟

(الخباز العجوز) بدهاش: مطارد؟ من قبل من؟

(الشاب) يمد قيمة الخبز قائلًا: سيدة غريبة الأطوار تلاحقني منذ أن دخلت السوق

(الخباز العجوز) متجاهلًا المبلغ الممدود له ومطلًا برأسه خارج الفرن: أين؟

(الشاب) واضعًا القطع النقدية فوق منضدة فرد العجين قبل أن يرحل: «لا تنظر إليها كي لا تلتصق بك أنت أيضًا»..

(الخباز العجوز) وهو لا يزال يبحث بنظره في الأفق: ستكون أفضل من الضحين والعجين الملتصق بي.

ابتسم الشاب للخباز قبل أن يستأنف سيره خارجًا من السوق حاملًا أرغفة الخبز بين ذراعيه متوجهًا نحو منزله الصغير الذي يقيم فيه مع أمه وأبيه، فقد كان الابن الوحيد لهما وعلاقته بهما وطيدة جدًا ويعتمدان عليه كثيرًا في أمور حياتهما. وصل الشاب ودخل ليجد أباه جالسًا على كرسيٍّ خشبي يدخن غليونًا بهدوء فقال له: أين أمي؟

(الأب) وهو [illegible] من دخان [illegible] يسرق أحبة [illegible]

[illegible]

[illegible] أن أمه [illegible] تجمع البيض من [illegible] في [illegible] من النوع الذي يحب التحدث في الكلام والتعامل مع الحياة بروح مرحة دومًا، بعكس والدته التي تحاول أن تكون جادة وحاملة للمسؤولية للعناية بطفليها الكبير والصغير على حد قولها. وضع الشاب الخبز فوق الطاولة وخرج متوجهًا للزريبة وبالفعل وبعد ما دفع درفة بابها وكما أخبره أبوه وجد أمه تحمل سلّة من القش امتلأ نصفها بالبيض الأبيض والأسمر ويدها ممتدة تحت إحدى الدجاجات وهي تقول: سوف آخذ واحدة ويمكنك الاحتفاظ بالبقية لتفقس يا (أم قنزعة).

(الشاب) من خلف أمّه باسمًا: لا أعرف أحدًا يسمي الدجاج غيرك يا أمي!

(الأم) تضع البيضة في السلة دون أن تلتفت إلى ابنها: فقط لأني أحبهنّ يحظين بأسماء خاصة بهنّ.

(الشاب) بتهكم ضاحكًا: وهل تكرهين بعضهن؟

(الأم) مسحة على ظهر الدجاجة المراقبة: هل أحضرت الخبز والطماطم؟

(الشاب): الخبز نعم لكن الطماطم..

(الأم) بلهفة إلى ابنها: لكن ماذا؟ هل رفضت تلك المحتالة استبدال منتجاتها الفاسدة؟!

(الشاب) بحذر خشية إثارة سخط أمه: لا.. لا.. كانت ستستبدلها لكن.. كان خطئي أن.. لقد رحلت قبل أن تفعل.. سأعود لأخذها منها الآن.

(الأم): تعود إلى أين؟! سوق الخضار يُغلق باكرًا ولن تراها حتى صباح الغد!

(الشاب): ما زال الوقت مبكرًا يا أمي يمكنني الجري بسرعة واللحاق بها!

(الأم) تهم بالخروج من حظيرة الدجاج: لا.. أريدك أن تساعدني في أمرٍ آخر

(الشاب): أعرف.. أن أحضر الماء من البئر.

[illegible]

فالحطب أوشك على النفاد

(الشاب): حاضر يا أمي..

مسحت الأم على وجنة ابنها خلال خروجها من الحظيرة وقالت

أغلق الباب يا حبيبي كي لا تهرب الفتيات!

أغلق الشاب باب حظيرة الدجاج بعد خروج أمه وقال مبتسمًا: لا نريد ذلك أن يحدث..

حياة تلك العائلة كانت بسيطة جدًّا فمنذ أن رزقا بابنهما الوحيد كرّسا حياتهما لأجله ولتربيته، وعلاقتهما وتعلقهما به كان أقوى من تلك التي تربطهما بعضهما ببعض. الشاب تربى بين منزلهم الحجري الصغير وبين الحقول والسوق فقط، لم يخرج من حدودهم أبدًا. حتى المدرسة التي ارتادها أغلب الصبية في القرية لم يلتحق بها إلا للسنة الأولى فقط قبل أن تسحبه أمه منها وتقرر تعليمه في المنزل بمعاونة أبيه خشية من أن يكتسب أخلاقًا سيئة بمخالطة الصبية الآخرين كما أخبرت كل من تساءل عن سبب قيامها بذلك.

سار الشاب لوسط الغابة الكثيفة القريبة منهم بعد ما تجاوز حقل

[illegible] الصغير وهو يحمل بيده الفأس التي [illegible] ولما وصل عند شجرة صالحة للاحتطاب [illegible] في جذعها بعدة طرقات متتابعة. كانت الشجرة ميتة وجافة لذا لم تصمد طويلًا أمام ضربات الفأس وأوشكت على السقوط فرفع الشاب الفأس فوق رأسه في نية لتوجيه ضربة قوية أخيرة للجذع المتهالك. وقبل أن يفعل سمع صوتًا من خلفه يقول: «لمَ هربت مني؟»

توقف الشاب وفأسه فوقه وأدار نظره نحو مصدر الصوت ليرى تلك السيدة التي طاردته في السوق تقف عاقدة ذراعيها تنظر إليه مبتسمة وقلادة فضية تتدلى من عنقها لمع فصُّها في وجهه وهي تحرك كتفيها يمينًا وشمالًا بهدوء. تسمَّر الشاب مكانه ولم يجب عليها، وقبل أن يقوم بأي ردة فعل جرت السيدة نحوه مسرعة وهجمت عليه وقفزت محتضنة صدره ليسقط الفأس من قبضته بعد ما طرحته أرضًا واستقرت فوقه. بقي الشاب يتنفس بثقل وهو مستلقٍ على ظهره متعجبًا، فرفعت السيدة رأسها من على صدره وهي تقول: آسفة لكن كانت الشـ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تعرضت للأذى؟

[illegible] الشاب وهو ينفض الأوراق الجافة التي التصقت به [illegible]

[illegible] أسوأ من الأذى الذي كنت سأتعرض له لو لم تدفعيني [illegible]

(السيدة) بابتسامة رضا: تعجبني نظرتك للحياة.

(الشاب) وهو يلتقط الفأس: أي نظرة؟

(السيدة) رؤيتك لمحاسن الأمور في أسوأ الظروف

(الشاب) أنت لا تعرفينني كي تصدري مثل هذا الحكم عليّ!

(السيدة) لا أحتاج سنين أو أشهرًا لأعرف أنك صاحب [illegible]

فقد رأيت ما يكفي لأعرف أنك نادر

شعر الشاب بالارتياب من نظراتها خلال حديثها معه ولم يستمرّ

بالحديث معها وسار نحو الخدع وبدأ يحتطب منه

[illegible]

[illegible]

الحطب؟

(الشاب) حاملًا بعض قطع الحطب بين ذراعيه لا شكرًا.

(السيدة): سوف تعود بالمزيد لو سمحت لي بمعاونتك..

رمى الشاب ما جمعه على الأرض والتفت إليها بوجه متجهم وقال بغضب: ماذا تريدين مني؟! كفّي عن المراوغة فأنا لست أحمق! لا أملك مالًا لتسرقيه أو وقتًا لأضيعه في تسليتك!

تحوّلت ابتسامتها لخليط من التعابير الجادة وقالت: ليس مالك هو ما أرغب في سرقته..

(الشاب) نافضًا ملابسه بأطراف أصابعه صارخًا فيها: لا أملك سوى ملابسي! خذيها وارحلي عني!

أنزلت السيدة رأسها بوجه مشبع بالخيبة ولم تقل شيئًا آخر..

شعر الشاب بالسوء لانفعاله وقال بصوت هادئ متقطع: أنا.. أنا أعتذر عما قلت!

(السيدة) [illegible] لا [illegible] أي خطأ.

أنا المخطئة.

بحكم طبيعة الشاب وطريقة تفكيره لم تخفف كلماتها من شعوره بالضيق تجاه ما قام به فسار إليها وأمسك بيدها وقال: أرجوك سامحيني فأنا لا أستطيع تحمل هذا الذنب الذي اقترفته.

رفعت السيدة رأسها ونظرت بعينين دامعتين للشاب ولم تجبه.

(الشاب) وتوتره يزداد: يا إلهي ماذا فعلت؟

في لحظة ارتباك شد الشاب معصم السيدة وسار بها وسط الغابة وهي بدورها لم تقاومه وتبعته حتى وصلا لشجرة توت كبيرة محملة ببعض الثمار المختلفة الألوان وعند استقراره أسفل منها أفلت الشاب يدها وقال: عندما أشعر بالضيق آتي إلى هنا وأجلس تحت هذه الشجرة حتى تزول كلُّ همومي.

(السيدة): وما هي همومك؟

(الشاب) بتوتر: همّي الآن هو ألا تكوني غاضبة مني.

(السيدة) مبتسمة من خلف دموعها: شجرتك عجيبة.. فأنا لم أعد غاضبة منك!

(الشاب) [illegible] حقًا؟

(السيدة): نعم..

[illegible]

بسعادة [illegible]

بقيت السيدة [illegible] بسعادة أمامها محدّثة نفسها في عقلها قائلة: «لم أكن غاضبة منك كي أصفح عنك..»

انقطع تأملها به بعد ما توقف عن الرقص فجأة وأمسك معصميها بيديه وقال بحماس: هل تحبين التوت مثلي؟!

(السيدة) باسمة بخليط من التعجب والسعادة: التوت؟ نعم

ومن لا يحب التوت؟

مدَّ الشاب ذراعه خلفها وقطف بعض الثمار المتدلية وجمعها في كفه اليسرى ثم التقط واحدة بسبّابته وإبهامه ورفعها عند شفتيها وقال: تذوقي هذه..

تناولت السيدة ثمرة التوت الناضجة بينما تناول هو الآخر واحدة وقال: ما رأيك بها؟

(السيدة): لذيذة جدًّا..

جلس الشاب على الأرض وظهره لشجرة التوت الكبيرة وأشار باسمًا للسيدة بالجلوس بجانبه ففعلت. استأنف الفتى تناول حبات التوت وهي تراقبه مبتسمة بصمت حتى أكل جميع الثمرات، تنبه الشاب والتفت إليها وبفم ملطخ بعصير التوت الأحمر قال: لقد نسيت نفسي ولم أعطك أخرى..

(السيدة): لا عليك.. استمتع بها أنت.

(الشاب) وهو يهم بالنهوض: لا لا.. سوف أقطف لكِ المزيد.

قبل أن يقف الشاب وضع كفه على رقبته وتغيرت ملامح وجهه..

(السيدة) بقلق: ما بك؟

(الشاب) بصوت متحشرج: حلقي يؤلمني.. أعتقد أنه بسبب أكلي البوظة على عجالة اليوم.

ضحكت السيدة قائلة: هذا جزاؤك لمحاولة الهرب مني!

أسند الشاب خدّه على كفه موجّهًا نظره إليها وقال: لم تخبريني.. لمَ كنت تطاردينني؟

[illegible]

[illegible]

الناضجة أكثر حلاوة!

[illegible]

[illegible] حقيقة

(الشاب): أي حقيقة؟

(السيدة): [illegible] نصيحة من غيرك لا تعادل تجربة واحدة [illegible] اكتشفت أني أستمتع بلسعات الخموصة على لساني أكثر من [illegible] حلاوة [illegible]. حقيقة لم أكن سأصل إليها لو أنصتُّ للناس وما يؤمنون به.

(الشاب): لا أعرف.. فوجود من نستفيد من خبرتهم في الحياة مهم كي نجتاز حياتنا الخاصة.

بقيت السيدة تراقبه بصمت دون أن ترد عليه..

(الشاب) بخجل مبتسمًا. لماذا تحدقين بي هكذا؟

(السيدة): لا أعرف.. تشعُّ منك براءة مريحة لنفسي

(الشاب) مديرًا نظره للأمام: البراءة للأطفال.

([illegible])

([illegible]) [illegible] في ذلك [illegible]. الطفولة بعد أن تتجاوزها [illegible] والهمز واللمز.. يعيّر بها الناس بعضهم بعضًا وكأنها عار.

(السيدة) هل عيّرك أحد من قبل بأنك «طفل»؟

أنزل الشاب رأسه ولم يرد..

خلعت السيدة قلادتها الفضية ووضعتها حول عنق الشاب وهي تقول: لا تنصت لهؤلاء الحمقى.. الطفولة حلم.. حلم جميل.. نكبر منه لكن يجب ألا نتكبر عليه.. ولأننا لا نستطيع استعادة تلك المشاعر الطاهرة نتعامل معها بفوقية وننبذ من لا يزال يملكها ونتملكه.. خذ حذرك من هؤلاء الحمقى الذين يحاولون تسطيح رأيك أو الاستخفاف بذوقك، فهم لا يملكون في حياتهم شيئًا يستحق الفخر لذا يلجؤون لتحقير خيارات غيرهم.. عش حياتك كما تشاء وتحب..

(الشاب): نعم.. معكِ حق

(السيدة) باسمة: أعرف

(الشاب) متحسسًا فصَّ القلادة: لم أعطيتني إياها؟

(السيدة): شكلها عليك أجمل

(الشاب) بخجل: شكرًا

(السيدة) ضاحكة: وأنت لست بطفل!

(الشاب): أمي تقول بأنها لم تعش طفولتها مرة أخرى إلا بعد ما دخلت حياتها..

(السيدة): ماذا عنك؟ هل عشت طفولتك؟

(الشاب) مبتسمًا: أعتقد أني ما زلت أعيشها وهذا ما جعلني مصدرًا لتندر بعض الناس.

(السيدة): لمَ لم تترك القرية؟

(الشاب): ولمَ أتركها؟

(السيدة): لترى الحياة.. لتجرب أشياء جديدة..

(الشاب) مخفيًا فص القلادة في قميصه: لا رغبة لي في ذلك.. أنا مكتفٍ وسعيدٌ بحياتي

(السيدة): أعرف أن الحياة هنا هادئة وجميلة، لكن لا شك أنها مع الوقت ستصبح مملّة خصّصه للشاب في مثل عمرك.

(الشاب): لم أشعر بالملل يوما

(السيدة): مستحيل! لا بد وأنّ الملل يغزو حياتك من وقت لاخر.

(الشاب): الملل الذي أشعر به هو من حديثك هذا..

(السيدة) مبتسمة: حسنًا.. سأتوقف عن الكلام..

(الشاب) بخيبة: لم أقصد.. كنت.. كالعادة أفسد الأشياء دون قصد!

(السيدة): ما فعلته دون قصد اليوم هو إدخال السعادة لقلبي.. فحزن تسيَّد حياتي لعدة أشهر وهذا أحد أسباب قدومي لقريتكم الجميلة..

(الشاب): ولماذا أنت حزينة؟

أخرجت السيدة ورقة من جيبها ومدَّتها للشاب: خذ اقرأ هذه..

أخذ الورقة ونظر إليها قليلًا ثم وجه نظره للسيدة التي قالت: اقرأها!

[illegible]

(السيدة) [illegible]

(الشاب) [illegible]

(السيدة) [illegible] لقد اتخذتُ قرارًا!

(الشاب): ما هو؟

(السيدة): سآتي معك..

(الشاب): تأتين معي إلى اين؟

(السيدة): إلى منزلك.. أريد رؤية حياتك الشيِّقة هذه التي لا يتخللها الملل أبدًا!

(الشاب): أنت امرأة غريبة بحق

(السيدة): لماذا؟ لأني أريد التعرف عليك أكثر

(الشاب): نعم.. لا.. أقصد لأنكِ أنت من يبدو عليكِ المل وتريدين التسلية بي

(السيدة): لا، أبدًا.. أقسم لك أنّ هذا ليس هدفي.

(الشاب): عدنا لسؤالي الذي تحاشيت الإجابة عليه.. ما هدفك من ملاحقتي؟

(السيدة): لقد أجبتك..

(الشاب): لا لم تجيبيني.. اصدقيني القول كي أتيقن من صفاء نيتك تجاهي.. لماذا لحقتِ بي؟

(السيدة): بصراحة، لم أر شخصًا نقيًّا مثلك في حياتي من قبل.. ولا شعوريًّا اجتاحتني رغبةٌ عارمة في التقرُّب منك ومعرفتك أكثر..

(الشاب): أنت لم تقابليني ولم تتحدثي معي إلا اليوم فكيف..

(السيدة) مقاطعة: طريقتك في أكل البوظة..

(الشاب) بتعجب: طريقة أكلي للبوظة؟ ما بها...؟

(السيدة): هل ستصدقني لو أخبرتك بأني كنت أغبطك وقتها؟

(الشاب): كان يمكنك شراء واحدة خاصة بك بدل أن تنظري في طبقي!

وضعت السيدة كفَّها على خد الفتى وقالت: ما أجملك..

أبعد الشاب يدها عن وجهه بحركة سريعة ووقف متوترًا وهرب

[illegible] واكتفت هي بمراقبته وهو يجري مبتعدًا عنها بعد حرق غير منقطع وصل الشاب عند باب منزله وتوقف لالتقاط أنفاسه قبل أن يدخل على أبويه وما أن رأته أمه حتى قالت: أين الحطب يا (رازي)؟»

(رازي) بتوتر: أنا.. أنا..

(الأب) وهو جالس على كرسيه الخشبي: وأين الفأس؟

(رازي) ماسحًا العرق الذي تصبب من جبينه: نسيته.

(الأم): ما الأمر؟ لمَ أنت مشوَّشٌ هكذا؟ هل تعرضت لهجوم ما؟

(رازي): سأعود لأحضر الحطب والفأس.

(الأم): لا!.. ابقَ هنا.. أبوك سيذهب لإحضارها.

(الأب) ناهضًا من مكانه: نعم يا بنيّ.. ابقَ هنا وأنا..

(رازي) مقاطعًا قبل أن يجري خارجًا مرة أخرى: سأذهب أنا!

(الأم): انتظر!

لم يستجب الفتى لأمه وعاد جريًا نحو الغابة..

(الأم) لزوجها بغضب بعد ما عاد للجلوس: ماذا تفعل؟ الحق به!

(الأب) مشعلًا غليونه ببرود: ابننا لم يعد طفلًا.. اتركيه وشأنه

(الأم) ألم تر وجهه كيف كان؟ لقد كان مرعوبًا من أمر ما!

(الأب) نافخًا بعض الدخان: لم يرعبه سوى طريقة سؤالك.. لو كان هناك مصدر رعب لهذا الفتى في حياته فهو أنت.

(الأم) متجهمة: ماذا تقصد؟!

(الأب) يهز الكرسي للأمام والخلف سارحًا في الباب المفتوح: لا أقصد شيئًا.. دعي الصبي وشأنه.

أمسكت الأم وشاحًا معلقًا على الجدار ووضعته فوق رأسها وشدته بعقدة وسارت نحو الباب تتمتم متذمرة: ولم أطلب منك شيئًا من الأساس؟! أنت رجل بلا فائدة! اختنق بتبغك فهذا العمل الوحيد الذي تجيده!

أغلقت الأم الباب خلفها بقوة بعد خروجها تاركة زوجها يدخّن ويقول بهدوء: الاختناق بالتبغ خياري على الأقل..

وصل (رازي) للمكان الذي احتطب فيه ولم يرَ الفأس حيث تركه فبحث بين قطع الحطب المتناثرة وخلف الأشجار حوله لكن دون

جدوى. لم يثنه ذلك عن الاستمرار فجثا على ركبتيه أرضًا متحسسًا الأرض بكفّيه بين الأعشاب الطويلة آملًا أن يجده وخلال قيامه بذلك نادت عليه أمه من خلفه: ماذا تفعل؟!

نهض (رازي) مفزوعًا ماسحًا كفّيه من التراب بعضهما ببعض قائلًا: أبحث عن النفاس

(الأم): ما الذي حدث معك اليوم في السوق؟

(رازي) بتوتر: لم يحدث شيء..

(الأم): أنا أحفظك عن ظهر قلب وما رأيته اليوم على وجهك حكى لي الكثير.. أخبرني الآن ما بك؟

(رازي) وهو يلتقط قطع الحطب التي قطعها سابقًا: صدقيني يا أمي لا يوجد شيء يستحق قلقك.

(الأم): وهي ترقب ابنها يجمع الحطب: لمَ أنت مرعوبٌ هكذا؟

(رازي) واضعًا القطعة الأخيرة على ساعده: لست مرعوبًا يا أمي.. لا تضخمي الموضوع.. هيا لنعُد..

(الأم): عد أنت.. أنا سأبقى هنا قليلًا

(رازي) [illegible] يمكنني العودة

(الأم) [illegible]

[illegible]ني.. سألحق بك

(رازي): حاضر

[illegible] قالت

يمكنك الخروج..

[illegible]

(الأم) ونظرها مرتكز [illegible] لا جدوى من

الاختباء.. لقد رأيتك.. اخرج

خرجت السيدة من وراء الشجرة والفأس بيدها وقالت وهي تبتسم

بسرة ممازحة: كنت أظن أني توارَيت عن الأنظار بشكل جيد.

(الأم) بتجهم: من أنت؟ هل أنت من هاجم ابني وأفزعه؟

رمت السيدة الفأس جانبًا وأخذت بضع خطوات نحو الأم حتى

أصبحت أمامها ثم مدت كفها لمصافحتها قائلة: أنا (مريم)..

لعرفته قبل أن يسترقه الأب [illegible]

(رازي): قالت بأنها ستنحني

(الأب): هل كل شيء على ما يرام؟

(رازي): نعم.. لم جميعكم تكرّرون هذا السؤال؟

(الأب): أنت لست على طبيعتك اليوم يا بني وهذا سبب تساؤلاتنا.

(رازي) بنبرة مهمومة: هل وصلت لطريق مسدود في حياتي؟

(الأب): ماذا تقصد؟

(رازي): أين ستسير حياتي؟ هل سألقى هنا للأبد؟ هل سأقضي بقية عمري بين السوق والمنزل؟ أليس هناك شيءٌ أكبر مقدرٌ لي؟

(الأب): حياتك ستسير حسب رغبتك أنت.. ماذا تريد؟

(رازي): هنا تكمن المشكلة.. أنا لا أعرف ماذا أريد وأين يجب أن أسير.. أشعر بأنّ عمري يُسرق مني وأنا أقف مكتوف الأيدي عاجزًا عن فعل شيء حيال ذلك..

(الأب): كل ما أستطيع تقديمه لك هو أنّي لن أقف في طريقك عندما تختار شريطة أن يكون ذلك الطريق صحيحًا.

[illegible] (رازي) ولم يقل شيئًا واكتفى بالوقوف صامتًا محدقًا [illegible]

[illegible] مكتئب وحزين جدًّا وتعابير وجهه توثبت على [illegible].

[illegible] الأب من مكانه [illegible] نحو [illegible] وعانقه هامسًا في أذنه: أخبرني

ماذا يمكنني أن أقوم به للتخفيف عنك وسأفعله.

(رازي): شكرًا يا أبي. أرغب في النوم فقط.

(الأب) يفك عناق ابنه ثم يقبل رأسه قائلًا: كل همٍّ سينجلي ويزول

أعدك بذلك يا بني..

أمسك (رازي) [illegible] انتفض متنبهًا وكأن نارًا لسعته

وقال: لقد نسيت إحضار الماء من البئر!

(الأب) واضعًا كفَّه على كتف ابنه: لا تقلق.. سأذهب أنا.. اخلد

للنوم أنت.

تبسم (رازي) ودخل غرفته وأغلق الباب خلفه..

توجه الأب للطاولة ورفع القلادة الفضية ووضعها في جيبه ثم

عاد بخطوات بطيئة نحو كرسيِّه وجلس عليه مخرجًا غليونه من

جيبه ومن الجيب الآخر علبة التبغ المعدنية وبدأ يحشو [illegible]

[illegible] العلبة حينه مخرجًا علبة الثقاب مشعلًا رأس الغليون آخذًا بعض الأنفاس المتتابعة. تراقصت معها شعلة متوهجة في رأس الغليون لينفخ بعدها سحابة كبيرة أمامه انقشعت كاشفة عن دخول الأم من الباب والتي وقفت سارحة في زوجها ممسكة الفأس بيدها ثم قالت بهدوء غير مألوف عليها: هل عاد (رازي)؟

(الأب) والغليون يتدلى من فمه: نعم إنه في غرفته.

همَّت الأم بالتوجه لغرفة ابنها وهي تقول: يجب أن أتحدث معه..

نهض الأب من مكانه وقال: نحن من يجب أن نتحدث.

(الأم) مستمرة بالسير نحو غرفة (رازي): يمكننا التحدث لاحقًا.

(الأب) بنبرة حازمة: سنتحدث الآن!

وقفت الأم مكانها متأملة ملامح زوجها الجادة ثم قالت بعد ما علّقت الفأس على الجدار: حسنًا.. ربما من الأفضل أن أناقش الموضوع معك قبلها كي تعاونني عندما نخبره

(الأب): نخبره بماذا؟

(الأم) وهي تسير نحو الطاولة الخشبية: تعال واجلس..

جلس الاثنان إلى الطاولة وبعد صمت لم يدم طويلًا قالت الأم: هيا تحدث أنا منصتة.

(الأب) مجددًا شعلة غليونه: سأترك لكِ المجال قبلي فحديثي قد يطول.

(لأم): حسنًا.. هناك امرأة تطارد ابننا ويجب أن نحذره منها!

(الأب): ماذا تعنين بـ«تطارده»؟

(الأم): تلاحظ.. تحاول اقتحام حياته عنوة وقد تحدثت معها للتو وهي عاقدة العزم على أخذه [illegible] هذه المرأة مختلة ويجب أن نحميه منها!

(الأب) باستغراب شديد: عن ماذا تتحدثين؟ كلامكِ غريب جدًا!

(الأم): لذلك لم أرغب بالحديث معك.. أريد التحدث مع (رازي) مباشرة فهو يفهمني أكثر منك!

(الأب): لن تتحدثي معه قبل أن أفهم ما يحدث فهو ابني كما هو ابنك.

(الأم): سأخبرك بكل شيء قالته لي تلك المجنونة، لكن حاول أن تفهم كي تساعدني في حماية ابننا منها

(الأب) واضعًا الغليون في فمه: أنا منصت...

روت الأم لزوجها أنَّ تلك السيدة التي التقت بها في العابة أخبرتها بأنها ثرية وتملك الكثير من الأعمال في المدينه وقد أتت لقريتهم لأخذ وقت مستقطع من حياتها المزدحمة ولتصفية ذهنها من مسؤولياتها المتراكمة، وكانت منذ وقت طويل تبحث عن شخص «أمين» تستطيع الوثوق به ليعاونها في إدارة تلك الأعمال وقد رأت في (رازي) الصفات التي كانت تبحث عنها لشغل تلك الوظيفة، وأنها سوف توفر له جميع وسائل العيش المريحة وتقدم له كل إمكانياتها لينجح في مهمته.

(الأب) ممسكًا برأس الغليون براحة يده: هل أخبرتِها بأنه لا يحسن القراءة والكتابة بشكل جيد؟

(الأم): نعم.

(الأب): وماذا قالت؟

(الأب) هذا قراره وليس قرارك.

(الأم) بعصبية: أنت تصفي أم تصفّها؟!

(الأب) بهدوء: أنا بصفّ ابني.. لقد وقفت صامتًا لسنوات طويلة وأنتِ تسلبينه كلَّ مقومات الرجولة.. حرمته من المدرسة بحجة الخوف عليه.. حرمتِه الاختلاط بأقرانه للسبب نفسه.. ويومًا بعد يوم سخرتِه لإشباع عواطفك ومشاعرك متجاهلة مشاعره هو.. هذا الأمر ينتهي اليوم.. ابني أصبح عند مفترق طرق في حياته وهو تائه ولا يجد من يرشده للطريق الصحيح وأنتِ في هذه المرحلة من عمره لن تقوديه إلا لمزيد من الضياع.

وقفت الأم وصرخت فيه غاضبة: لن يأخذ أحد ابني! لا أنت ولا هي ولا غيرها! هل تفهم؟!

العش الصغير

يُفتح الباب الرئيس للمنزل الوحيد في القرية مساءً وتدخل امرأة بدت على ملامحها السعادة والبهجة وخطواتها كانت متناغمة كفرس تخبّ على الرمال وما أن رآها موظف الاستقبال حتى قال مُرحّبًا: أهلًا سيدة (مريم).. كيف كان يومك في قريتنا الجميلة؟

(مريم): كان جميلًا جدًّا! أجمل مما توقعت!

(موظف الاستقبال) مبتسمًا: سعيد لسماع ذلك.

(مريم): لكن سعادتي لم تكتمل بعد.. بقي أمر ما أنتظره بفارغ الصبر.

(موظف الاستقبال): هل هو شيء يمكنني مساعدتكِ فيه؟

(مريم): دعاؤك فقط.

(موظف الاستقبال) باسمًا: أتمنى أن تتحقق كل أمانيك.

(مريم) تبادله الابتسام قائلة: شكرًا.

همَّت السيدة بالصعود لغرفتها لكن الموظف استذكر أمرًا و
فاستوقفها قائلًا: عفوًا يا سيدتي نسيت أن أخبرك..

توقفت (مريم) وبوجه متسائل قالت: ماذا؟

(موظف الاستقبال) مخرجًا ورقة من درج الطاولة أمامه وهو يقول:
لقد تلقَّيتِ اتصالًا خلال غيابك.

(مريم): ممّن؟

(موظف الاستقبال) وهو يمعن النظر في محتوى الورقة: من السيد
(نجيب)..

(مريم) باستغراب: لا أعرف أحدًا بهذا الاسم.. هل ذكر شيئًا آخر
عن فحوى اتصاله؟

(موظف الاستقبال): لا شيء سوى أنه يريد مقابلتك وسوف يأتي
إلى هنا غدًا صباحًا.

(مريم) بخليط من الحيرة والتعجب: هنا؟ حسنًا..

(موظف الاستقبال) باسمًا: يمكنك استقبال ضيوفك في مقهى
النزل بالخلف.. إطلالته جميلة وقائمة الطعام شهية.

(مريم) تصعد لغرفتها: ليلة سعيدة..

استيقظت (مريم) بكرًا وأخذت حمامًا دافئًا كما عودت كل صباح وبعد خروجها من دورة المياه جلست على طرف السرير تجفف شعرها بمنشفة قطنية بيضاء وخلال ذلك انتبهت لورقة أسفل باب الغرفة فنهضت من مكانها وسارت نحوها وحملتها وقرأت محتواها:

«صباح الخير سيدة مريم.. في انتظارك في المقهى»

إدارة النزل..

طوت (مريم) الورقة واضعةً طرفها عند شفتها متفكرة لثوانٍ قبل أن تبدّل ملابسها وتنزل للطابق السفلي حيث كان موظف الاستقبال في استقبالها مرحّبًا كعادته وقال: صباح الخير.. كيف كانت ليلتك؟

(مريم): جميلة كالعادة شكرًا لسؤالك.

(موظف الاستقبال) باسمًا: يسعدنا سماع ذلك.

(مريم): أين الطريق للمقهى الخاص بالنزل؟

(موظف الاستقبال) حانيًا ظهره مشيرًا بكفه لباب بجانب مكتب

الاستقبال: من هنا يا سيدتي.. ضيفك بانتظارك منذ ساعة.

(مريم): منذ ساعة؟ لم لم توقظوني حينها؟

(موظف الاستقبال) منتصبًا: هو طلب منا ذلك فاكتفينا بإبلاغك برسالة خطية كي لا نزعجك.

(مريم) تسير نحو الباب المؤدي للمقهى: حسنًا شكرًا لك.

خرجت (مريم) من بهو النزل الصغير من خلال ذلك الباب الخشبي لترى مجموعة من الطاولات المنتشرة فوق شرفة كبيرة تطلُّ على مروج خضراء امتدت في الأفق ولمحت في أقصى المكان الخالي من الناس رجلًا يجلس إلى إحدى الطاولات مديرًا ظهره لها فسارت إليه حتى استقرت أمامه وقالت: «صباح الخير..»

وقف الرجل الذي كان متقدّمًا في العمر ومد يده باسمًا لمصافحتها قائلًا: السيدة (مريم) على ما أظن

(مريم) وهي تصافحه: نعم.. الأستاذ (نجيب)؟

(نجيب) ممازحًا: (نجيب) فقط بدون أستاذ.

(مريم): تشرفنا يا (نجيب)..

(نجيب): وأنا كذلك يا (مريم).

(مريم) تجلس على الكرسي أمامه: تفضل.. ما الأمر الذي ترغب في الحديث به معي؟

(نجيب) عائدًا لمقعده: في الحقيقة الموضوع يخصّكِ أكثر مما يخصني.

(مريم): أنا لا أعرفك كي يكون بيننا موضوعات تخصّك أو تخصّني.

أخرج (نجيب) غليونًا من جيبه ورفعه أمامها قائلًا: هل تمانعين لو دخنت؟

(مريم): لا أبدًا تفضل

أشعل (نجيب) عود ثقاب وقبل أن يقرّبه من رأس غليونه قال: ما حقيقة نواياك تجاه (رازي)؟

(مريم) باستنكار: (رازي) من؟

(نجيب) مشعلًا غليونه آخذًا بعض الأنفاس منه: أنت حتى لا تعرفين اسمه.. شيء مثير للاهتمام

(مريم): أرجوك يا سيد (نجيب) تحدث بوضوح.. (رازي) من هذا الذي تسألني عنه؟

أخرج (نجيب) القلادة الفضية من جيبه ووضعها على سفرة الطاولة أمامها قائلًا: ابني.. الفتى الذي أخبرتني أمه بأنك تريدين أن يعمل عندك في المدينة.

تغيرت ملامح (مريم) وقبل أن تجيب قاطعهما النادل قائلًا: مرحبًا بكما في مقهانا المتواضع.. هل ترغبان في تناول شيء؟

(نجيب): قهوة سوداء بلا سكر..

(النادل) لـ(مريم) السارحة في (نجيب): وأنتِ يا سيدتي؟

(مريم) وسرحانها ينقطع: ماذا؟

(النادل) مبتسمًا: هل ترغبين بتناول شيء؟

(مريم): بعض الشاي محلّى بالعسل إذا أمكن..

(النادل) حانيًا رأسه: بالطبع

رحل النادل تاركًا السيدة المشوشة التي لم تستطع نطق كلمة وبدا عليها الارتباك فبادرها (نجيب) قائلاً: لا تقلقي أنا لست هنا لأوبخكِ مثل زوجتي.. أفترض أنها لم تكن مسرورة مما سمعته منك.. أليس كذلك؟

هرت (مريم) رأسها بالموافقة..

(نجيب): وهذا سبب قدومي اليوم. أريدك أن تصلي معنا لاتفاق.

(مريم): اتفاق؟ اتفاق من أي نوع؟

(نجيب): مما سمعته من زوجتي ورأيته الآن أدركت أنكِ امرأة تسعين للحصول على ما تريدين بأي وسيلة ولا يردعك شيء بسهولة، وأنا لا أريد أن يتحول الأمر لصراع يكون ضحيته ابني الوحيد..

(مريم): أنا لا أملك أي نوايا سيئة تجاه ابنك.. أنا فقط أريد..

(نجيب): تريدين ماذا؟

(مريم) منزلة رأسها: لا يوجد طريقة أخبرك بها عن حقيقة ما في قلبي دون أن تفهمني بشكل خاطئ.

(نجيب): ما أريد التيقن منه هو أنكِ لا تريدين إلحاق الأذى به.

(مريم) بخليط من الحماس والانفعال: لا أبدًا مستحيل!

(نجيب): ماذا إذًا؟ ابني شاب ريفي بسيط لا يعرف شيئًا في هذه الدنيا سوى حياته البسيطة في القرية ولا يملك أي مقومات تؤهله

لأن يكون ملائم للعمل الذي تعرضينه عليه هل تعرفين أنه لا يجيد القراءة والكتابة بشكل جيد؟

(مريم): نعم أعرف.

(نجيب): وهذا مصدر كافٍ لقلقي.. ماذا تريد امرأة سيسورة وجميلة مثلك من شاب مثله؟

(مريم) ناظرة بكل ثبات وثقة في عينَيْ (نجيب): أريد أن أتزوجه..

قوطع حديثهما مرة أخرى عندما وضع النادل كوب القهوة أمام (نجيب) قائلًا: تفضل يا سيدي.. قهوة سوداء بدون سكر.

استمر (نجيب) بتدخين غليونه بصمت ممعنًا النظر بعيني (مريم) المرتجفتين والمحدقتين به..

وضع النادل كوب الشاي أمام السيدة وقال: وهذا هو الشاي المحلّى بالعسل.. هل يمكن أن أخدمكما بشيء آخر؟

لم تجب (مريم) التي كانت لا تزال تحدق في (نجيب) وكأنها تنتظر إجابته والذي بدوره قال للنادل: شكرًا.. سنكتفي بهذا.

(النادل) مبتسمًا بعد ما حنى رأسه: استمتعا..

حمل (نجيب) الكوب وأخذ رشفة من قهوته ثم أعاد الكوب لمكانه وأخرج عود ثقاب وجدد شعلة غليونه مديرًا نظره للمروج الخضراء في الأفق على جانبه وقال: المنظر جميل أليس كذلك؟

(مريم) واضعة كفَّيها حول كأس الشاي الساخن دون أن تحمله لكنّها اكتفت بالنظر لمحتواه: بلى..

(نجيب) وهو لايزال سارحًا في الأفق: أنا مقدرٌ لصراحتك وهذا دليل على أنكِ لا تضمرين شرًّا لابني لكني أحتاج سببًا مقنعًا لطلبك.. لمَ هو بالذات؟ ما الذي ترينه فيه كي يقع اختيارك عليه؟

(مريم): من الغريب أن تكون أنت من بين الناس من يسأل هذا السؤال! هل حقًّا لا ترى جماله؟ أنا لا أتحدث عن جمال الشكل أو القوام.. (رازي) يملك طهرًا لم أر له مثيلًا من قبل.. نقاءً أفتقده في حياتي.. خلال وجودي معه لساعات محدودة أدخل في قلبي سعادة كنت قد نسيت شكلها وطعمها.. مشاعر لم تداعبني منذ صغري.. منذ أن كنت طفلة لا تفقه شيئًا من سواد الحياة.. سواد أحلك من تلك القهوة التي تحتسيها.. قد أكون مندفعة أو متسرعة في قراري نعم لكني لا أملك وقتًا إضافيًّا أضيّعه من عمري المتناقص.. إن

كنت تعلمت شيئًا من حياتي فهو أن السعادة لا تطرق أبواب المنتظرين بل نحن من يجب أن نقتحم أسوارها ونمسكها بأيدينا ونأخذها عنوة.

(نجيب) محتسيًا القهوة: و(رازي) هو تلك السعادة التي تريدين أخذها عنوة؟

(مريم): لن يكون ذلك بلا مقابل.

(نجيب): ابني ليس للبيع يا سيدة (مريم).

(مريم): المقابل الذي سأقدِّمه ليس لك ولا لأمه ولن يكون مالًا. فـ (رازي) ليس سلعة لأشتريها وإلا لمَ كنا نجلس نتحدث الآن؟

(نجيب) يطرق رأس غليونه على سطح الطاولة مفرِّغًا محتواه من الرماد والتبغ المحروق: ماذا يكون إذاً إن لم يكن سلعة للبيع؟

(مريم): هبة.. هبة أريدك أن تهبها لي وأعدك بأنّي سأقدِّم له كل شيء، بما فيه قلبي وروحي..

(نجيب) واضعًا غليونه في جيبه: أنا موافق..

(مريم) ووجهها يتفجر سعادة وبهجة: حقًّا؟!

(نجيب): لكن بشروطي وطريقتي أنا.

(مريم) والحماس طاغٍ عليها: اطلب ما تشاء يمكنني أن..

(نجيب) مقاطعًا: أنصتي فقط لما سأقول..

وضعت (مريم) كفّها على فمها الباسم وهزت رأسها بالموافقة..

(نجيب): سوف يسافر (رازي) معكِ للمدينة.. ليس كزوج بل كموظَّف عندك وستوفّرين له الإمكانيات ليكمل تعليمه الذي لم يبدأ من الأساس بسبب أمه.

(مريم) وملامح الفرح تذوب من على محياها: لكن..

(نجيب): دعيني أكمل..

(مريم): حاضر.. تفضل

(نجيب): علاقتك معه ستكون في حدود العمل فقط ولن تعبري له عن حبّك أبدًا قبل أن يفعل هو ذلك لو أراد، وزواجك به كذلك مرهون فقط بأمر واحد وهو أن يبادر هو بطلب الزّواج منكِ وليس العكس.. هل كلامي واضح يا سيدة (مريم)؟

(مريم): أنت تطلب المستحيل.. أنا واقعة في حبّه منذ أن وقعت عيني عليه فكيف تطلب مني ألا أخبره بذلك؟

(نجيب): هذا هو شرطي لقبول رحيله معك. لا تظني أن فراقه سيكون سهلاً عليّ وخصوصاً أمه، لكنّي أريد أن أمنحه فرصة تجربة حياة جديدة ولا أريد أن تقدمي سعادتك على حساب خوضه هذه التجربة. لو اختار هو أن تكوني شريكة له في تلك الحياة فهذا قراره لكن لا يحقُّ لك أن تفرضي نفسك عليه.. هل نحن متفقان يا سيدة (مريم)؟

لم تستطع (مريم) منع دموعها الصامتة من الانهمار لكنها ومع ذلك أومأت برأسها بالموافقة..

(نجيب): جيد..

(مريم) ماسحة دموعها بظهر يدها وبصوت متحشرج من الحزن وماذا عن أمه؟

(نجيب): اتركي هذا الأمر لي.. متى تنوين الرحيل للمدينة؟

(مريم) بعد حديثك هذا؟ بأسرع وقت ممكن.. الآن لو استطعت!

(نجيب): أحتاج بقية اليوم على الأقل لتهيئة كل شيء.

(مريم) وهي لا تزال تمسح دموعها التي لا تتوقف: حسناً.. غداً صباحاً سأكون عند محطة القطار وستكون تذكرة (رازي) معي

(نجيب) يهم بالنهوض: وأنا وابني سنكون هناك في الموعد.. تشرفت بالحديث معك يا سيدة (مريم).

(مريم): هل لي بسؤال قبل أن ترحل؟

(نجيب) وهو واقف أمامها: بالطبع تفضلي؟

(مريم): لو سألتك ما هو أكثر شيء يسعد (رازي) في هذه الدنيا فبماذا ستجيب؟

(نجيب): لو كنت أعرف الإجابة على هذا السؤال ما أتيت اليوم لمقابلتك.. أتمنى لك يومًا سعيدًا سيدة (مريم).

رحل (نجيب) تاركًا (مريم) تحتضن بكفيها كوبها الذي لم يمَسّ وتحدق بالقلادة الفضية على سطح الطاولة..

عاد لمنزله حيث كانت زوجته تنتظره في الخارج بعد ما بحثت عنه في كل مكان فهي لم تعتد منه الخروج إلا نادرًا جدًّا، وكانت تنتظر منه إخبارها عن سبب خروجه الذي يكون غالبًا لشراء التبغ من السوق أو قضاء حاجة تخصّها هي، لذا كان استقبالها له مشحونًا بالغضب والتساؤل عند دخوله وقالت: أين كنت؟!

(نجيب) باسمًا: هل اشتقت لي يا مهجة قلبي؟

(الأم) بتجهم: لن تخدعني ببعض الكلمات.. أجبني.. أين كنت؟!

(نجيب) وهو يدير مقبض الباب ويهم بالدخول للمنزل: في السوق.

(الأم) تدخل خلفه وبنبرة غاضبة: لا أرى معك شيئًا! أخبرني بالحقيقة!

جلس (نجيب) على كرسيه الخشبي وأخرج عليونه وقال متجاهلًا غضب زوجته: أين (رازي)؟

(الأم) وسخطها يتفاقم: دعك منه الآن وأخبرني بالحقيقة!

(نجيب) مشعلًا عليونه: الحقيقة هي أنّي تزوجت عليك ومنذ اليوم سوف أقيم يومًا هنا ويومًا في منزل زوجتي الجديدة.

(الأم) حسنًا لا تجب على سؤالي لكني سأعرف الحقيقة بطريقة أو بأخرى

(نجيب) نافخًا سحابة من الدخان: لقد أخبرتكِ بها للتو!

لم تكمل الزوجة حديثها معه وخرجت من المنزل صافعة ذرفة الباب خلفها تاركة (نجيب) يقهقه ضاحكًا..

فُتح باب غرفة (رازي) ليخرج منها وعلى وجهه علامات التعجب قائلًا: ما الأمر؟ لمَ تصرخ أمي؟ هل هي غاضبة لأني لم أذهب للسوق اليوم؟

(نجيب): لو كانت تريدك أن تذهب لأيقظتك.

(رازي) يسير نحو أبيه بوجه متعب: لقد نمت طويلًا.. لمَ لم توقظني أمي كالعادة؟

(نجيب): لعلها أرادت أن تمنحك بعض الراحة أو تحميك.

(رازي) وهو يجلس على أحد كراسي الطاولة الخشبية الصغير مسندًا كفَّه لخده والكسل في حديثه: تحميني من ماذا؟ أنا لا أخشى بائعة الخضار تلك

(نجيب) مبتسمًا: ماذا عن السيدة ذات الشعر الأسود؟

(رازي) معتدلًا في جلسته وبنبرة متوترة: هل جاءت إلى هنا تبحث عني؟! هل هذا سبب صراخ أمي؟

(نجيب): لا.. أنا من ذهب إليها.

(رازي): ذهبت إليها؟! هل تسببت بمشكلة؟!

(نجيب): اسمع يا بني.. سوف أشرح لك كل شيء وما سأقوله سيبقى خيارًا وليس إجبارًا لكن لو اخترت الموافقة فيجب أن يكون ذلك بملء إرادتك دون أن تفكر برأيي أنا أو رأي أمك.

(رازي): ما الأمر يا أبي لقد أقلقتني..

حكى (نجيب) تفاصيل رغبة السيدة (مريم) في أخذه معها للمدينة ليعمل عندها ولكنه أخفى عليه تفاصيل إعجابها به ورغبتها بالزواج منه وصوّر الأمر له على أنه فرصة تستحق التجربة، كان (رازي) متخوفًا من نواياها لكنَّ أباه طمأنه بأنها لا تضمر له أي شر وقد خانها تعبيرها خلال حديثها معه أول مرة والحقيقة هي أنها تبحث عن شخص أمين تستطيع الوثوق به، رغم ذلك ظلَّ (رازي) مترددًا في قبول ذلك العرض وقال: «ماذا عن أمي؟»

(نجيب): ما بها؟

(رازي): هل هي موافقة؟

(نجيب): أخبرتك بأن القرار لك وليس لنا!

(رازي): لا أظنها ستسمح لي بالرحيل.

(نجيب): ماذا لو أخبرتك بأنها موافقة؟ هل سيغير ذلك من رأيك؟

(رازي): رأيك يهمني أيضًا.

(نجيب): تحلَّ بالشجاعة وخذ القرار بنفسك أيًا كان يا بني.

(رازي): لا أعرف.. ما الذي سأجنيه لو وافقت؟

(نجيب): وما الذي ستخسره؟

(رازي): فراقكما ليس بالأمر السهل عليّ يا أبي.

(نجيب): ولا علينا، لكن يجب أن تدرك أننا لن نبقى معك للأبد ولا بد أن تشق صريقك في هذه الحياة.. كنت أظن أن تلك هي رغبتك..

(رازي): نعم.. لكن.. قلبي وعقلي يختصمان..

(نجيب): القلب غمامة العقل والعاطفة آفة الحكمة.. تجرد من عواطفك وقدم عقلك

(رازي): لا أستطيع..

(نجيب): سترحل.. سترحل معها يا بني.

(رازي) بتعجب: كنت أظنك تريد مني اتخاذ قراري بنفسي!

(نجيب): بعض الطيور لا تترك العش إلا عندما يدفعهم أبوهم

يخرج عنوة وهذا ما سأفعله.

(رازي): ما تشاء يا أبي.

(نجيب): جهّز نفسك لنتوجه لمحطة القطار صباح الغد.

(رازي): بهذه السرعة؟ أحتاج أن..

(نجيب) مقاطعًا: أنت لا تحتاج شيئًا سوى البدء في حياتك الجديدة.. اجمع ما تريد في حقيبتك واحرص ألا تعرف أمك شيئًا عن مشوارنا هذا.

(رازي): كنت أظن أن أمي تعرف بالأمر.. لقد قلت بأنها موافقة!

(نجيب): لا يوجد أم ترفض سعادة ابنها لكن قلبها سيعميها عن منحك الفرصة لإيجادها.. أمك ستعرف كل شيء بعد تحرك القطار وسوف أتحمل تبعات سخطها حتى تتقبل الأمر.

(رازي): لا أشعر بالارتياح للرحيل بهذه الطريقة.

(نجيب): ليس مطلوبًا منك أن تشعر بالراحة.. أنا لم أقل بأن الأمر سيكون سهلًا لكن هذا لمصلحتك.

لم يجب (رازي) واكتفى بالصمت بوجه حزين..

(نجيب): افرد جناحيك وحلّق ولا تخشَ السقوط أبدًا.

(رازي): سأحاول يا أبي..

(نجيب): ولا أريد منك سوى المحاولة.

قـطـار العـمـر

[illegible] مع ابنه من غرفة فندقهم لمحطة القطار [illegible]
[illegible] يستخدمها معظم أهالي القرى المجاورة للسفر للمدينة
الكبيرة، وبعد أن دفع (نجيب) قيمة مشوارهم مد يده لحمل حقيبة
[illegible] سقطت و أمسك بمقبضها قائلًا: «لا تتعب نفسك يا أبي إنها
ثقيلة..»

(نجيب): أخشى أن تسقطها كما فعلت اليوم عندما كنا نسير
خلال يوم أمس.. كدت توقظها بتلك الجلبة التي أحدثتها.

(رازي): كنت متوترًا.. وفي الحقيقة ما زلت.

(نجيب) واضعًا كفه على كتف ابنه: هذا أمر طبيعي لكن لو كنت
سأقدم لك نصيحة تتمسك بها في رحلتك هذه فهي ألّا تفعل شيئًا
رغمًا عنك أبدًا مهما كانت الضغوط.. حكّم قلبك وعقلك ولا
تنطق بشيء قبل أن تردده برأسك.. هل تفهمني يا بني؟

(رازي) يهز رأسه بالموافقة وهو قابض بيديه على حقيبته الثقيلة:

أمرك يا أبي.

(نجيب) مبتسمًا: هيا بنا إذًا كي لا يفوتك القطار.

دخلا بعدها المحطة المزدحمة بالمسافرين وتوقفا في منتصف ذلك الزحام لدقائق قبل أن يلمح (نجيب) السيدة (مريم) تجلس عند إحدى منصات الانتظار الخاصة بالسكة (٤) فقال لابنه وهو يشير إليها بسبّابته: ربة عملك هناك بانتظارك.

وجه (رازي) نظره حيث أشار أبوه وشاهد (مريم) تجلس وأمامها حقيبة صغيرة وهي تلبس فستانًا أبيض طويلًا وعلى رأسها قبعة قش كبيرة والهواء يداعب شعر غرتها برفق. بلع ريقه ووقف متسمرًا إلى أن وكزه أبوه بكوعه وقال: هيا ما بك؟ تحرك!

مشى الاثنان حتى وصلا حيث جلست السيدة التي ما أن رأتهما حتى أمسكت بطرف قبعتها ووقفت باسمة وقالت للأب وعينها على (رازي): أهلًا سيد (نجيب).

(نجيب) مشيرًا لابنه الذي وضع حقيبته الثقيلة أرضًا: ابني جاهز.

(مريم): ممتنة.. لن تندم على قرارك.

(نجيب): لم يكن قراري أنا.. لقد أتى بملء إرادته.. أليس كذلك يا (رازي)؟

(رازي) بنبرة متقطعة بسبب تحديق السيدة به: نـ.. نعم يا أبي..

(نجيب): انتهى دوري الآن.. أتمنى لكما رحلة سعيدة.

(رازي) بقلق: إلى أين يا أبي؟

(نجيب): سأرحل بالطبع..

(رازي): انتظر قليلًا حتى يصل القطار..

(نجيب) ممازحًا: يجب أن أعود قبل أن تفقد أمك عقلها فهي الآن بلا شك قد استيقظت ومستشيطة غضبًا لعدم وجودنا في المنزل.

أنزل (رازي) رأسه وقد بدا عليه الحزن الشديد..

أمسك (نجيب) بيده وقال للسيدة: سوف أستعيره منكِ لبضع دقائق فقط.

(مريم) باسمة: خذ كل الوقت الذي تحتاجه.

سحب الأب ابنه من معصمه وسار به لمسافة بعيدة عن مسامع السيدة ثم قال له: أريد أن أخبرك بشيء أخير.

ما هو يا أبي؟

(رازي) وهو يحاول حبس دموعه.

وضع (نجيب) ذراعه حول رقبة ابنه وقربه منه وعانقه عناقًا طويلًا

وقبل أن يفك ذلك العناق قال: فقط بأني أحبك..

شد (رازي) من عناق أبيه ولم يستطع حبس دموعه أكثر لتنهمر على

كتفه..

أنهى الاثنان ذلك العناق الطويل وكلاهما غارق في دموعه والسيدة

تراقبهما من بعيد لكنها لا تستطيع سماع الحوار الذي يدور بينهما..

(رازي) ماسحًا دموعه باسمًا: لا أذكر آخر مرة أخبرتني بأنك

تحبني!

(نجيب) وغصّة في حلقه: هذا لأني لم أقلها لك من قبل لكن عنيتها

كلَّ يوم.. سوف نفتقدك كثيرًا لكن لن نجعل حبنا لك يكون عائقًا

أمامك لتصبح رجلًا أفضل نفتخر به.. ارحل وعد لي رجلًا أباهي

به الناس.. ثق بنفسك بالقدر الذي يدفعك للتحرك والتقدم إلى

الأمام لكن لا تبالغ بتلك الثقة للدرجة التي تعمي بصيرتك عن

الاصطدام بجدار الواقع.. هذه هي النصيحة الوحيدة التي أستطيع

أن أقدمها لك..

(نجيب): لن أخذلك.. أعدك بذلك.

(نجيب) يربت على كتف ابنه باسمًا من وراء دموعه هيا.. لا تترك سيدتك تنتظر وحدها.

بدأ (رازي) بالسير نحو (مريم) الجالسة والتي نظرت للأب الحزين ووضعت كفها على صدرها في إشارة منها بأنها ستعتني بابنه.

حنى (نجيب) رأسه لها ثم رحل ولم يلتفت خلفه..

وصل (رازي) عند المقاعد التي جلست عليها (مريم) ولم يجلس بجانبها بل بقي واقفًا عند حقيبته واضعًا كفّيه على بطنه مدرجًا يتأمل الناس السائرين..

(مريم): ما بك؟

(رازي) وسرحانه ينقطع: لا شيء.. أنتظر القطار.

(مريم) تربت على المقعد الخالي بجانبها: اجلس.. قطارنا لم يصل بعد.

(رازي): أخشى ألّا نراه عندما يصل.

(مريم) ضاحكة: هل ركبت قطارًا من قبل؟

(رازي) بتحرج: في الحقيقة لا.. لكني أساهده دومًا عندما يعبر بجوار القرية.

(مريم) باسمة: توقعت ذلك.. لا تقلق سوف نراه حال وصوله.. اجلس الآن.

جلس (رازي) بجانبها وضم ركبتيه بيديه وبقي يحدّق بالسكة الحديدية أمامه صامتًا لكن وجهه حكى الكثير من خلال الحزن الذي تجلى في عينه بالرغم من أنه كان يتصنع الابتسام ..

(مريم): هل أنت سعيد أم حزين؟

(رازي) دون أن يحيد بنظره عن السكة الحديدية: لا هذا ولا ذاك..

(مريم): صف لي شعورك الآن.

(رازي): شعور جديد لم أجربه من قبل لذا لا أستطيع أن أصفه

(مريم): ابتداءً من اليوم ستجرب أشياء جديدة كثيرة.

(رازي) ملتفتًا إليها: وهل جميعها تؤلم القلب هكذا؟

(مريم): لا.. سأحرص أن يكون معظمها عكس ذلك تمامًا.

(رازي) معيدًا نظره أمامه: أبي أخبرني بأنه يحبني قبل أن يرحل..

(مريم) باسمة: شيء جميل

(رازي): بل غريب

[illegible]

(رازي) وهو [illegible] معاملتها [illegible] أن [illegible] ولا أذكر أني قلتها لها سوى مرات معدودة [illegible] مع أني أحبها حبًّا جمًّا.

(مريم): لم أفهم قصدك

(رازي): أعتقد أن الرجال لا يعبرون عن حبهم بسهولة حتى وإن كانت قلوبهم تفيض به، وأن الأمر يتطلب الكثير كي ينطقوا بتلك الكلمة، وقد لا ينطقون بها أبدًا مهما كانت مشاعرهم مثل ما حدث مع أبي قبل قليل.

(مريم): تقصد كلمة «أحبك»؟

(رازي): نعم..

أنزلت السيدة رأسها وتعابير وجهها مشبعة [illegible]

صمت الاثنان لعدة دقائق بادر بعدها (رازي) بالحديث وقال: هل تحبين ركوب القطار؟

(مريم): لمَ تسأل؟

(رازي) يهز كتفيه وعيناه على السكة: لا أعرف.. مجرد سؤال خطر ببالي.

(مريم) تشاركه النظر للسكة الحديدية: أنا أعشق ركوب القطار.. منذ صغري وأنا متيّمة به.. أجمل ذكرياتي مع أبي كانت عليه..

(رازي): وأي منها كان الأجمل؟

(مريم) باسمة مستذكرة خلال سرحانها: عندما أخبرني مرة بأني سوف ألتقي بفارس أحلامي على القطار لكثرة حبّي له..

(رازي) بعفوية: الفرسان يركبون الخيول لا القطارات.. أليس كذلك؟

(مريم) منزلة رأسها: ربّما..

(رازي): هل تظنين أني مخطئ؟

(مريم) بعينين راجفتين محدّثة نفسها: أتمنى ذلك..

صوت نفير بوق قوي يصدح في الأفق..

(رازي) بارتباك: صوت مرعب.. لم أتوقع أن صوته مخيفٌ هكذا عن قرب!

(مريم) موجهة نظرها يمينها: أعتقد أنه قطارنا.

بدأ (رازي) ينفخ بعض الهواء من فمه بشكل سريع ومتتابع.

(مريم) باستغراب: ما بك؟

ظهر القطار في الأفق صاحبه صوت نفير بوقه الذي ازداد قوة مع اقترابه..

أخذ الناس بالتجمهر عند المنصات المعدّة للصعود و(رازي) مستمر بمراقبة القطار المقترب وينفخ عدة نفخات متتابعة..

(مريم) مبتسمة: هل أنت متوتر؟

هزّ (رازي) رأسه بالموافقة وهو مستمر بالتحديق والنفخ..

(مريم) تحمل حقيبتها وبنبرة مطمئنة: لا تقلق! الرحلة بالقطار ممتعة جدًّا.

وقف (رازي) ورفع حقيبته الثقيلة وقال: ماذا عليّ أن أفعل؟

(مريم) ضاحكة: لا شيء فقط ابق بجانبي!

اقترب (رازي) منها حاملًا حقيبته الثقيلة وعيناه لا تزالان مركّزتين على القطار الذي وصل لذا لم يشعر بنفسه عندما ارتطم كتفه بكتفها وبقي ملتصقًا بها وتعابير وجهه تتفجر رهبة وحماسًا وهو يراقب الناس يتناوبون للصعود. همّت (مريم) بالتقدم بعد ما صعد معظم الناس وقبل أن تتحرك مد (رازي) يده وقال: ناوليني حقيبتك.

(مريم): لا بأس، يمكنني حملها ثم إن حقيبتك تبدو ثقيلة ولا أريد أن أثقل عليك أكثر.

(رازي) ممسكًا بمقبض حقيبتها من قبضتها باسمًا: لا عليك هذا واجبي.

تبسمت (مريم) ولم تمانع..

صعد الاثنان على متن إحدى العربات المكتظّة بالناس، وسارت السيدة بينهم و(رازي) من خلفها يلتفت يمينًا ويسارًا يتفحص وجوه الركاب من نساء وأطفال ورجال وشيئًا فشيئًا تحول توتره لراحة وحماس. استأنفت (مريم) سيرها للعربة الثانية ثم الثالثة

[illegible] توقف مما دفع

(رازي) [illegible]

(مريم) [illegible]

(رازي): أين إذًا؟

بعد دخولهما الغرفة الرابعة [illegible]

ثلاثة أبواب على اليسار وكأنها غرف صغيرة فتوقفت [illegible]

أحدها وقالت: هذا هو مكاننا.

(رازي) متفحصًا الباب: ما هذا؟

(مريم) وهي تفتح الباب غرفة الدرجة الأولى

دخل (رازي) الغرفة تكونت من مقعدين يمنة ويسرة يكفي كل

منهما لجلوس ثلاثة أشخاص وباب صغير آخر على الجانب فقال:

هل سيشاركنا أحد هذه الغرفة؟

دخلت (مريم) وفتحت الباب الصغير باسمة: لا.. فقط نحن..

يمكنك وضع الحقيبتين هنا.

وضع (رازي) الحقيبتين في المكان المخصص [illegible]

وجلس على أحد المقاعد الكبيرة وقال ونظره يجول حول الغرفة: لم
لم تجلس مع بقية الناس؟

(مريم) تجلس أمامه قائلة: ألم تعجبك الغرفة؟

(رازي): بلى.. لكني أشعر بأن المقاعد التي تجاوزناها أجمل.

(مريم): لكن هذه غرفة خاصة!

(رازي) ناهضًا ومطلًا من النافذة الكبيرة: لكنها مغلقة كالسجن..
المقاعد الأخرى مفتوحة ويمكنك رؤية الناس.

(مريم): هل تريد منا الانتقال إلى هناك؟

(رازي) ملتفتًا إليها: هل يمكننا ذلك؟!

(مريم) مبتسمة: يمكننا القيام بأي شيء تريده.

(رازي) وبحماس شديد: ماذا ننتظر إذًا؟!.. هيا بنا!

أمسك الفتى المتحمس بمعصمها وشدها وأنهضها من مكانها بسرعة أوقعت قبعتها القشية على الأرض وخرج من الغرفة جريًا إلى أن وصلا للمقاعد المخصصة للدرجة الثانية، لكن وبعد سير مستمر تجاوزا فيه جميع العربات تبين لهما أنّ كلَّ المقاعد قد امتلأت

بالكامل ما عدا واحدًا في نهاية العربة الثانية، ولم يكن لذلك المقعد مقعدٌ مجاورٌ له لأنه وضع في منطقة ضيقة عند مخرج العربة فأشار (رازي) لها وقال: هناك!

(مريم): لكن لا يوجد سوى مقعد واحد فقط

(رازي) يشدها من ذراعها سائرًا نحو المقعد: لا بأس سوف نتدبر الأمر..

عند وصولهما للمقعد الوحيد وضع (رازي) يده على كتف (مريم) وأجلسها ووقف بجانبها مبتسمًا.

(مريم): هل ستقف هكذا طيلة الرحلة؟

(رازي) باسمًا: نعم.

تبسمت السيدة ولم تعارض الفتى المتحمس ولم تحاول إفساد سعادته..

أطلق القطار نفير بوقه معلنًا تحركه، وما أن تحرك حتى اختل توازن (رازي) قليلًا مما دفعه للبحث عن شيء يتشبث به لكن ذلك لم يزده إلا تشتتًا ليتعثر ويقع أمام (مريم) التي ضحكت وقالت: هل أنت بخير؟

(رازي) يبهص بسنّ: نعم نعم..

تسارع القطار مبتعدًا عن المحطة ليشق طريقه عبر المسطّحات الخضراء الشاسعة التي تحولت تدريجيًا لسلسلة من الجبال في الأفق البعيد بسطت أمامها حقول من الزهور وبعض قطعان المواشي التي ترعى في سرحها، دفع ذلك المنظر (رازي) لأن يدنو برأسه من النافذة المجاورة للمقعد الذي جلست عليه (مريم) ويطل منها يتأمل ذلك المنظر الخلاب بوجه منبهر، تحول ذلك الانبهار لابتسامة عريضة بعد ما مر القطار بمجموعة من أشجار التفاح القريبة من السكة والتي شكّلت مشهدًا فريدًا بسبب عبورها الخاطف من أمام النافذة. لم يكن أحد من الركاب منبهرًا مثله فمعظمهم إما منشغلٌ بالحديث مع من كان بجانبه أو يتناول الطعام أو يحاول النوم بعكس (رازي) الذي بدا عليه أنه مسحورٌ تمامًا.

(رازي) وعيناه تتلألأان من تلك المشاهد: أشعر وكأني في حلم جميل!

بقيت (مريم) تتأمل جانب وجهه القريب منها وملامحه المنبهرة

بسعادة غامرة لسعادته ولم تقاطع انشاءه بتلك التجربة بل أحست بأنها تشاركه إياها من خلال تعابيره.

دخل رجل بلباس رسمي من الباب المجاور لهما وقال: التذاكر لو سمحتما.

(رازي) وتركيزه ينقطع: أي تذاكر؟

تبسمت (مريم) ومدت يدها في حقيبتها الصغيرة وقالت: لا تشغل بالك أكمل مراقبتك من النافذة

أخرجت السيدة تذكرتين ومدتهما لمسؤول التذاكر الذي نظر إليهما وقال: هذه تذاكر لقسم الدرجة الأولى

(مريم): نعم نعرف لكننا نفضل البقاء هنا.

(مسؤول التذاكر) باستغراب: لماذا؟

(رازي) ضاحكًا وهو يراقب أشجار التفاح العابرة: لأن المكان هنا أجمل!

(مسؤول التذاكر) معيدًا التذاكر لـ (مريم) بوجه متعجب: كما تشاءان..

رحل المسؤول وأكمل طريقه عبر العربة وهو يردد: تذاكر! تذاكر!

وضع (رازي) كفه على طرف أحد المقاعد وقد بدا عليه الإرهاق وكأنه أصيب بنوبة من الدوار. نهضت (مريم) من مكانها بسرعة وأمسكت به وقالت بقلق شديد: ما بك؟ هل تشعر بالتعب؟

(رازي) بنبرة متعبة جدًّا: لا لا أنا بخير..

(مريم): هذا ليس ما أراه أمامي.. هل تناولت إفطارك اليوم؟

(رازي): لا.. كان لزامًا أن نخرج مبكرًا من المنزل قبل أن..

توقف الفتى عن الكلام وكأنه تذكر أمرًا ما..

(مريم): قبل ماذا؟

(رازي): ماذا؟ نعم.. قبل أن يرحل القطار.. نعم..

(مريم): ومتى نمت بالأمس؟

(رازي): في الحقيقة لم أنم ساعة واحدة.. بقيت طيلة الليل أفكر.

(مريم): تفكر بماذا؟

(رازي) ومظاهر التعب تتفاقم على محياه: في كل شيء..

وضعت (مريم) كفيها على كتفيه وقدته لمقعدها وهي تقول حسنًا.. تعال اجلس قليلًا..

(رازي) ممانعًا: لا.. أنا مكتفٍ بالوقوف يا سيدة (مريم)

(مريم) تجبره على الجلوس: اسمع الكلام ولا تجادل!

جلس (رازي) وأسندت (مريم) ظهرها للجدار المقابل وعقدت ذراعيها تراقبه وهو يستعيد عافيته تدريجيًا ثم قالت: هل أنت أفضل الآن؟

(رازي) مديرًا نظره للنافذة: نعم على ما أظن..

(مريم) تشاركه النظر: الحمد لله.

بعد صمت طويل قضياه في تأمل الطبيعة الخلابة المتسارعة أمامهما قالت (مريم) بعد ما لاحظت أن (رازي) بدأ ينعس: لدي اقتراح.. ما رأيك أن نذهب للغرفة الخاصة لنرتاح قليلًا ثم نعود لاحقًا؟

(رازي): هل هذه رغبتك؟

(مريم) باسمة: نعم هذه رغبتي.

(رازي) ناهضًا من مكانه بأعين ناعسة: حسنًا هيا بنا..

وقف (رازي) بسرعة وقد تمكن منه الحماس وسار بخطوات تخللها القليل من الترنح و(مريم) من خلفه تراقبه بحذر خشية أن يقع. لدرجة أن بعض الركاب ظنوا أنه مخمور وقد بدا ذلك من خلال نظراتهم له. انتبهت (مريم) لذلك مما دفعها لأن ترفع ساعده وتضعه حول رقبتها وتعاونه في السير حتى وصلا لعربة الدرجة الأولى. فتحت (مريم) الباب ودخلت مع (رازي) وأجلسته على المقعد الأيمن ثم قالت وهي تشير للمقعد الأيسر: انظر سأريك شيئًا

سحبت (مريم) ظهر المقعد الطويل ليتحول لسرير صغير..

(رازي) وهو منبهر: شيء عجيب.. كيف فعلتِ ذلك؟!

(مريم) تربت على المرتبة: استلقِ قليلًا وجرب نعومتها..

نهض (رازي) من مكانه سريعًا وقفز فوق السرير الصغير وقال: إنه مريح!

(مريم): هل أنت جائع؟

(رازي) ماسحًا بطنه بيده: قليلًا..

(مريم) مبتسمة: استرح قليلًا بينما أذهب لأحضر لك شيئًا تأكله.

(رازي) هل يوجد طعام في القطار؟

(مريم) نعم.. سأخرج لأتطلع.. هناك مكان مخصص لبيع الشطائر في العربة الأخيرة.. سوف أبتاع لكليهما بعضها وسأعود فورًا

(رازي) مستلقيًا واضعًا كفيه خلف رأسه ناظرًا للسقف: سأكون بانتظارك.

بعد برهة من الزمن عادت (مريم) حاملة معها شطيرتين ودخلت بعربة الصغيرة لتجد (رازي) غارقًا في النوم فوضعتهم على مقعدها ودنت منه وهزت كتفه برفق قائلة: (رازي).. انهض لقد أحضرت لك الطعام..

(رازي) مديرًا ظهره لها متمتمًا في نومه: ابتعدي يا أم قنزعة!

تنحنحت السيدة ولم تحاول إيقاظه واكتفت بسحب اللحاف الذي وقع أرضًا وغطته ماسحةً على جبينه برفق قبل أن تخلد هي أيضًا لنومها مضت ساعات غطّ فيها (رازي) بنوم عميق ولم يفتح عينيه إلا على صوت نفير بوق القطار لينهض بسرعة من مضجعه قائلًا: ما الذي يحدث؟!

ريم) وهي تربط شعرها الأسود الطويل وتضع قبعتها القشية فوق رأسها: مساء الخير.. لقد وصلنا.

(رازي) يفرك عينه بقبضته متثائبًا: وصلنا إلى أين؟

(مريم) تسير نحو الباب الصغير حيث كانت حقيبتاهما وتفتحه: للمدينة.. المدينة التي أعيش فيها.. ستعجبك كثيرًا.. هيا انهض!

(رازي) مطلًا بعينين ناعستين من النافذة على سور حديدي من خلفه منظر ليلي كئيب: حاضر يا سيدة (ريم).

(مريم) وهي تشد الحقيبة الأولى من الرف: نادني (مريم) فقط يا (رازي)..

(رازي) يقف ويسير نحوها على عجالة آخذًا الحقيبة منها: لماذا؟

(مريم) تراقبه يخرج الحقيبة الأخرى: بدون سبب.. فقط هكذا..

(رازي) رافعًا الحقيبتين من مقبضيهما: أفضل أن أناديك بسيدة

(مريم) إذا لم يكن لديك مانع.

(مريم) بتحرج: لا أبدًا كما تشاء.. هيا لنتوجه للمخرج.

نزل الاثنان من القطار لمحطة أكبر بكثير من تلك التي أتيا منها مما

دفع (رازي) لفتح فمه مدهوشًا وهو يرى أعدادا كبيرة جدًا من
ناس في تلك المحطة وقال. مدينتك كبيرة . الناس هنا أكثر بكثير
من الذين يعيشون في قريتي!

رصعت (مريم) يدها فوق فمها مُخفيةً ضحكة صغيرة بداخلها ثم
قالت: هيا لنتوجه لمخرج المحطة.. هناك من ينتظرنا.

(رازي) يشد قبضتيه على الحقيبتين ويلحق بها: من ينتظرنا؟

(مريم) سائرة بين أفواج الناس: من سيقلّوننا بالسيارة لمنزلي.

(رازي): هل سأقيم معكِ؟

(مريم): نعم.. هل تمانع هذا أيضًا؟

(رازي): لا أعرف.. قد لا يكون من اللائق أن أضايقك بهذا الشكل وقد لا أكون ضيفًا خفيفًا خاصة وأن منزلكِ في الغالب غير معدٌّ لاستقبال الضيوف.

(مريم) باسمة: لا تقلق، أنا واثقة من أننا سنجد لك مكانًا مناسبًا في منزلي الصغير

رفرفة الجناح المكسور

بعد خروجهما من بوابة المحطة وقفت (مريم) تبحث بنظرها شوقي حتى رأت مجموعة من الناس مقبلين عليها مهرولين بعد ما لمحوها فقالت لـ (رازي) الذي وضع الحقيبتين أرضًا: هل ركبت سيارة من قبل؟

(رازي): لا؟

تبسمت (مريم) وقالت: سوف تجرب ركوبها الآن..

وصلت المجموعة التي هرولت باتجاهها وكانوا أربعة.. ابن عمها (مالك) ويكبرها بخمس سنوات ومسؤول عن إدارة جميع أملاكها وقد تقدم للزواج منها أكثر من مرة لكنها كانت ترفض طلبه دائمًا. تبعه رجل في منتصف الستين من العمر يدعى (جابر) وهو السائق الخاص للسيدة، وبالرغم من تقدمه في العمر إلا أنها لم تفكر يومًا بالتخلي عنه متجاهلة محاولات ابن عمها إقناعها بذلك. خلف السائق وقفت امرأة في أواخر الأربعين من العمر تلبس وشاحًا

قطنًا على رأسها تدعى (صباح) [illegible]

عشرة من العمر اسمها (حسن) [illegible]

وابنتها تصاحبها دومًا وتعاونها في خدمة (مريم)، [illegible]

أمها مع أنها ليست في حاجة إليها لكن ذلك [illegible]

(صباح) وامتنانها لها. بسط (مالك) ذراعيه [illegible]

«ابنة عمي! مرحبًا بعودتك!»

(مريم) ببرود: أهلًا يا (مالك).

(جابر) واضعًا قبعته تحت إبطه حانيًا رأسه: حمدًا لله على سلامتك سيدة (مريم)

(مريم) متبسمة له: شكرًا يا (جابر).

(صباح): كيف كانت رحلتك يا سيدتي؟

انحنى (مالك) وأمسك بأطراف أصابع يد (مريم) محاولًا تقبيلها..

(مريم) تسحب يدها من قبضة أنامله وتفتح ذراعيها معانقة (صباح) وبسعادة كبيرة: كانت جميلة جدًّا.. كيف حالكِ؟ اشتقت لك كثيرًا!

(صباح) وهي تبادلها العناق: وأنا أكثر يا سيدتي.

(مريم) تفك عناقها وتقرص خد (حنين) ضاحكة: وكيف حال هذه الشقية؟!

(حنين) مبتهجة: بأفضل حال بعد عودتك! لا ترحلي مرة أخرى!

(صباح) ناهرةً ابنتها: لا تتحدثي مع السيدة بهذه الطريقة!

(مريم) مبتسمة: دعيها فمن حق الأصدقاء أن يعتبروا أصدقاءهم أليس كذلك يا (حنين)؟

(حنين) منزلة رأسها وبنبرة حذرة من سخط أمها: بلى صحيح..

انتصب ظهر (مالك) وشد ربطة عنقه بخليط من التحرج والتجهم لتجاهل (مريم) له ووجه نظره لـ (رازي) وقال: لمَ أنت واقف؟ سوف نأخذ نحن الحقيبتين.. تحرك يا (جابر)!

(جابر) واضعًا قبعته على رأسه سائرًا نحو (رازي): حاضر يا سيد (مالك)!

(مالك) لـ (جابر) وهو يلوّح بيده: ادفع له أجرته ليرحل.

(جابر) مدخلًا يده في جيبه: حاضر.

(مريم) ملتفتة إليهم وموجهة حديثها لابن عمها: ماذا تفعل؟

(مالك): بأخذ حقيبتيك كي نضعهم في سيارتي

(مريم) متجاهلة (مالك) مرة أخرى وموجهة حديثها لـ (جابر)

ضع حقيبتين في سيارتي أنا.. في الحال يا (جابر)!

(جابر) حاملاً حقيبتين: أمرك!

(مالك): لم لا تركبين معي؟.. لقد أتيت خصيصًا كي أقلك بنفسي!

لم ترد عليه (مريم) وسارت نحو (رازي) وأمسكت بيده وقالت

أعتذر عن تصرفاته.. تجاهله فقط.

(مالك): آها فهمت.. ستدفعين له أنتِ!

(رازي) باستغراب: أي تصرفات؟

تبسمت (مريم) وشدته من يده وقالت: تعال..

سارت السيدة نحو سيارتها الخاصة التي فتح (جابر) بابها الخلفي

لتشير لـ (رازي) بالركوب فقال: لقد رأيت مثلها من قبل في القرية.

(مريم): وستركب واحدة الآن.

ركب (رازي) السيارة وقبل أن تصعد (مريم) بعده ظهر (مالك) من خلفها وقال: ألن تركبي معي؟

(مريم) مديرة نظرها نحوه: ولمَ أركب معك؟ أليس لديك أعمال تنجزها بدلًا عن التسكع هنا؟

(مالك): لقد أتيت لاستقبالك!

(مريم) بتجهم: وقد استقبلتني! عد لعملك الآن!

(مالك): لكن يا (مريم) أنا..

(مريم) مقاطعة بحزم: السيدة (مريم)!

(مالك) حانيًا رأسه: حاضر يا سيدة (مريم).

(مريم): انصرف الآن وخذ معك (صباح) وابنتها والحق بنا.

(مالك): أمرك!

تحركت السيارتان وتوجّهتا لمنزل السيدة (مريم) الواقع في الطرف الآخر من المدينة في منطقة راقية انتشرت فيها المنازل والقصور الكبيرة وطيلة الطريق كان (رازي) يُطلّ من النافذة يتأمل المباني والمدينة الصاخبة التي مرّوا بها بخليط من الانبهار والرهبة، وأكثر

شيء جديد هو
وعدد الدكاكين والمحلات المنتشرة فيه.

(مريم): كيف وجدت المدينة حتى الآن؟

(مريم): نحن في فصل الصيف

(رازي): عيب روحها وليس جوّها.

(مريم): ستتعلم مع الوقت.. هناك أماكن كثيرة أريد أن أذهب معك.

(رازي) ملتفتاً إليها: متى سنصل؟

(مريم) بسعادة: لقد اقتربنا

بعد أقل من ساعة من انطلاقهم من محطة القطار أقبل الجميع على بوابة ضخمة فُتحت لهم مباشرة ليدخلوا ساحة خضراء شقّها طريق حجري انتهى بقصر كبير أنارته مجموعة كبيرة من المصابيح المزرعة على جنباته. توقفت السيارة عند مدخل ذلك القصر ونزل (جبرا وفتح الباب للسيدة التي نزلت ممعنة النظر لمنزلها من الخارج بين

هرول السائق ليفتح الباب لـ (رازي) الذي نزل هو الآخر ورفع رأسه محاولًا الإلمام بضخامة المبنى المنتصب أمامه. توقفت سيارة مالك بالقرب منهم لتنزل (صباح) وابنتها لتحملا الحقيبتين اللتين أنزلهما (جابر) وتدخلا بهما لداخل القصر. دنا (مالك) واقترب من (مريم) المتأملة في (رازي) وهو يتفحص القصر بنظره وقال: ألن تدخلي؟

(مريم) دون أن تحيد بنظرها عن (رازي): سأدخل بعد رحيلك..

(مالك): فهمت.. أراكِ صباحًا إذًا.. ليلة سعيدة.

(مريم): اجعلها عند الظهيرة.. أريد أن أرتاح من عناء السفر.

عضّ (مالك) على شفتيه وهز رأسه قبل أن يسير عائدًا نحو سيارته: أمرك!

رحل ابن عمها وبعد تجاوزه للبوابة قال (جابر): هل تأمرينني بشيء آخر يا سيدة (مريم)؟

(مريم): لا يا عم (جابر)..

حنى السائق رأسه وركب السيارة وقادها لمقر سكنه الذي يقع

[illegible] في منطقة خصصت للعاملين ما عدا (صباح) وابنتها وبعض [illegible] اللاتي كن يقمن في ملحق بجانب القصر. استمر سرحان (رازي) وانبهاره بالمبنى الواقف أمامه حتى ربتت (مريم) على كتفه وقالت: ما رأيك أن ندخل الآن؟

هز الشاب المبهور رأسه بالموافقة بصمت دون أن يلتفت إليها..

بعد دخولهما لبهو القصر ومشاهدة (رازي) لضخامته وتفاصيله الفخمة تحول انبهاره لرهبة وقلق بَدَوا على وجهه فقالت (مريم): ما بك؟ تبدو متوترًا!

(رازي) واضعًا كفه على صدره: لا أبدًا، أنا متعب قليلًا..

تبسمت (مريم) وأشارت لـ (صباح) الواقفة خلفها مع ابنتها بالاقتراب..

(صباح): بمَ تأمرين يا سيدتي؟

(مريم): هل جناح الضيوف جاهز؟

(صباح): سيكون جاهزًا خلال دقائق.

(مريم): بعد ما تنتهون من تجهيزه خذي السيد (رازي) إليه ليرتاح.

(صباح): أمرك.

حملت (صباح) مع (حنين) الحقيبتين وصعدتا بهما للطابق العلوي، حيث كان جناح الضيوف والجناح الرئيس الذي تقيم فيه السيدة بالإضافة لجناحين آخرين.

(مريم): هل ترغب بتناول العشاء قبل أن تنام؟

(رازي): في الحقيقة لا أشعر بالجوع أو النعاس.. لقد نمت كثيرًا في القطار.

(مريم): وأنا كذلك.. ماذا تقترح أن نفعل؟

(رازي): لا أعرف.. بالعادة أكون نائمًا في هذا الوقت كي أستيقظ باكرًا لمساعدة أمي في قضاء حوائجها.

(مريم): ما رأيك أن آخذك في جولة في المكان؟

(رازي): حسنًا كما تشائين.

جالت السيدة مع الشاب في مرافق القصر بالطابق السفلي ابتداءً من البهو الشاسع مرورًا بغرفة الطعام الكبيرة والمطبخ الأكبر والذي علق عليه (رازي) عند رؤيته قائلًا: «هذا المطبخ أكبر من منزلنا بالقرية»

[illegible] وقالت: أنت لم تشاهد مكتبي بعد [illegible]

[illegible]

[illegible]

(مريم) مشيرة للباب: هيا.. ادخل

[illegible]

(مريم) باسمة: ما رأيك؟

(رازي) وهو مدهوش: لم أتخيل أنَّ هناك مكانًا بهذا الشكل!

(مريم): جميل أليس كذلك؟

(رازي) وهو يسير على السجاد المنقوش لوسط المكان [illegible]

تفاصيله. باهر بلا شك لكن جميل.. لا أعرف

(مريم): ماذا تقصد؟

(رازي) ماسحًا سطح إحدى التحف المنتشرة: أرى أن مدى سهولة الحصول على شيء ما في أي وقت هو ما يحدد معيار جماله

(مريم): يمكنك أخذ أي شيء تريده.. أي شيء تشير إليه بسبابتك سيكون ملكك.

(رازي) مبتسمًا بحزن محدقًا بالتحفة. هل تذكرين شجرة التوت؟

(مريم): التي جلسنا تحتها؟

(رازي): نعم.. هل تعرفين لم كانت جميلة ذلك اليوم؟

(مريم): لا.. أخبرني

(رازي): لأنها لا تثمر طيلة العام. تلك الشجرة بالذات من بين أشجار التوت الأخرى بالغابة تثمر فقط لأيام معدودة بالسنة وتكون في أبهى صورها وقمة عطائها، وبعدها تتساقط ثمارها ومعظم أوراقها وتبقى شبه جرداء ومع ذلك أحد حبي لها كما هو ورغبتي بزيارتها والاستظلال بظلها كل يوم لا تتغير.. هذا

[illegible]

(مريم) بحزن: نعم فهمت..

[illegible]

[illegible] (مريم) [illegible] (حنين) واقفة وتقول [illegible]

جاهز يا سيدتي.

[illegible] تلك الليلة وخلد (رازي) و(مريم) [illegible]

[illegible] مستيقظين طيلة الليل ولم يهنأ إلا بساعات قليلة من [illegible]

قبل الفجر.

مع بزوغ شمس الصباح دبّت الحياة في أرجاء القصر وحوله [illegible]

[illegible] فيه بممارسة أعمالهم اليومية الروتينية، فالبستاني [illegible]

عن الحديقة الكبيرة بدأ بسقي وتشذيب الشجيرات. و[illegible]

(حنين) ينتظر عند المدخل يمسح زجاج السيارة و[illegible]

[illegible] يقمن بتنظيف وترتيب الغرف والتحف في [illegible]

[illegible] في حلية نحل تحت إشراف (صباح)، حيث [illegible]

لمحت سيدتها تنزل من الطابق العلوي فسارت بخطوات متسارعة لاستقبالها وعند بلوغها أسفل السلم وضعت كفيها بعضهما فوق بعض على بطنها وقالت بنبرة مرحبة وابتسامة عريضة: صباح الخير يا سيدتي.. كيف كان نومك؟

(مريم): صباح الخير (صباح).. هل أعددتِ الإفطار؟

(صباح): نعم.. كل شيء جاهز كما هو معتاد.

(مريم): هل استيقظ السيد (رازي)؟

(صباح): لا يا سيدتي.. هل ترغبين مني بإيقاظه؟

سرحت (مريم) لثوانٍ أمامها في باب القصر المفتوح والمطل على الجنينة الكبيرة وأخذت نفسًا عميقًا وقالت بعد ما زفرته: لا.. اتركيه يرتخ قليلًا.. نادي على (جابر) أريد الحديث معه.

(صباح) حانية رأسها: أمرك.

خرجت (صباح) لفناء المنزل وسارت (مريم) نحو المائدة في غرفة الطعام وتزامن دخولها للغرفة مع عودة (حنين) من المطبخ وهي تحمل طبقًا من العجة بيد وباليد الأخرى طبقًا من السلطة الخضراء

وضعتهم أمام الكرسي المعدّ للسيدة. جلست (مريم) في مكانها بعد وقالت لـ (حنين) ونظرها يجول حول المائدة متفحصة لأصناف المعروضة: كيف حالك اليوم يا (حنين)؟

(حنين) دافعة ظهر الكرسي الخاص بالسيدة كي تقترب أكثر من سيدة: بخير يا سيدتي.. اشتقت لكِ!

(مريم): أين قهوتي؟

جرت (حنين) والتقطت إبريقًا كان على جانب الطاولة وسكبت بعض محتواه في كوب أبيض بأطراف مذهبة وحملته للسيدة ومدّته لها قائلة: تفضلي.

(مريم) تنهض من مكانها: أحضريه لي في مكتبي.

(حنين) بوجه متعجب وهي ممسكة بالكوب الساخن: ماذا عن الإفطار؟

لم تجبها السيدة وأكملت سيرها نحو مكتبها، لكن وقبل أن تصل دخلت (صباح) ومن خلفها (جابر) الذي خلع قبعته وحنى رأسه قائلًا: صباح الخير سيدة (مريم).. بم تأمرين؟

(مريم) مستأنفة سيرها: اتبعني..

بعد دخولهما للمكتب توجهت (صباح) بخطوات متسارعة نحو غرفة الطعام ودخلت على ابنتها لتجدها واقفة وكوب القهوة بيدها والمائدة لم تمسّ فقالت: ماذا حدث؟ لمَ لم تتناول السيدة إفطارها؟

(حنين): لا أعرف.. لا تريد سوى قهوتها في مكتبها

(صباح): ولمَ لا تزالين واقفة هكذا؟! خُذي إليها في الحال!

(حنين) بتوتر: حاضر! حاضر!

وقفت (حنين) أمام باب المكتب وطرقت الباب بيد وباليد الأخرى وازنت كوب القهوة الساخن أمسكت بعدها بالمقبض وأدارته ودخلت لتجد (جابر) يقف أمام (مريم) الجالسة على مكتبه تتحدث معه. وضعت (حنين) كوب القهوة أمام سيدتها المندمجة في حديثها مع السائق ووقفت صامتة بالقرب منها وسمعتها تقول له: «وأريدك أيضًا أن تعامله مثلما تعاملني تمامًا وتنفذ أوامره وكأنها صادرة مني.. هل فهمت؟»

(جابر) حانيًا رأسه: مفهوم يا سيدة (مريم)!

(مريم) حملة كوب القهوة الذي وضع أمامها: يمكنك الانصراف الآن.

وضع السائق قبعته على رأسه ورحل..

(مريم) لـ (حنين) بعد ما أخذت رشفة من قهوتها: متى موعد درسك مع الأستاذ (نظام) اليوم؟

(حنين): الساعة التاسعة كالمعتاد في غرفة الطعام يا سيدتي.

(مريم): عندما ينتهي أخبريه أني أريد مقابلته هو الآخر.

(حنين): أمرك.. هل تأمرين بشيء آخر؟

(مريم): نعم.. عندما يستيقظ السيد (رازي) أبلغيني على الفور.. يمكنك العودة لعملك الآن.

(حنين) تهم بالرحيل بعد ما حنت رأسها: حاضر.

سارت (حنين) تجاه باب الخروج وقبل أن تصل إليه فُتح أمامها ليدخل (مالك) باسطًا ذراعيه رافعًا يديه في الهواء وبصوت مرتفع متحمس قال: هذا الصباح بهيج بوجودك بيننا يا ابنة عمي! أنورت القصر بعودتك!

(مريم) مكملة تناولها لقهوتها الساخنة ونظرة باردة [illegible]

(مالك).

(مالك) لـ (حنين) وهو يشد ربطة عنقه ويسير تجاه (مريم) أغلقي الباب خلفك.

(حنين): حاضر يا سيد (مالك).

خرجت (حنين) وأغلقت الباب خلفها بينما جلس (مالك) أمام (مريم) وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال: لقد قلت بأنكِ ستمضين أسبوعًا في تلك القرية.. لم عدتِ بعد أربعة أيام فقط؟

(مريم) واضعة ساقًا على ساق آخذة رشفة من قهوتها ونظرها للشرفة المطلة على حديقة القصر: هل أنت مستاء من عودتي؟

(مالك) ضاحكًا: لا لا أبدًا.. بالعكس تمامًا لقد افتقدناكِ جميعًا!

(مريم): أليس من المفترض أن تكون هذا الوقت في المصنع؟

(مالك): بلى.. كنت في طريقي إليه لكن كان لا بد أن أعرِّج هنا أولًا لأطمئن...

(مريم) موجهة نظرها نحوه وبتجهم بسيط: تطمئن على ماذا؟

[illegible] بالطبع.. ولأرى إن كان هناك شيء تحتاجينه مني

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بدفع راتبك

(مالك) لم تتحدثين معي بجفاء؟ هل هذا بسبب [illegible] جلبته معك؟

(مريم) بخليط من العصبية والتجهم هذا هو أسلوبي معك [illegible] انتبهت لك.. ولا تتدخل في أمور لا تعنيك.. [illegible] الآن من أمامي وتوجه للمصنع قبل أن ترى ما هو أقسى من جفاء الحديث!

وقف (مالك) وشد ربطة عنقه [illegible] معك بعض الأمور..

(مريم) حاملة كوب قهوتها مقربة طرفه من شفتيها: رافقتك السلامة..

بعد ما انتصف (مالك) في طريقه نحو باب الخروج استوقفته (مريم): انتظر!

استدار باسمًا وقال: نعم.. هل نسيت شيئًا؟

(مريم): في المرة القادمة لا تدخل دون استئذان.. لم أوبخك أمام (حنين) واحترمت مشاعرك هذه المرة، لكن لو كررتها مرة أخرى فلن أتردد بتقويمك أمام الجميع.. واضح؟

(مالك) وابتسامته تتحول لعبوس: واضح

خرج (مالك) وترك الباب خلفه مفتوحًا وبعد عدة دقائق ظهرت (صباح) ووقفت عند مدخل المكتب ممسكة بيديها صينية لكنها لم تدخل حتى انتبهت (مريم) لها وأشارت لها بالدخول، وضعت (صباح) الصينية التي احتوت على بعض الطعام من مائدة الإفطار فوق سطح المكتب وقالت: لمَ لم تتناولي إفطارك اليوم يا سيدتي؟.. هذا ليست من عادتك

(مريم) مكملة احتساء قهوتها ونظرها أمامها: شهيتي مفقودة اليوم.

(صباح): لا بد أن تأكلي شيئًا

(مريم): كم الساعة الآن؟

(صباح) مديرة نظرها لساعة كبيرة معلقة خلفها: قاربت على الثامنة.. هل لديك موعد ما يا سيدتي؟

(مريم) سارحة في الباب المفتوح: يضيع الكثير من الوقت خلال محاولة توفيره..

(صباح) معيدة نظرها لسيدتها التي بدت عليها ملامح الاكتئاب والحزن: ما بكِ يا سيدتي؟ منذ أن عدتِ من سفرك وأنتِ لستِ على طبيعتك.. هل هناك خطب ما؟

(مريم) وسرحانها ينقطع بنبرة زافرة وهي تضع الكوب أمامها: لا.. كل شيء على ما يرام.. عودي لعملك واتركي مائدة الإفطار على حالها حتى يستيقظ السيد (رازي) ويتناول إفطاره.

(صباح): أمرك.

أمضت السيدة صباحها في مكتبها ولم تخرج ولم يكن ذلك من عوائدها، فقد اعتادت كل صباح بعد تناولها للإفطار أن تأخذ جولة في حديقة قصرها ثم تتوجه بعدها لإصطبل الخيول الذي تملكه وتختار فرسًا أو جوادًا تمتطيه وتكمل جولتها على ظهره والتي تستغرق في العادة من ساعة إلى ساعتين، تعود بعدها وتأخذ حمامًا وتغير ملابسها وتخرج مع (جابر) لتفقد أعمالها، ثم تعود بعد الظهر لتناول غدائها وتأخذ قيلولة تستيقظ منها قبل غروب الشمس الذي تراقبه في مكان مخصص يجهزه لها العاملون بالحديقة. لكن هذا الروتين اليومي تغير ذلك اليوم ببقائها في مكتبها تحتسي القهوة وحدها مما أثار بعض الأحاديث الجانبية بين الخدم والعاملين [illegible] من هذا التغير المفاجئ، لكن (صباح) أنهت تلك النقاشات الجانبية ومنعتها وعللت ذلك بوجود ضيف في القصر وأنّ السيدة لا بد وأنها لا تريد الخروج وتركه.

عندما دقت الساعة تمام التاسعة حضر السيد (نظام)، وهو معلم في العقد السادس من عمره كلّفته (مريم) بتعليم (حنين) دروسها التي لم تعد تحضرها بالمدرسة بعد أن انضمت لوالدتها في العمل

[illegible] موقع المدرسة [illegible] ذهاب والعودة للمدرسة سوف تستغرق وقتاً طويلاً [illegible] (مريم) [illegible] هذا الانقطاع إلا أن (صباح) هي من [illegible] أن ذلك أهم من [illegible] (حنين) قررت السيدة تعويضها بمعلم خاص يقوم [illegible] مدة ساعتين على الرغم من عدم اقتناع أمها بأهمية ذلك لكنها لا تستطيع معارضة رغبة سيدتها. فتحت (حنين) باب القصر بعد سماع طرقاته وقالت باسمة لمعلّمها الواقف عند عتبته وحقيبته الجلدية السوداء تحت إبطه: صباح الخير أستاذ (نظام)!

(نظام) يبادلها الابتسام دافعًا نظّارته بسبابته للأعلى: أهلًا بطالبتي النجيبة.

(حنين) مشيرة لمعلمها بالدخول وبنبرة مرحبة: تفضل [illegible] جاهزة للدرس!

أخذ الأستاذ (نظام) يضع خطوات للأمام، التف بعدها باتجاه غرفة الطعام حيث اعتاد هو و(حنين) الجلوس فيها من أجل الدروس، وبعد دخوله لاحظ أنّ مائدة الإفطار لم ترفع ولم يكن هناك [illegible]

[illegible]

[illegible]

(نظام) [illegible] أصناف طعام المائدة.

[illegible]

(حنين) هل بدأ الدرس الآن؟

(نظام) يجلس عند طرف الطاولة واضعًا حقيبته أرضًا بجانبه: وكيف سيبدأ؟ لا يوجد مكان لأضع حتى قلمي!

(حنين) وهي ترفع الأواني من أمامه وتنقلها لعربة طعام صغيرة مركونة بجانبها: أمهلني دقائق فقط!

بعد ما انتهت (حنين) من إزالة معظم ما كان في وجه السيد (نظام) رفع حقيبته وأخرج منها كتابين وثلاثة أقلام ووضعها على المساحة التي توفرت أمامه، بينما كانت (حنين) منهمكة بإزاحة المزيد من الأطباق والأواني. بعد ما انتهت جلست بجانبه باسمة فقال لها: أين كرّاستك وقلمك؟

(حنين) واضعة كفها على جبينها: لقد نسيتهما بغرفتي!

(نظام): ماذا تنتظرين إذاً؟

(حنين) ناهضة من مكانها على عجالة: أن آسفة! سأعود في الحال!

وضع المعلم كوعيه فوق سطح الطاولة وعقد أصابع كفيه مسندًا ذقنه فوقهما وبدأ يحدق بصمت في التحف واللوحات الموزعة في أرجاء الغرفة ريثما تعود الصبية بكراستها وقلمها، وخلال ذلك دخل عليه (رازي) بوجه يخالطه الحيرة والتوتر فنهض (نظام) من مكانه ومد كفَّه قائلًا: أهلًا بك.. أنا السيد (نظام).

(رازي) مصافحًا السيد (نظام) بنصف ابتسامة قلقة: أنا (رازي).

(نظام) وهو لا يزال قابضًا على كف (رازي) ويهزها بقوة: تشرفنا سيد (رازي).. هل أنت موظف جديد هنا؟

(رازي): نعم.. أعتقد.

(نظام) ضاحكًا: تعتقد؟!

أفلت المعلم يد (رازي) وجلس على كرسيه وأشار له بالجلوس أمامه ففعل..

(نظام) باسمًا: أخبرني الآن.. ما الذي «تعتقد» أنك ستعمله هنا؟

(رازي): في الحقيقة لا أعرف حتى الآن.. هذا أول يوم لي

(نظام) بتعجب: عربيت . هل تعمل بأجرة الساعة؟ ... ما هي مؤهلاتك؟

(رازي): مؤهلاتي؟

(نظام): نعم مؤهلاتك. شهاداتك خبراتك بمعنى آخر ما الأعمال التي تجيدها؟

شعر (رازي) بالتحرج والضيق من أسئلة السيد (نظام) المتتابعة فلاحظ عليه ذلك وقال: أعتذر لأني أتدخل فيما لا يعنيني كنت أحاول فقط تجاذب أطراف الحديث معك.. انسَ الأمر.

(رازي): لا أبدًا العفو أنت لم ترتكب أي خطأ.. أنا من يعتذر لأني لا أملك إجابة.

(نظام) ممسكًا بأحد الكتب التي وضعها سابقًا أمامه قائلًا: على أي حال تشرفت بمعرفتك يا سيد (رازي).

ضم (رازي) كفّيه وبدأ يفركهما ببعض وأنزل رأسه وبقي على تلك الحالة حتى عادت (حنين) حاملة كرّاستها وقلمها معها وما أن رأته قالت له: صباح الخير سيد (رازي) كيف حالك؟ كيف كانت إقامتك؟ هل نمت بشكل جيد؟

هز (رازي) رأسه بالموافقة دون أن ينطق بأية كلمة وعلامات الندم وعدم الارتياح بادية على وجهه..

(حنين): هل ترغب في أن أحضّر بعض طعام الإفطار؟

(نظام): ماذا عن درسك؟

(حنين) باسمة: أستسمحك يا معلمي في بعض الدقائق فقط لأن السيدة (مريم) أوصتنا بأن نهتم بالسيد (رازي).

(نظام) رافعًا معصمه أمام عينيه ناظرًا في ساعته: لديك خمس دقائق فقط!

(رازي): لا لا.. لست جائعًا.. يمكنك البدء مع معلمتك.

(حنين): هل أنت واثق؟

(نظام): اجلسي يا (حنين) وكفّي عن المراوغة.

(رازي) لـ (حنين): نعم واثق شكرًا.

حضنت (حنين) كراستها باسمة وجلست على الكرسي بين (رازي) ومعلمها الذي استهلّ معها الدرس بقوله: هل أنهيت الفرض الذي طلبته منكِ بالأمس؟

(حنين) فاتحة كراستها: بالطبع!

أمضى المعلم وتلميذته نصف ساعة من الدرس و(رازي) يراقبهما صامتاً حتى خرجت (صباح) من المطبخ ورأتهم بتلك الحالة فاقتربت منهم ووضعت كفها على كتف (رازي) بهدوء وقالت بسرعة خافية: صباح خير سيد (رازي).

(رازي) ملتفتاً إليها: صباح الخير سيدة (صباح).

(نظام) دافعاً نظارته بسبابته: سيدة (صباح).. هل يمكن أن نحظى ببعض الهدوء

(صباح): نعم بلا شك سيد (نظام).. المعذرة!

وضعت (صباح) سبابتها على شفتيها الباسمتين ثم أشارت لـ (رازي) بأن يتبعها للمطبخ فنهض من مكانه ولحق بها. بعد دخولهما سحبت له أحد الكراسي المنتشرة في ذلك المطبخ الكبير وقالت له: سامحني يا سيد (رازي) على إحضارك إلى هنا فالمكان لا يليق بك، لكن أمهلني بضع دقائق وسوف أعد لك مكانًا للجلوس في الحديقة لتتناول إفطارك ريثما أبلغ السيدة (مريم) باستيقاظك.

(رازي): لا يوجد شيء يستحق الاعتذار.. في الحقيقة هذا هو أول مكان أشعر فيه بالراحة منذ دخولي للقصر

(صباح) ممازحة: أهذه الدرجة أنت جائع؟

(رازي) بابتسامة حزينة: لا ليس كذلك [illegible]

المكان الوحيد الذي أستطيع أن أكون فيه على سجيتي

(صباح): كن كما تريد في أي مكان [illegible].. نحن هنا عائلة واحدة.

(رازي): وهل أفراد العائلة [illegible]

(صباح) باسمة: لم تحب [illegible]

(رازي): أي شيء لا يسبقه [illegible]

(صباح): حسنًا يا بني.. [illegible]

(رازي) ممازحًا: ما حكاية الأثل [illegible]

يريدون إطعامي

(صباح) مخرجة طبقًا من [illegible]

(مريم).

(رازي): تعليماتها هي إطعامي؟

(صباح) واضعة رغيفًا من الخبز على الطبق: تعليماتها أن نقدم لك كل ما تريد

(رازي): أريد أن أرى الشمس..

(صباح) ملتفتة إليه: الشمس؟

(رازي): نعم.. هل أستطيع الخروج لفناء المنزل؟

(صباح) بتطبع.. هل تريد أن أرشدك للطريق؟

نهض (رازي) من مكانه وقال قبل أن تهم بالخروج من المطبخ: لا.. أستطيع أن أجد طريق الخروج بنفسي.. شكرًا يا سيدة (صباح) على حسن استقبالك.

(صباح) بسمة: (صباح) فقط..

ابتسم (رازي) وسار خارجًا من المطبخ ومرورًا بغرفة الطعام حيث كان (نظام) لا يزال يلقن (حنين) درسها وعند رؤيتها لـ (رازي) يسير بخطوات سريعة وحذرة لتجاوزهما بهدوء وضعت كفّها على فمها كاتمة ضحكتها وراقبته حتى خرج للبهو دون أن ينتبه له معلمها المنهمك في تقييم فرضها المنزلي. فتح (رازي) إحدى درفتي باب القصر الكبير وأخذ نفسًا عميقا بأعين مغمضة عندما هبت عليه نسائم ريح باردة بالرغم من أن الشمس كانت ساطعة بقوة ذلك اليوم، ليفتح عينيه بعدها متأملًا البستان الأخضر الممتد

في الأفق أمامه والذي [illegible]

أشجار التفاح المثمرة [illegible]

(رازي) بضع دقائق [illegible] ويده لا

تزال على المقبض المذهب [illegible]

انقطعت حالة السرحان تلك [illegible]

الأرض الرخامية أمامه وأخذ [illegible]

ويغرد قبل أن يعاود التحليق مرة أخرى [illegible]

اللحظة برغبة غريبة للتحليق مثله [illegible]

اكتفى بالمشي بخطوات بطيئة نحو أقرب [illegible]

مسندًا ظهره لجذعها ومستظلًّا بظلها متأملًا في [illegible]

وبينما هو جالس مستمتعٌ بمراقبة السماء شعر (رازي) بحكة في عنقه

فمسح بباطن يده على ظهره ليرى أن مجموعة من النمل قد [illegible]

عليه فنهض مفزوعًا يمسح ويضرب قفاه محاولًا [illegible]

الذي غزا جسده وخلال قيامه بذلك سمع رجلًا [illegible]

قائلًا: «هل أنت بخير؟»

وجه (رازي) نظره لمصدر الصوت ليرى رجلًا [illegible]

ويلبس قفازات سميكة واسعة وقبعة كبيرة، وقال له: نعم نعم

بعض النمل ضايقني فقط..

تبسم الرجل وقال: أنا لم أرك من قبل هنا

(رازي): ولا أنا رأيتك من قبل

ضحك الرجل وقال: أنت ظريف.

(رازي): لا أنا (رازي).. وأنت؟

غرس الرجل أنصال مقصه الكبير في تربة الأرض العشبية وخلع قفازه الأيمن وأخذ يضع خطوات نحو (رازي) بيد ممدودة قائلًا:

أنا البستاني هنا..

(رازي) مصافحًا الرجل: تشرفنا سيد بستاني!

(البستاني) ضاحكًا وضاربًا كتف (رازي) بكفِّه: أنت شخص مثيرٌ للاهتمام!

(رازي) ماسحًا كتفه: لم تقول ذلك؟

ضرب البستاني بقبضته جذع الشجرة خلف (رازي) لتهتز وتسقط منها ثمرة تفاح ناضجة التقطها باليد نفسها قبل وقوعها على الأرض وقرّبها من فمه ونفخ عليها ثم مسحها بصدره ومدّها لـ

(رازي) قائلًا: خذ.. تناول هذه

أخذ (رازي) التفاحة ولكنه لم يقصمها..

(البستاني): ما بك؟ ألا تحب التفاح؟

(رازي): بالعكس، لكني لا أشعر بالجوع الآن

(البستاني): ليس من الضروري أن تكون جائعًا لأخذ قضمة منها

(رازي): ماذا تقصد؟

نزع البستاني المقص الكبير من الأرض وهمَّ بالرحيل وقبل رحيله قال باسمًا: سعدت بلقائك.. أتمنى أن نستأنف حديثنا مستقبلًا..

(رازي) محدثًا نفسه وهو يراقب البستاني يسير مبتعدًا عنه: عن ماذا يتحدث هذا الرجل الغريب؟

بعد اختفاء البستاني عن أنظاره عاود الجلوس لكنّه هذه المرة لم يجلس تحت شجرة التفاح حيث تقيم مستعمرة النمل بل استلقى فوق العشب الأخضر وبقي يحدّق بالسماء مسندًا رأسه لكفّيه بعد ما وضع التفاحة على صدره. بالرغم من أن قرص الشمس وقتها كان قد ارتفع واقترب من توسط السماء وأشعتها ازدادت توهجًا وحرارة لكنه لم يأبه وكان مرتاحًا لدرجة أن عينيه غفتا بعد ما هبت

عليه بعض نسمات الباردة استسلمت تلك الغفوة وطالت وكأنَّ (رازي) لم ينم ليلة البارحة، ولم يفق منها إلا عندما أحس بيد تربت برفق على فخذه ففتح عينيه ببطء ليرى (مريم) جالسة بجانبه تبتسم له ممسكة بالمفتاح الذي كان فوق صدره. جلس (رازي) وقال: سيدة (مريم)؟

(مريم) باسمة: ماذا تفعل هنا؟

مسح (رازي) على عنقه بوجه باعس ونظر أمامه ورأى أنّ الشمس قد بدأت تغرب في الأفق الذي توهّج حمرة وقال: كم لبثتُ هنا؟

(مريم): ساعات طويلة.. لقد افتقدتك بعد الظهر وعندما وجدتك هنا لم أرغب بإزعاجك لكني قلقت عليك عندما أطلت في النوم وقررت إيقاظك.

(رازي) فاركًا عينيه براحة يده: لا أعرف ماذا حدث لي.. كنت فقط.. لا أدري

جلست (مريم) بجانبه وقالت: يمكنك أن تخبرني بأي شيء يدور بخلدك..

(رازي) موجهًا نظره للغروب زافرًا: لا أشعر بالراحة في هذ المكان.

(مريم) ممازحة: كل هذه الساعات في النوم ولا تشعر بالراحة؟

(رازي) بحزن: لا أقصد هذا النوع من الراحة.

(مريم) تشاركه النظر للغروب: أعرف.. هذا أمر طبيعي ومع مضي الوقت ستتأقلم

(رازي): لم أشعر من قبل بهذا الشعور.

(مريم): أي شعور؟

(رازي) ملتفتًا إليها: بعدم الانتماء..

صمتت (مريم) لثوانٍ تتأمل عينيه الحزينتين ثم قالت: أعدك بأنك ستتجاوز هذا الشعور

(رازي): وإذا لم أتجاوزه؟ ماذا لو خذلتك وخذلت أبي.. ماذا لو لم أحقق ما تصبوان إليه؟

(مريم) باسمة: من الجميل أن أعلم أني أتجول في بالك.. اسمع يا (رازي) نحن لا نريد لك شيئًا سوى أن تكون سعيدًا.

(رازي): أشعر بأن الحياة ستعاقبني لأني سعيت لما هو أكثر مما قدمته لي.

(مريم): لمَ تقسو على نفسك هكذا؟ أنت تستحق أكثر!

[illegible]

[illegible]

(مريم): [illegible]

ذلك ليس إسرافا..

(رازي): [illegible]؟ هل تبحثين أنت أيضا عن سعادة [illegible]؟ [illegible] أنك قد بلغت منتهاها.. ألم تحقق لك كل هذه الأموال السعادة؟

تبسمت (مريم) وحادت بنظرها جانبًا عن (رازي) كي لا يلمح دمعة باغتتها مسحتها على الفور وقالت: المال يمكنه شراء المتعة لكن ليس السعادة.. جميعنا نبحث عن السعادة ولكن كلٌّ يبحث عنها بطريقته الخاصة..

(رازي): وأين سنجدها؟

(مريم): أعتقد أن السعادة لا يمكن أن تباع أو تشترى لكنها تهدى فقط.. يهديها لك شخص آخر يكنُّ لك قدرًا من المحبة كفيلًا بأن يجعله يقدمها لك بلا قيد أو شرط وتكتمل تلك السعادة بقبولك لها..

(رازي): العطاء إذًا هو مصدر السعادة..

(مريم) نعم. لن تحيي قبل أن تزرع وليس كل ما [illegible]
[illegible] لا يثمر وإن أثمر فقد تكون تلك الثمار مُرّة [illegible]
[illegible] لكن لو تمكنت من الصمود للنهاية فستقطف [illegible]
[illegible] وقتها ستشعر بالسعادة الحقيقية.

(رازي): للتوّ تذكرت مقولة كانت أمي ترددها دائماً..

(مريم) معيدة نظرها نحو (رازي): ماذا كانت تقول؟

(رازي): «الحياة بلا عطاء كالقدْر بلا غطاء..» كانت تقولها لأني عندما يتقاعس عن القيام بشيء تطلبه منه وهو يرد بقوله: «مصادر الراحة والسعادة الحقيقية هي الاستغناء والاكتفاء وعدم الانشغال بما لا يخصك..» وينتهي جدالهما بأن ترمي أمي عليه حذاءها.

ضحكت (مريم) لكنّ عينيها غرقتا بالدموع في الوقت ذاته، وفي محاولة منها لكظم تلك المشاعر المتضاربة التي عصفت في [illegible] قامت بقضم التفاحة والنهوض متحاشية نظرات (رازي) [illegible] (رازي) مراقباً (مريم) الواقفة بجانبه وهي تأخذ قضمة [illegible] من التفاحة وتمسح دموعها بساعدها وبنبرة خالطها [illegible] لا أقصد أن أضايقك.

مدّت (مريم) يدها نحو (رازي) فأمسكها لتشده وتعاونه على النهوض ثم قالت وهي تمد التفاحة المقضومة له: منذ اليوم سنبدأ.

(رازي) ممسكاً بها: نبدأ في ماذا؟

(مريم): في البحث عن السعادة.. ولن نتوقف حتى نجدها.. هل تعدني بأن ترافقني طيلة الطريق مهما كانت المصاعب التي سنواجهها؟

(رازي) آخذاً قضمة من التفاحة: أعدك..

عصفور باليد

مضت الأيام والأسابيع وخلالها قامت (مريم) بكل ما في وسعها لتقدم لـ (رازي) كل ما يحتاجه ليُنقلم مع حياته الجديده ووضعت له جدولًا يوميًّا مكثفًا تخلَّله العديد من المهام فكان (رازي) يستهل يومه بتناول الإفطار معها يتبعه ثلاث ساعات من الدروس الخاصة مع السيد (نظام) الذي وجّهته بتأخير موعد دروسه مع (حنين) ليفسح المجال لتعليمه القراءة والكتابة والحساب، وبالرغم من أنَّه كان متأخرًا جدًّا في تعليمه إلا أن دروس المعلم المكثَّفة آتت ثمارها خلال فترة وجيزة لرغبة (رازي) الشديدة بالتعلم. بعد انتهاء درس السيد (نظام) تقوم (مريم) بالجلوس معه على الغداء والحديث معه عن تعلُّمه وتناقشه في أدق التفاصيل وكانت تستمتع جدًّا بالإنصات إليه وهو يتحدث بحماسٍ وسعادةٍ عن إنجازاته وتقدمه وكيف أنَّ معلمه كان يثني عليه على الدوام.

عقب وجبة الغداء يكمل (رازي) جدوله الذي وضعته له (مريم) ويخرج مع السائق (جابر) ليأخذه لمصنع الأقمشة الذي تملكه

كانت السيدة (مريم) تنتهز جدًّا بتلك اللقاءات المتقطعة مع (رازي) وتجد متعة كبيرة وهي تشاهد تطوره وتألقه وكيف يكتشف الكثير عن نفسه ويحدثها عن ذلك بكل انتشاء وسعادة، لكن اللقاء الذي كانت له أكثر توقٍ هو لقاؤها معه يوم الجمعة حيث يكون الجميع هذا اليوم في إجازة ولا يبقى غير (صباح) وابنتها وحتى هاتان كانتا تخرجان للسوق معظم النهار بعد انتهائهما من إعداد الغداء وتعودان قبل المساء لتجهيز وجبة العشاء.

لقاءات خمعة كانت غريبةً وجميلة في الوقت نفسه فلم يكن

[illegible]

أخرى يصادف (مريم) في الطريق أو خلال [illegible]

مصنع وعندها يتجادلان فيها لأحاديث [illegible]

أن السيدة كانت تستمع بتلك الأحاديث العصيرة معه إلا أنه لم تحره قط على البقاء أكثر مما يريد أو تستدعه للجلوس معها في مكتبها الذي تمضي فيه معظم وقتها. تلك الأحاديث كانت تطول من وقت لآخر وتمتد وتتشعب لدرجة أن (رازي) خاض معها في إحدى المرات حديثًا مطولًا قدم لها فيه بعض الاقتراحات لتطوير عمل المصنع ومن ضمنها تحسين ظروف العمل للعاملين ورفع أجورهم لأنه احتك بهم بشكل مباشر وسمع شكاويهم التي كان يتجاهلها (مالك) ولا يلتفي لها بالًا، لكن (مريم) لم تنفذ أيًّا من اقتراحاته واكتفت بالإنصات له وهو بدوره لم يُصرّ لأنه كان يتحدث بشكل عابر. ينتهي جدول (رازي) عادة بعد العشاء حيث يكون وقتها في حالة من التعب والإرهاق تقوده مباشرة فراشه في غرفة الضيوف في الطابق العلوي ليغط في نوم عميق

[illegible]

حماس وانضباط.

بعد مضي [illegible] (رازي) مبلغ [illegible] (نظام) [illegible] عمله الجزئي في المصنع تحت إشراف (مالك) [illegible] بنفسه وأصبح يتحدث ويتصرف بشكل مختلف خاصة مع الدعم المطلق الذي منحته إياه السيدة (مريم)، ففي كل فرصة [illegible] التقليل من [illegible] لا يجيد شيئا [illegible] صارمة وواضحة [illegible] (رازي) في الإلمام بالعمل وأن مركزه مهدد لو فشل في هذا، وهذا ما أجبره على بذل جهد أكبر معه لم يكن سيبذله لولا تلك الضغوط والتهديدات، وعلى النقيض كان السيد (نظام) وقبل رحيله يجتمع بالسيدة (مريم) ويثني عليه كثيرًا وعلى سرعة استجابته وتقدمه مما دفعه لتقديم اقتراح دمج حصص (حنين) معه.

(مريم): هل من الضروري أن تكون دروس (حنين) مشتركة مع (رازي)؟

[illegible] مع السيد

[illegible] مر بدا يرمقني قليلا

[illegible]

[illegible]

ـك ما تشاء.

[illegible] أن تمر [illegible]

[illegible]

[illegible] لم تكن مقتضبًا ولم تتناول إلا

[illegible] (رازي) هذا وقال [illegible] يا سيدة (مريم)؟

[illegible] فهوتها: لا شيء .. لم تسأل؟

[illegible] متهجة ككل صباح.. أهلك [illegible]

[illegible]: لا تشغل [illegible]

[illegible] هل أطلب من (حامد) أن يستدعي لك [illegible]

(مريم) وهي تنهض: الأمر لا يستدعي.. سوف أذهب لمكتبي ريثما تنتهي من درسك مع الأستاذ (نظام).

(زاري) وهو يراقبها تسير خروجًا من غرفة الطعام بتعجب: حسنًا.. أراكِ وقت الغداء إذًا..

أكملت (مريم) سيرها ولم تردّ عليه..

بعد خروج السيدة من غرفة الطعام تحركت (صباح) التي وقفت عند طرف المائدة وحملت كوب قهوتها لتأخذه لمكتبها وقبل أن تخرج سألها (زاري): ما بها السيدة (مريم)؟

(صباح): لا تقلق يا (زاري) مجرد تعب بسيط مثلما أخبرتك.. اطمئن

(زاري) رافعًا حقيبته التي تحتوي على كراساته وأقلامه فوق سطح الطاولة: حسنًا..

بقي (زاري) يجهز أدواته الدراسية بينما بدأ الخدم برفع الأطباق والأواني من على الطاولة، وخلال ذلك طُرق الباب فخرجت (حنين) جريًا من المطبخ مرورًا بغرفة الطعام وفتحته وقالت بصوت مرحب: أهلًا سيد (نظام) تفضل!

(نظام) وهو [illegible]

(حنين) [illegible]

عشرة والآن [illegible]

(نظام) [illegible]

(حنين) بحماس: حقًّا؟!

(نظام): نعم.. هيا اذهبي وأحضري كراستك

همّت (حنين) بالجري لكنها توقفت [illegible]

لكن أرجوك لا تعاقبني لأني [illegible]

خلال درس السيد (رازي)

(نظام): لا بأس.. اليوم أنت معفاة منه.. اليوم فقط

(حنين) بابتهاج: شكرًا! أمهلني فقط حتى أذهب وأحضر كراستي وقلمي!

(نظام) سائرًا نحو غرفة الطعام: لا تتأخري!

جرت (حنين) خارج القصر للتوجه للملحق المتصل به حيث كانت تقيم مع أمها لإحضار كراستها، بينما جلس الأستاذ (نظام)

[illegible]

[illegible]

حلها مرتين.

(نظام) متصفحًا الكراسة [illegible]؟

(رازي) [illegible] إياها وأخرى بطريقة أخرى وجدت أنها تختصر الكثير..

(نظام) ممعنًا النظر في طريقة حل (رازي) للمسألة: طريقتك مبتكرة.. أحسنت.

(رازي) يبتسم ويهز رأسه بفخر: شكرًا.

(نظام): لدي سؤال شخصي يا (رازي).. إذا لم تكن تمانع بالطبع.

(رازي): لا أبدًا يا أستاذ تفضل

(نظام): يوم التقينا أول مرة سألتك عن مؤهلاتك ولم أفهم سبب تحرجك من الإجابة وقتها حتى بدأت معك درسنا الأول.. شخص ذكي مثلك لم لم يسعَ للتعليم ودخول المدرسة في وقت مبكر؟ ماذا كان أكبر عائق أمام تعليمك؟

(زاري): سؤالك هذا مخرج لأن أكثر من السابق.

(نظام): مبتسمًا: لست مجبرًا على الإجابة لكني كمعلم زاودني [illegible] التساؤل وكيف أن عقولًا نيرة كثيرة لا تحظى بالفرصة التي تستحقها لتصبح أفضل.

(زاري): هل تعني أن التعليم يجعلني شخصًا أفضل؟

(نظام): نعم بالطبع.. هل لديك رأي مختلف؟

(زاري): التعليم يمنحني خيارات أكثر لكن لا دخل له بي وبشخصيتي.

(نظام): رأي مثير للاهتمام! ألا تعتقد أنّ الشخص المتعلم أكثر تهذيبًا من غير المتعلم؟

(زاري): قطعًا لا.. أمي قالت لي عندما أخرجتني من المدرسة بأن العمل لا يقل أهمية عن التعليم بل قد يكون أهمَّ منه.. أعرف أنها مخطئة ليس لأن التعليم كان سيجعلني شخصًا أفضل لكن بلا شك كان سيجعل حياتي أسهل.

(نظام): ولم تظن ذلك؟ ما الذي حرمت منه بحرمان أمّك لك من التعليم؟

(رازي): لأكون معك صادقًا، لا شيء، نقص تعليمي لم يسلمني الكثير ولم أشعر بالحاجة له إلى أن أُجرب مرارًا وتكرارًا بذلك.. هل تفهم ما أعني؟

(نظام): نعم.. وفي الحقيقة هناك وجهة نظر صحيحة في كلام أمك أتفق معها شخصيًّا على افتراض أنها عنت بالتعليم التعليم الأكاديمي وليس بشكل عام.

(رازي): ماذا تقصد؟

(نظام): لو أصبح كل من على الأرض أطبّاء ومحامين فمن سيصلح إضاءة الشارع؟ من سيزرع الزرع ويحصده.. من سيطرق الحديد ويبني ويعمّر البنيان؟ سؤال يجب طرحه على كل من يرغم المتعلمين على تجاهل رأي العرض والطلب في المجتمعات النامية متجاوزًا فرض الرغبة والشغف والهواية والهبة ومقنعًا الآخرين أن الحصول على أعلى شهادات التحصيل هو السبيل الوحيد الذي سيضمنون به مستقبلًا مشرقًا، متجاهلًا أن أغلب الحرف التي لا تتطلب تعليمًا أكاديميًّا عاليًا هي الأصل في ارتقاء الشعوب وخلق قاعدة اقتصادية صلبة للتنمية لكونها علومًا مهنية تتوارثها الأجيال

وتمنع من خلالها عقولًا تعرف كيف تفعل أكثر من كونها تعلم

(رازي): أنت تناقض كل مفهوم متعارف عليه في مجتمعنا.

(نظام): لا تسئ فهمي يا (رازي) فلا جدال في أن التعليم الأساسي كالقراءة والكتابة والحساب ركائز تنموية مهمة إلا أن التعمق فيها ليس من أساسيات النهضة ولا تتعدى كونها فرض كفاية إذا تعلمها البعض سقطت عن البقية، وهؤلاء البقية بدورهم يجب أن لا يكونوا أقل قدرًا ومكانة وتبجيلًا لمجرد كونهم غير متخصصين في علم من العلوم الأكاديمية البحتة التي تمنح فيها الدرجات العلمية علميًّ دون نتاج عمليٍّ ملموس ودون بذل جهد مضنٍ قبل التمكن من المنصب الذي يخوله وبكل أنواع الرضا المجتمعي أن يكون متطاولًا مستصغرًا عامل التكييف المحترف أو الخياط الذي يعالج رقعة ثوبه.. هم أجادوا الحياة وهو أجاد الكلام عنها..

(رازي): لكن يبقى التعلم واجبًا على الجميع

(نظام): نعم العلم والتعلم واجب وحق للجميع، والقراءة والكتابة هي البوابة الفطرية التي يتوق الإنسان للعبور منها متجاوزًا أميته لا أن الإصرار على الإجبار وإقحام الجميع في التعليم الأكاديمي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

السعي لتعلم ما يستهوونه.

(رازي) ضاحكًا: فجأة أحسست أن أدوارنا انعكست!

(نظام) مبتسمًا: نحن على النهج والخط أنفسهما نسير ولكن الفرق هو أننا نتحدث بعضنا مع بعض دون إصدار أحكام مسبقة..

في تلك اللحظة عادت (حنين) وسحبت الكرسي بجانب (رازي) وجلست عليه وهي متحمسة وقالت لـ (نظام): أنا جاهزة!

(رازي) لـ (حنين) المتحمسة: جاهزة لماذا؟

(حنين) لـ (رازي): السيد (نظام) يقول بأننا سنأخذ دروسنا معًا ابتداءً من اليوم.

(رازي) موجهًا نظره لمعلمه: هل هذا صحيح؟

(نظام) نعم. هل تمانع؟

(رازي) مبتسمًا: بالطبع لا. لكن أنا ما زلت في البداية!

[illegible]

[illegible]

(رزق) بسعادة: حسنًا لنبدأ!

(حنين) بسعادة مماثلة: نحن جاهزان!

ينهي الدرس المشترك في يومه الأول ورحل الأستاذ (نظام) تاركًا (رزق) و(حنين) يتذمران من كمية الفروض التي أعطاهما إياها:

(حنين) وهي تقلب صفحات كرّاستها: يبدو أن الأستاذ (نظام) يريد تطفيشنا من التعلم..

(رازي) ممسكًا القلم: على العكس تمامًا.. أجد أن هذه الفروض تشكل تحديًا جميلًا لي.

(حنين) بتذمر: ومتى يمكن أن أنجز هذا كله؟ بقي ساعة على موعد الغداء ويجب أن أذهب وأعاون أمي في المطبخ.

(رازي) وهو منهمك في حل فروضه: ماذا أقول أنا إذًا؟ يجب أن

أذهب للمصنع بعد العشاء مباشرة ولا أعود منه إلا متعبًا. ليس لدي غير هذه الساعة

(حنين) مقتربة منه ومطلة على ما يكتب: لم لا تأخذ الكراسة معك وتنهي فروضك في المصنع؟

(رازي): لا أستطيع فالسيد (مالك) لا يحب أن أنشغل بأمرٍ آخر، ثم إن العمل بالمصنع لا ينتهي.

(حنين): هل تريد مني مساعدتك؟ أملك وقتًا كثيرًا في المساء.

(رازي) باسمًا وهو مستمر بالكتابة ونظره على صفحات الكراسة: لا، شكرًا يا (حنين).. ساعة ستكون كافية لإنهاء فروضي كلها.

(حنين) واضعة كفها على كتف (رازي): صدقني أستطيـ..

قوطع حديثهما بصوت (مريم) التي دخلت للتو غرفة الطعام وقالت: ماذا تفعلين يا (حنين)؟

(حنين) رافعة يدها من عليه: كنت فقط أحاول أن..

(مريم) مقاطعة لها مجددًا وبنبرة هادئة لكن صارمة: اذهبي للمطبخ وعاوني أمك

(حنين) تنهض خافضة رأسها: أمرك!

[illegible] (حنين) بكراستها وتوجهت [illegible]

[illegible] حتى توقفت

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تراقبه بصمت..

[illegible]

[illegible]

الوقوف؟

[illegible]

تقول شيئًا..

[illegible]

[illegible]

ووضعه داخل حقيبته ونهض وهم بالخروج فاستوقفته (حنين) وهي تضع [illegible] منذ أمس؟ لن تتناول وجبة الغداء؟

(رازي) مكملًا طريقه خارجًا: بلى.. لكني سأذهب لغرفتي لأغتسل وأعود فورًا.

(حنين) باسمة: سنكون في انتظارك!

قبل أن يضع (رازي) قدمه على أول عتبة من السلم المؤدي للطابق العلوي سمع باب مكتب السيدة (مريم) يفتح ويخرج منه رجل لم يره من قبل يحمل معه حقيبة دبلوماسية سوداء ويسير متوجهًا نحو باب الخروج من القصر حيث كان (جبر) في استقباله وبدا أنه هو من أحضره وسوف يعيده من حيث أتى لأنه أخذ الحقيبة منه وقاده للسيارة المتوقفة بالخارج. أثار ذلك المشهد فضول واستغراب (رازي) لكنه لم يتطفل ولم يحاول سؤال (مريم) بعد ما جلسا معًا في مائدة الغداء التي لم تمس منها السيدة سوى بضع ملاعق من الحساء اكتفت بها ونهضت بعد ما مسحت فمها بمنديل قماشي أبيض. خرجت السيدة من غرفة الطعام تاركة (رازي) في حيرة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (زاري) [illegible]

حتى يعرف [illegible]

[illegible] فقرر الجلوس وانتظار (جابر) حتى يعود ويقله للمصنع

[illegible] (زاري) وقبه على مائدة الطعام يتصفح كراسته بصمت بينما

رفع الخدم الأطباق ومن بينهم (حنين) التي سألته: لم لم تذهب

للمصنع اليوم؟

(زاري) لم يعد (جابر) بعد من مشواره. أعتقد أنه يقوم بإيصال

أحد معارف السيدة (مريم).

(حنين) باستغراب: من تقصد؟

وصف (زاري) شكل الرجل صاحب الحقيبة الدبلوماسية السوداء

[illegible] فاتسعت عيناها وقالت مستذكرة بابتسامة عريضة: آه! تقصد

الطبيب (ناجي)؟!

(زاري): طبيب؟ هل السيدة مريضة؟

صوت (صباح) مقاطعًا حديثهما من الخلف: أنت واقفة يا (حنين)؟ هيا أكملي عملك!

(حنين) رافعة صينية محملة بالكؤوس الفارغة: حاضر يا أمي.

رحلت (حنين) تاركة أمها تحدق بعيني (رازي) المتسائلتين لثوانٍ قبل أن تستدير وتلحق بها للمطبخ..

بعد أقلّ من نصف ساعة قضاها (رازي) وحده سمع الباب الرئيس يطرق فنهض حاملًا حقيبته وفتحه ليرى (جابر) يقف أمامه، وما أن رآه حتى مد يده لأخذ حقيبته قائلًا: المعذرة على التأخر يا سيد (رازي).

(رازي) وهو يمد حقيبته له: لا بأس لا ذنب لك.

ركب الاثنان وانطلقا نحو المصنع وبعد وصولهما ترجل (رازي) من السيارة وأخذ حقيبته من السائق وقال له: أراك نهاية اليوم..

(جابر): سأكون بانتظارك بالخارج كالمعتاد.. يومك سعيد يا سيدي.

سار (رازي) نحو بوابة المصنع وتوجه مباشرة كما اعتاد كل يوم

لمكتب (مالك) وطرق الباب ودخل عليه بعد ما أذن له وقبل أن يجلس أمامه قال له بتحهم [illegible]

جلس (رازي) ووضع حقيبته في حجره وقال: السيدة (مريم) احتاجت السائق اليوم لذا انتظرته حتى ينتهي من مشواره.

(مالك) بنبرة اختلط فيها التهكم والاستفزاز إلى متى وأنت تتظاهر بالبراءة؟

(رازي): عن ماذا تتحدث؟

(مالك): لا تظن أني لا أرى ما تقوم به. أنا الشخص الوحيد الذي يعرف نواياك وما تحاول القيام به.

(رازي) بشيء من البرود وعدم المبالاة: أثر بصيرتي إذًا.

(مالك): ليكن في علمك أن (مريم) ليست بالسذاجة التي تظن ولن تقع فريسة لك ولمخططاتك.

(رازي): هل لديك شيء آخر تريد قوله؟ لدي أعمال أريد إنجازها!

(مالك) بعبوس: نعم لدي ما أريد قوله..

(رازي) بتململ: تفضل يا (مالك).

(مالك) بغضب: سيد (مالك)! هل [illegible] نفسك؟!

(رازي) زافرًا بتضجر: سيد (مالك)

(مالك) لم لا [illegible] لنفسك سيارة أو حتى [illegible] وتأتي في مواعيدك؟! السيدة [illegible] ولا يمكنك استغلالها للأبد.

(رازي): فعلًا.. معك حق!

(مالك) مستغربًا من تأييد (رازي) لكلامه. حقًّا؟ أقصد نعم أعرف أني محق!

(رازي) لذلك سوف أتحدث معها اليوم بهذا الخصوص.

(مالك) هل ستطلب منها أن تبتاع لك سيارة مثلما وفّرت لك السكن والمأكل والمشرب؟

(رازي): لا.. سوف أبتاعها من راتبي.

(مالك) بتوتر: راتبك؟

(رازي): نعم.. لقد علمت قبل عدة أسابيع أنّ السيدة (مريم) قد أمرتك بصرف راتب شهري لي منذ أول يوم بدأت العمل فيه بالمصنع وقد سألتني إن كنت قد استلمته..

(مالك) وتوتره يزداد: وبماذا أجبت؟

(رازي): أعتقد أنك تعرف ماذا كانت إجابتي لأنك لا تزال جالسًا هنا وتزاول عملك.. لم أخبرها بأنك لم تعطني فلسًا واحدًا عن الأشهر الماضية التي قضيتها هنا لكن هذا الأمر سينتهي لأنني أنك تحثني على الاعتماد على نفسي.

صمت (مالك) وقطرات العرق أخذت بالتجمع على جبينه..

وقف (رازي) وقال قبل أن يهم بالخروج: سوف أعرج بالمحاسب نهاية النهار وإذا لم أجد جميع رواتبي المتأخرة بانتظاري فسأكون مضطرًا لإخبار السيدة (مريم) كي تتقصى عن مصير تلك المبالغ.. أتمنى لك يوماً جميلًا..

خرج (رازي) من المكتب تاركًا (مالك) يضرب أخماسًا في أسداس..

نهاية يوم العمل بالمصنع وخلال رحيل العمال تباعًا توجه (رازي) لمكتب المحاسب ووجد أنَّ (مالك) قد وجهه بصرف جميع رواتبه المتراكمة والتي تسلمها منه دفعة واحدة ليخرج بعدها ويرى (جابر) يقف بجانب السيارة بانتظاره.

(جابر) يفتح باب المقعد الخلفي للسيارة بعد ما أخذ الحقيبة [illegible]

كان يومك يا سيدي؟

(رازي) وهو يركب السيارة مثمر

أغلق (جابر) الباب وركب واضعًا الحقيبة على الكرسي بجانبه ثم أدار المحرك وسار متوجهًا نحو القصر. بعد مضي ما يقارب نصف ساعة من الطريق تحدث (رازي) وقال: منذ متى وأنت تعمل عند السيدة (مريم)؟

(جابر) وقبضتاه على المقود ونظره أمامه: سنين طويلة.. في الواقع كنت أعمل عند والدها قبل وفاته، وكان سبب تعيينه لي هو كي أكون سائق السيدة (مريم) الخاص عندما بدأت يومها الأول في المدرسة

(رازي): سنين طويلة إذًا

(جابر): نعم.. وقد يكون هذا سبب تمسك السيدة بي بالرغم من تقدمي في العمر وقدرتها على الحصول على سائق آخر أكثر كفاءة مني.

(جابر): يوم الجمعة هو إجازتي [illegible]

القيادة خلاله؟

[illegible]

(جابر) [illegible]

[illegible]

الصغيرة [illegible] وسيكون ذلك تغييرًا جميلًا

(رازي) أريد أن أسألك عن هذا السكن.

(جابر): ما به؟

(رازي) هل يوجد به غرف شاغرة للسكنى؟

(جابر) نعم كثيرة.. هذا المبنى لا يسكنه سوى [illegible]

من الخدم الرجال أما البقية فيقيمون بالقصر

(رازي): جيد.. موعدنا الجمعة إذًا.

وصل (رازي) كالعادة بعد المغرب بقليل وترجل من [illegible]

ما فتح له (جابر) الباب وقال: هل تأمرني بخدمة أخرى [illegible]

(رازي) سارحًا بمدخل القصر حيث لم تكن [illegible]

كالمعتاد: لا.. شكرًا يا (جابر).

حنى السائق رأسه بعد ما مد الحقيبة له وركب السيارة ورحل..

بقي (رازي) لعدة دقائق ممسكًا حقيبته الجلدية يحدق بعتبة القصر الخاوية متحسسًا فص القلادة الفضية بأنامله قبل أن يخطو خطوات بطيئة نحو مدخله ويطرق بابه..

فتحت (حنين) الباب واستقبلته بابتسامة عريضة وقالت: مرحبًا! كيف كان يومك؟!

(رازي) وعيناه تجولان في البهو: جيدًا.. أين السيدة (مريم)؟

(حنين): خلدت للنوم

(رازي) موجهًا نظره لـ (حنين): ماذا؟ ليس من عداتها أن تنام في هذا الوقت المبكر

(حنين): لا أعرف.. لقد أخبرتنا بأنها لن تتناول العشاء اليوم وذهبت لغرفتها

(رازي): متى كان ذلك؟

(حنين) مستذكرة: نهاية العصر تقريبًا.

(رازي) يسير وسط البهو بوجه اختلطت فيه تعابير الاستغراب والتشتت: لعلها متعبة..

(حنين) معلقة الباب: العشاء جاهز يا سيد (رازي).

(رازي) مكملاً سيره نحو السلم المؤدي للطابق العلوي: لا رغبة لي بالأكل.. تصبحين على خير.

صعد (رازي) للطابق العلوي تاركاً (حنين) في حالة من التعجب..

قشور القلب التعيس

منذ ذلك اليوم تغيرت أمور كثيرة خاصة بين السيدة (مريم) و(رازي) فهي لم تعد تحتك به كثيرًا كالسابق ولم يعد يصادفها إلا نادرًا وتكون أحاديثهما مختصرة ومقتضبة، ولم يحدث بينهما أي حديث مطول سوى مرة واحدة في أحد الأيام عندما خرجت من مكتبها قرابة التاسعة صباحًا وتوجهت لغرفة الطعام متوقعة أن تجد السيد (نظام) مع (رازي) و(حنين) مجتمعين لتلقي الدرس اليومي لكنّها لم تجد أي واحد منهما فسارت عائدة لمبهو، وخلال سيرها شاهدت القلادة الفضية ملقاة على الأرض فحملتها وتفحصتها بأصابعها ونظرها للحظات رفعت بعدها عينها نحو باب القصر حيث أتت من خلفه بعض الأصوات المرتفعة أشبه بخليط من الصراخ والضحك. قبل أن يكون للسيدة أية ردة فعل سمعت (صباح) تحدثها من خلفها قائلة: صباح الخير سيدة (مريم).. لقد افتقدناك على وجبة الإفطار هذا الصباح.. هل ترغبين مني أن أعيد تحضير المائدة؟

(مريم) سارحة في مدخل القصر بأعينها وأذنيها لا تزالان تلتقطان تلك الضحكات البعيدة من خلفها. ألم يحضر السيد (نظام) اليوم؟

(صباح): لا. لقد اتصل باكرًا وقال بأن ابنه مريض ولا يستطيع الحضور.

(مريم) سارحة في القلادة بكفها: أين ذهب (رازي) إذًا؟

(صباح) ضاحكة: خرج مع (حنين) للحديقة ليلعبا الكرة. أظن أنهما كانا سعيدين جدًّا بهذه الإجازة التي لم تكن بالحسبان!

قبضت (مريم) على القلادة ثم رفعت نظرها للباب وسارت نحوه وفتحته وخطت بضع خطوات للخارج، توقفت بعدها وأخذت تراقب (رازي) و(حنين) وهما يلعبان ويركلان الكرة ويتبادلان الضحكات..

وقفت (صباح) خلف سيدتها وقالت: هل تأمريني بشيء؟ سيدتي؟

(مريم) السارحة في (رازي) و(حنين): لقد دخلت قبو المطبخ بالأمس وكان متسخًا جدًّا.. متى كانت آخر مرة قمتم بتنظيفه؟

(صباح): قبل أسبوع فقط

(مريم): لم تقوموا بعمل جيد.. عاودوا تنظيفه بالكامل بعد أن تفرّغوا محتواه

(صباح): أمرك.. سوف أوجه العاملات ليبدأن فورًا..

(مريم): لا.. لا تشغليهن عن أعمالهن.. اطلبي من (حنين) أن تقوم بذلك.

(صباح): (حنين)؟

(مريم): نعم.. هل هناك مشكلة؟

(صباح): لا أبدًا يا سيدتي.. سوف أطلب من بعض الخدم أن يعاونوها كي تنتهي منه بأسرع وقت.

(مريم) وعيناها تراقبان (رازي) و(حنين) يلعبان في الأفق: لا.. هي وحدها.. لا تشغلي البقية عن أعمالهم الأخرى..

(صباح): لكن يا سيدتي سيستغرق العمل زمنًا أطول بهذا الشكل

(مريم): أعرف..

(صباح) حانية رأسها: حاضر كما تشائين

مدت الأم على ابنتها فجرت نحوها ودخلت القصر تاركتين (رازي) يسير والكرة بيده حتى توقف أمام (مريم) التي قالت: «هل استمتعت؟»

(رازي) رافعًا الكرة لصدره ويتنفس بسرعة ضاحكًا: منذ فترة طويلة لم أتحرك بهذا الشكل لكني انتصرت عليها!

مدت (مريم) القلادة الفضية له وقالت بهدوء لكن بنبرة تهكمية ساخطة: مبارك.. هذه جائزتك..

وضع (رازي) يده على صدره متحسسًا بعد ما شاهد القلادة في يد (مريم) الممدودة له وقال بتعجب والعرق يتصبب من جبينه: يبدو أنها وقعت مني عندما خرجنا على عجالة

(مريم) ويدها لا تزال ممدودة له: لا بأس.. الأشياء غير المهمة بالنسبة لنا لا نشعر بها عند فقدانها..

أخذ (رازي) القلادة وتقلدها ولم يقل شيئًا لأنه أحس في نبرة كلام (مريم) الكثير من المشاعر المشحونة ولم يكن أيٌّ منها يعبر عن الرضا أو السعادة ولم يرغب في إثارة حفيظتها أكثر.

بعد هذ الموقف أحسَّ (رازي) أن الوقت قد حان لأن يستقل بنفسه أكثر، وأن يبدأ بأخذ خطوات نحو تخفيف اعتماده على السيدة (مريم) في شؤونه الشخصية خاصة فيما يتعلق بأمور حياته الأساسية كالمسكن والمأكل والمشرب، فاستغل الأسابيع التي تلت ذلك اليوم في تعلم القيادة مع (جابر) وبعد ما أتقنها قام بشراء سيارة خاصة من المال الذي حصل عليه من رواتبه واستقلها للذهاب للمصنع بنفسه كل يوم.

لم يمضِ زمن طويل بعد اقتنائه للسيارة حتى طلب من السيدة (مريم) في أحد لقاءاتهما العابرة أن تسمح له بأن يقيم في إحدى الغرف في السكن المخصص للعاملين، وبالرغم من تساؤلها عن سبب طلبه إلا أنها لم تقاوم كثيرًا أو تناقش قراره الذي برره برغبته بأن يكون على راحته، وأن مكانه الطبيعي هو هناك وليس وسط القصر. حققت السيدة رغبة (رازي) وخصصت له أفضل غرفة في السكن وفي اليوم نفسه علمت بأنه قد ابتاع سيارة وكان يستخدمها للذهاب للعمل منذ فترة فقالت له وهي تقف عند باب غرفته بالطابق العلوي تراقبه يقوم بجمع وتوضيب أغراضه

[illegible] لم أعرف أنك [illegible] واقتنيت سيارة مؤخرًا

(رازي) [illegible] في جمع ملابسه في حقيبته: أشياء كثيرة حدثت خلال غيابك

(مريم): غيابي؟ ماذا تقصد؟

(رازي) معلقًا الحقيبة: أعتذر يا سيدة (مريم).. لم أقصد شيئًا بما قلته، تجاهلي الأمر

(مريم) بغصة: تبدو متلهفًا للخروج من هنا!

(رازي) حاملًا الحقيبة موجهًا نظره لعيني (مريم) الحزينتين: لا أريد أن أكون ضيفًا ثقيلًا أكثر من ذلك.

(مريم) وعيناها تلمعان بدموع تصارع للخروج: أنت لم تكن يومًا ثقيلًا عليّ.

(رازي): أعرف وأنا ممتنٌّ لكل شيء قدمتِه لي.. أنا رجل مختلف الآن.. رجل أفضل.. وهذا كله بسببك.

(مريم): أنا لم أقدم لك شيئًا لا تستحقه أو لم تكن ستحققه أنت

بنفسك.. لم أكن سوى خطوة من خطواتك العديدة التي ستخطوها في حياتك، وأنا سعيدة أني كنت من ضمن تلك خطوات الأولى في طريقك نحو حياة أفضل.

(رازي): بل أنتِ شمسٌ مشرقةٌ في سمائي تُنير طريقي الطويل لكي أسير فيه ولو غابت لأصبحت حياتي مظلمة وتهت في عبدات هذا العالم.. بكِ أصبحت ومعكِ سأكون ولو كنت سأضحي بكل شيء واحدٍ في هذه الدنيا فسيكون فقط لإسعادك كي أسعدني، أنت الوحيدة التي آمنت بي عندما كفرت بنفسي، وأنت من شد على ذراعي وقادني بكل صبر وحلم نحو جبل طموحه بي حتى زيّن من فوق قمته سعادتي المنبسطة كمرج من الزهور الممتدة في الأفق، وأشرتِ بأصبعك وقلتِ: «اذهب.. حياتك السعيدة بانتظارك».

وضعت (مريم) كفّها على فمها وأنزلت رأسها محاولة عدم إظهار حزنها الشديد، وكتم دموعها التي تصرح محاولة التفجر من محاجرها، واكتفت بالصمت ونبضات قلبها تدق كطبول الحرب.

أخذ (رازي) بضع خطوات نحوها حتى أصبح أمامها مباشرة وقال: لكنّي لم أرَ سعادتي في ذلك المرج من فوق قمة جبل

رفعت (مريم) رأسها وكفُّها لا تزال تعطي فمها لكن دموعها تمكنت من الهرب وانسابت على وجنتيها وظهر كفّها وحدقت بعينين محمرتين بـ (رازي) ولم تقل شيئًا وأكمل رازي كلامه قائلًا: «سعادتي كانت تقف بجانبي.. تمسك بي.. تحاول بكل جوارحها أن تبحث لي عن شيء كان يظهر في لمعة عينيها في كل مرة أتحدث معها.. في ابتسامتها التي تحاكي ابتسامتي.. في خوفها لقلقي وحزنها لضيقي.. في تضحياتها التي قدمتْها دون منّة أو مقابل.. كنت أحمق لأني لم أدرك ذلك من قبل.. كنت مصابًا بالعمى وأنت حولي وما أن شعرت بأن قمرك سينزوي عني استعدت بصري وبصيرتي وأدركت.. أدركت.. أني أحبك وأعشقك أكثر من نفسي التائهة بدونك.. فلا تحدثيني عن سعادة بدونكِ أو حياة بعيدة عنكِ..»

(مريم) بصوت متحشرج بحزن خانق تابض على عنقها: هل تعني ما تقوله؟ هل هذا الحديث من قلبك؟

(رازي) واضعًا حقيبته جانبًا: عقلي يغيب بحضورك وقلبي هو من يتولى زمام الأمور وكل ما أقول أو أقوم به معك هو من تدبيره..

فردت (مريم) ذراعيها وعانقت (رازي) عناقًا طويلًا لم يتخلله أي حديث عدا أنفاسًا طويلة وزفرات ثقيلة..

تراجع (رازي) عن فكرة استقلاله لينحول إلى مشروع ارتباط بـ (مريم) فقد تعدم بطلب الزواج منها في اللحظة نفسها التي فكت فيها ذلك العناق الطويل فوافقت على الفور دون تردد لكنها أعربت عن رغبتها بأن يتم الزواج بمراسم بسيطة جدًا دون تكلف فلم يمانع (رازي) وقال: «لا يهمني شيء سوى أن أكون معك للأبد..»

(مريم): لدي شرط بسيط قبل أن نمضي قدمًا في زواجنا.

(رازي): ما هو؟

(مريم): أن يبقى خبر خطبتنا سرًا حتى تعود لأهلك وتخبرهم بالأمر وتدعوهم لحضور حفل زفافنا.

(رازي): حسنًا.. سنذهب معًا!

(مريم): لا.. أنت وحدك وسأكون هنا بانتظارك أقوم بالتجهيزات اللازمة للحفل

(رازي): سوف أستقل قطار الصباح وأعود في أسرع وقت.

(مريم): أفضل أن تذهب بالسيارة مع (جابر) إذا لم تمانع..

(رازي): ولم أمانع.. سأتوجه غدًا للقرية مع (جابر).

[illegible]

(رازي) [illegible] إلا برؤيتك مجددًا.

عند الفجر وقبل إشراق الشمس بنصف ساعة تقريبًا استيقظ (رازي) وأخذ حمامًا سريعًا ولبس أفضل ملابسه ووضع غيرها في حقيبة صغيرة وأغلقها وشد مقبضها وبرز للطابق الأرضي ليجد (مريم) تقف مع (صباح) بانتظاره وبيدها سلة صغيرة مدّتها له باسمة وقالت: رحلة سعيدة..

(رازي) وهو يأخذ السلة: ما هذه؟

(مريم): بعض الطعام لرحلتك.. (جابر) بانتظارك في الخارج!

(رازي) مبتسمًا محاولًا عدم إظهار أيٍّ من مشاعره أمام (صباح) شكرًا سيدة (مريم)!.

(مريم) تبادله الابتسام قائلة: سأخبر (مالك) بأنك في إجازة لمدة ثلاثة أيام.. هل يكفيك ذلك؟

(رازي): نعم.. لن أغيب أكثر من يوم واحدٍ أو يومين كحد أقصى

(مريم): رافقتك السلامة.. سوف أبدأ بالتجهيزات الخاصة بالتفاف بالأمس.

خرج (رازي) ومد الحقيبة لـ (جابر) [illegible]

لقريته..

وقفت (مريم) عند عتبة باب القصر تراقب [illegible]

حتى اختفت في الأفق ثم قالت لـ (صباح) [illegible]

تراقبان الضوء الأحمر الذي بدأ يبدد ظلمة [illegible]

(حازم).. أريد مقابلته في المساء»

(صباح) حانية رأسها: أمرك يا سيدتي!

بعد رحلة طويلة استغرقت عدة ساعات وصل (رازي) نهاية وقت العصر لقريته الصغيرة، توجّه بعدها للنزل فوق قمة التلة وقام بحجز غرفة لمدة يومين لكنه لم يدخلها وذهب مباشرة مع (جابر) لمنزل أهله بعد ما أرشده للطريق المؤدي إليه، وبعد توقفهما بالقرب من مدخله فتح (رازي) النافذة من مقعده الخلفي وبقي يتأمل البيت الصغير بصمت.

(جابر): هل هذا هو المكان الصحيح يا سيدي؟

(رازي): نعم..

برن (جابر) وفتح الباب الخلفي لـ (رازي) قائلاً: هل ترغب أن أطرق الباب؟

(رازي) وهو يترجل من السيارة: لا.. انتظرني هنا فقط.

(جابر): حاضر!

طرق (رازي) باب منزلهم الخشبي المتهالك بالرغم من معرفته بأنه لن يكون مغلقاً في هذا الوقت من اليوم لكنّه لم يحب أن يدخل فجأة على أهله بعد غياب شهور طويلة، وقضى دقائق الانتظار في ترتيب هندامه وإخفاء فص القلادة الفضية وراء قميصه وإغلاق أزرار بدلته وشد ربطة عنقه. وخلال قيامه بذلك فُتح الباب فوجه نظره مباشرة لمن فتح له ورأى أمه التي استقبلته بعبوس أتبعته بإغلاق درفة الباب في وجهه بقوة.

حزن (رازي) لردة فعل أمه لكنه لم يستغربها وكان إلى حد ما متوقعاً لها فأمسك المقبض وأداره ودخل المنزل وشاهدها جالسة على كرسي أبيه تحدق بالجدار ولم تكترث لدخوله أو تنظر تجاهه فسحب كرسيًّا من طاولة الطعام الصغيرة وجلس بالقرب منها وقال: كيف حالك يا أمي. اشتقت لكِ؟

لم تجب عليه وبقيت صامتة تنظر أمامها بوجه متجهم

(رازي) ملتفتًا خلفه: أين أبي؟

لم تجب أمه عليه واكتفت بالعبوس والنظر أمامها.

مد (رازي) يده ووضعها على يد أمه المسند على ذراع الكرسي وقال: سامحيه..

سحبت الأم يدها وقالت دون أن تلتفت نحوه: لم عدت؟ ماذا تريد؟

(رازي): كنت سأعود عاجلًا أم آجلًا.. لقد رحلت كي أبني مستقبلي وأحقق طموحاتي

(الأم) بنبرة ساخرة وساخطة: وهل حققتها؟!

(رازي): حققت الكثير.. أكملت تعليمي وأصبحت موظفًا في مصنع كبير وتعلمت قيادة السيارة وأملك واحدة اشتريتها من راتبي الخاص.. كل هذا في أقل من سنة يا أمي وما زلت أصلح للمزيد..

(الأم) بتهكم غاضب: مبارك هذا النجاح.. لا يبدو أنك نجاحه للعودة لقريتنا الفقيرة.

[illegible] هذا لا معنى له بدون

[illegible] كنت أريد أن تكونا فخورين بي خاصة أبي.

(الأم) [illegible] بذلك نفسك كي يفخر بك!

(رازي): سأفعل.. أين هو؟

(الأم): في الحظيرة..

تبسم (رازي) ونهض قائلًا: عند (أم قنزعة) ؟! سوف أذهب إليه وأفاجئه.. لقد اشتقت إليه كثيرًا!

خرج (رازي) من المنزل وعندما رآه (جابر) يسير لخلف المنزل هم باللحاق به لكنه أشار له بالبقاء مكانه وانتظاره ففعل..

وصل (رازي) للزريبة ودفع بابها على عجالة ودخل فتطايرت الدجاجات فزعًا من دخوله لكنه لم ير أباه في المكان فخرج ينادي عليه بصوت مرتفع وبحث في كل مكان حول المنزل ولم يجد له أي أثر، فعاد لأمه ودخل عليها وقال لها: لم أجده يا أمي.. لقد بحثت عنه في كل مكان.. هل أنت واثقة من أنه لم يذهب للسوق؟

(الأم) وهي تنظر لأعين ابنها لأول مرة منذ وصوله: هل جربت أن تبحث عنه تحت التراب؟

(رازي) وهو مصدوم: ماذا تقصدين؟

(الأم): لقد رحل بعدك بشهرين.. تخلى عني مثلما تخليت أنت عن.

جلس (رازي) على الكرسي الخشبي الصغير بجانب أمه ولم يقل شيئًا.. لم يبك.. لم يسأل.. بقي هادئًا سارحًا يتنفس ببطء بوجه مصدوم وعينين متسعتين..

انقطع سرحان (رازي) بعد مضي فترة من الصمت والتحديق بالأرض ورفع رأسه ووجه نظره نحو أمه عندما خاطبته بتحبهم وقالت: «هل تزوجتها؟»

(رازي): من؟ السيدة (مريم)؟

(الأم): بما أنك قلت «السيدة» فمن الواضح أنك لم تفعل.. منذ أن وقعت عيني عليها أول مرة وتحدثت معها تيقنت من أنها تريد أن تخطفك مني.

(رازي): أنا لست طفلًا يا أمي كي يخطفني أحد.

(الأم): نعم صحيح والدليل على ذلك الأيام الطويلة التي غبت فيها دون أن تزورنا أو حتى تفكر بالسؤال عنا!

(رازي): تحدثين وكأنه عشرة أعوام!

(الأم): فراق الأبناء أمر عسير ولن تفهمه إلا إذا رزقت بأطفال. وطأة اليوم علينا بسنة..

(رازي): أنا آسف يا أمي لم أقصد أن أتسبب لكما بكل هذا العناء.

(الأم): يمكنك تعويض ذلك لو رغبت.

(رازي): كيف؟ ما الذي يرضيكِ؟

أجابته الأم دون تردد: «أن تبقى معي هنا ولا ترحل مرة أخرى.. وألا تعود لتلك العزباء التي انتزعتك من أحضاني»

(رازي): لمَ لا تأتين أنت معي؟

(الأم) بعصبية: أنا لن أبرح مكاني وأترك منزلي وأهجر أبيك مثلما فعلت.. أنت من سيبقى معنا لوكنت بحق تريد قربنا، وأنا مستعدة للتغاضي عن الأشهر التي قضيتها بعيدًا عنا في مقابل عودتك للأبد.

أنزل (رازي) رأسه مجددًا ووضع أنامله على صدره محسسًا قص القلادة الفضية من وراء قميصه ولم يجب..

(الأم): ماذا قلت؟ قربي ورضاي أم قرب تلك الغريبة وسحرها؟

مريم: [illegible] ومتنفسة الصعداء: الحمد لله

(جابر): هل [illegible]؟

(مريم): كيف كانت رحلتكما؟

وجه (جابر) نظره لـ (صباح) وكأنه لا يريد الحديث أمامها فقمت

(مريم) وقالت لها: هل مائدة الإفطار جاهزة يا (صباح)؟

(صباح) تهمّ بالرحيل: ستكون جاهزة خلال دقائق يا سيدتي

سوف أذهب لأشرف على جاهزيتها بنفسي.

تابع (جابر) مسير (صباح) حتى تحقق من خروجها ثم قال: كانت

الرحلة جيدة لكن..

(مريم): لكن ماذا يا (جابر)؟

(جابر): السيد (رازي) بدا عليه الاستياء طيلة طريق العودة ولم

يتحدث معي وأعتقد انه بكى خلال الطريق مرتين

(مريم): بكى؟

(جابر): نعم.. لم يُمض وقتًا طويلًا في المنزل الذي زرناه وخرج منه

وكان مستاءً جدًّا.

(مريم): هل ذهبتما لمكان آخر غير المنزل الصغير؟

(جابر): لا أبدًا.. بعد خروجه منه طلب مني أن أتجوّل بالسيارة حول القرية لعدة ساعات قضاها في صمت يتأملها من النافذة إلى أن لاحظ عليّ بوادر التعب فأمرني بالعودة للنُّزُل فوق التلة وأخذ قسطٍ من الراحة.

(مريم): هل بتُّما في النُّزل؟

(جابر): أنا فقط.. أنزلني وأخذ هو السيارة ورحل!

(مريم): رحل إلى أين؟

(جابر): لا أعرف.. خلدت للنوم التاسعة مساء تقريبًا وكنت مرهقًا جدًّا ولم أستيقظ إلا الواحدة صباحًا عندما أيقظني السيد (رازي) وقال: «أعتذر لإيقاظك يا (جابر) لكنني لا أستطيع البقاء أكثر في هذا المكان» فأخبرته بأني أخذت كفايتي من الراحة ويمكنني قيادة السيارة الآن وعدنا للمدينة.

(مريم): ولمَ لم يأتِ إلى هنا مباشرة؟ لمَ ذهب للمصنع؟

(جابر): لا أعرف يا سيدتي.

[illegible]

(جابر): نعم هذا ما قاله لي.

[illegible]

اليوم والغد إجازة كي ترتاح.

[illegible]

(مريم): اليوم والغد.

(جابر) حانيًا رأسه: أمرك.

هم (جابر) بالرحيل لكنه توقف وكأنه تذكر [illegible]

سيدتي ماذا عن موعد الطبيب؟ من المفترض أن [illegible]

(مريم): لا تقلق بشأن الدكتور (ناجي) سوف [illegible]

وأخبره بأني مشغولة وسأؤجل موعدي معه [illegible]

(جابر): أستسمحك يا سيدة (مريم)، [illegible]

قمت بتأجيل موعدك مع الطبيب لأجلي [illegible]

على موعده غدًا وبعدها أجد بقية اليوم [illegible]

(مريم) باسمة: حسنًا يا (جابر) [illegible]

رحل (جابر) بعد ما وضع حقيبة (رازي) على منضدة بجانب الباب وبعد خروجه سارت (مريم) وفتحت الحقيبة لترى القلادة الفضية مستلقية فوق ملابسه فقالت في نفسها: ما الذي حدث معك يا (رازي)؟

تقلدت (مريم) القلادة ثم أغلقت الحقيبة وتوجهت لغرفة الطعام لتناول إفطارها..

أمضت بعد انتهائها ما تبقى من الساعتين في مكتبها تعد الدقائق في انتظار عودة (رازي) لكنه لم يعد ومع مرور الوقت تزايد قلقها فنهضت وخرجت لبهو القصر متوجهة للحديقة فلمحتها (حنين) وقالت لها: إلى أين يا سيدتي؟

(مريم): سوف أذهب للحديقة أنتظر عودة السيد (رازي)

(حنين): السيد (رازي) عاد منذ نصف ساعة!

(مريم): ماذا؟.. ولمَ لم يـ..؟ .. أين هو الآن؟

(حنين): توجه لغرفته مباشرة!

(مريم): حسنًا اذهبي الآن.

(حسن) أهلك

صعدت (مريم) السلالم المؤدية للطابق العلوي وتوجهت مباشرة لغرفة (رازي) وطرقت الباب عدة طرقات خفيفة أتبعتها بقول:

(رازي).. هل أنت بخير؟

لم يجبها أحد فأمسكت مقبض الباب وأدارته لكنها لم تفتحه وترددت بالدخول دون أن يأذن لها (رازي) فكررت سؤالها مرة أخرى وقالت: هل تسمح لي بالدخول؟

(رازي) من خلف الباب: تفضلي..

دخلت (مريم) لتجده جالسًا على الأرض مسندًا ظهره لطرف السرير يضم ساقيه بذراعيه لصدره سارحًا أمامه..

(مريم) تسير لداخل الغرفة وبنبرة قلقة: ما بك؟ ما الذي حدث؟

(رازي) بصوت مشبع بالهمّ والحزن: لم يحدث شيء.

جلست (مريم) بجانبه وقالت: هل قابلت أهلك؟

(رازي) زافرًا: نعم..

(مريم): لمَ لم يحضرا معك؟ هل هما غير موافقين على زواجنا؟

(رازي): هل موافقتهما من عدمها ستحول بيننا؟

(مريم): لا.. لا يهمني سواك أنت.

(رازي): فلنبس الموضوع إذًا.

(مريم): ما الأمر؟ لم كل هذا الضيق؟

(رازي): الأمور تتسارع بشكل كبير.. أكبر من أن أستوعبها!

(مريم): أنا محقة إذًا في سبب عدم قدوم أهلك معك، كلامك يعني أنهما رفضا زواجك مني وهذا هو سبب حزنك.. هل أنت متردد أو تساورك الشكوك بشأن ارتباطنا؟

(رازي): على العكس تمامًا.. لست واثقًا من أمر بقدر ارتباطي بك الآن خاصة بعد زيارتي للقرية.

(مريم): شاركني.. أخبرني بما يشغل قلبك..

(رازي): كل ما يشغلني الآن هو أن أمضي بحياتي.. معك.. معك فقط.. اليوم الذي غبته بعيدًا عنك وما عصف به من أشواق منا جعلتني أدرك مدى تعلقي بك.. عندما شعرت بالضيق لم أفكر بعد حضنك ليواسيني ولم أجده.

... (مريم) ودليلك والدليل على ذلك هو أنك توجهت للمصنع ولم تأتِ إلى هنا مباشرة!

(رازي): كنت مستاء جدًا ولم أشأ أن أقابلك وقتها مشحون فعندما خرجت من غضبي على (مالك) قبل أن آتي إلى هنا كي أكون هادئًا.

(مريم): كنت أفضل أن تلجأ إليَّ لا حتى في غضبك..

(رازي): لا أعتقد أنك كنت ستطيقينني وقتها فقد كنت في حالة سيئة جدًا.

(مريم): من يحب شخصًا يحبه في كل حالاته وأنا أريد أن أكون كل شيء في حياتك وقبلتك عندما تتيه في الدنيا والحضن الآمن لك من غدرها..

(رازي): ما زلت لا أرى في نفسي ما ترينه فيَّ!

(مريم): ولن تراه إلا لو أخذت عينيَّ وقلبي ورأيت نفسك بهما.. إن كنت تشتاق بغيابي فأنا شوقي يحرقني حتى وأنت أمامي.

(رازي): لو كان الأمر بيدي لما فارقتك ثانية واحدة.

(مريم): احفظني بقلبك وسأكون معك دومًا في حلك وترحالك.

(رازي): سأفعل.

(مريم) ضاحكة ومازحة: ولا تعاملني كالقلادة التي أهديتك إياها وترميها جانبًا في كل فرصة تواتيك!

(رازي) لامحًا القلادة على عنقها مستذكرًا أنه خلعها ووضعها في الحقيبة خلال طريق العودة: كنت أشعر بالضيق و..

(مريم): لا تكمل.. لا تبرر لي أمرًا لا يمكنك تغييره.

مد (رازي) يده لأخذ القلادة لكن (مريم) غطت فصّها بكفها وقالت: اتركها معي.. أنا أفهم لم تخلعها على الدوام وقد تقبلت ذلك.

تبسم (رازي) وقال: شكرًا..

(مريم): على ذكر المصنع.. أريد أن أخبرك بشيء.

(رازي): ما هو؟

(مريم): أريدك أن تتولى إدارته بدل (مالك).

(رازي): أرجوك أعفِني من هذه المسؤولية.

(مريم): أنا لا أطلب مشورتك لقد اتخذت قراري وأبلغت المحامي مسؤول سلمي إجراءات تعيينك

(رازي): لم يكن عليك القيام بذلك!

(مريم): أعرف لكن هذه رغبتي. أنا لا أثق بأحد كثقتي بك وأنت الآن ستصبح زوجي وهذا ما أريده.

(رازي): ستلاحقني الاتهامات والأقاويل.

(مريم): لا تكترث لأحد.. أرجوك لا تسمح لكلام الناس بأن يؤثر على علاقتنا.

(رازي): موافق لكن بشرط أن تقومي بتأجيل هذا الأمر لفترة وجيزة..

(مريم): ولم التأجيل؟

(رازي): أحتاج وقتًا فقط كي أتأقلم لا أكثر.. أرجوك.

(مريم) باسمة: حسنًا يا (رازي) لك ما تشاء.. أخبرني الآن.. ما هو أول قرار لك بعد ما تتولى إدارة المصنع؟

(رازي) بدون تردد: سوف أطرد (مالك)..

(مريم) باستغراب: ماذا؟ لم أتوقع هذه الإجابة.. لم تريد القيام بذلك؟

(رازي): لأنه يسرقك وتجاهلت الأمر كثيرًا لأنه ابن عمك لكني الآن لا أستطيع السكوت عنه أكثر.

(مريم): أعرف أنه يسرق من دخل المصنع.. أعرف منذ زمن طويل..

(رازي) بتعجب: لمَ لم تعاقبيه إذًا؟

(مريم): بعد أن بدد أمواله كلها كان معرضًا للسجن بسبب الديون المتراكمة عليه.. قمت بسدادها كلها وعينته مديرًا للمصنع كي يصحح من مسار حياته ويقف على قدميه مجددًا.. قد ترى أني غبية لقيامي بذلك لكني رأيت أن هذا ثمن زهيد دفعته كي لا أخسر آخر فرد بقي لي من عائلتي.

(رازي): أنا عائلتك الآن ولستِ ملزمة بالصبر عليه أكثر!

تبسمت (مريم) وقالت: ولا أريد أحدًا سواك..

حدد الخطيبان يوم زفافهما بعد ثلاثة أيام، وبالفعل تم عقد قرانهما في حفل عائلي مصغر جدًا أقيم مساء ولم يحضره سوى (مالك) ومجموعة من الخدم والعاملين وبعد رحيل الجميع جلس العروسان على مائدة صغيرة أعدت لهما في حديقة القصر ولم يبق معهما إلا (صباح) التي أشرفت على تقديم الطعام لهما وقبل رحيلها قالت:

هل تحتاجان إلى شيء آخر؟

تبسمت (مريم) وقالت: شكرًا يا (صباح) لقد بذلت مجهودًا كبيرًا اليوم وأنا ممتنة لكِ كثيرًا.

حنت (صباح) رأسها وعادت للقصر..

(رازي) متمعنًا في فستان (مريم) الأبيض: جمالك ساحر اليوم.

(مريم) باسمة بخجل: أنا كما أنا..

(رازي) مستنشقًا رائحة زكية هبّت ناحيته: ما هذا العبير المميز؟

(مريم): تقصد عطري؟

(رازي): رائحته مميزة جدًّا.. أزكى بكثير من أي عطر استنشقته من قبل!

(مريم): هذا العطر معي منذ أن كنت في العشرين من عمري. كان هديةً من أبي ولم أستخدمه لزمن طويل ولم أجد مناسبة أجمل من هذه لأوقظه من سباته الطويل وسأستخدمه دائمًا وأنا معك.

(رازي) يشد ربطة عنقه الزرقاء: سيسعدني ذلك كثيرًا

(مريم): تبدو فاتنًا بتلك البدلة السوداء..

(رازي) ضاحكًا: ما زلت غير معتادٍ على لبس هذا النوع من الملابس.

(مريم) باسمة: لكنها تليق بك جدًّا.

بقي (رازي) يحدق بـ (مريم) وعلى وجهه ارتسمت معالم الفرح والسعادة..

(مريم): ما بك؟ لم لا تقول شيئًا؟

(رازي): بعض الجمال لا يحق لنا إلا أن نراقبه بصمت.

نزت (مريم) رأسها بخجل ولم ترد

(رازي) موجهًا نظره للمائدة العامرة أمامهما: من سيأكل كل هذا؟

(مريم) ضاحكة: ليس أنا.. لقد فقدت شهيتي من التوتر!

(رازي) يبادلها الضحك: وأنا كذلك.

عاد الاثنان الصمت والنظر حولهما لدقائق حتى تحدث (رازي) وقال: ماذا الآن؟

(مريم) تهز كتفيها: لا أعرف..

(رازي): أشعر بأني في حلم..

(مريم): أريد أن أصارحك بشيء..

(رازي): ما هو؟

(مريم) متزنة رأسها وبشيء من التردد: لقد كنت متزوجة في سابق..

(رازي) وهو مصدوم : ماذا؟ لمَ لم تخبريني بذلك من قبل؟

(مريم): هل يغير هذا شيئًا من مشاعرك نحوي؟

(رازي): لا.. ولكن..

(مريم): لقد كان هذا قبل زمن طويل، وقد خرج ذلك الشخص من حياتي للأبد، لم يحبني قط ولا أنا كذلك.

(رازي): لمَ تزوجتما إذًا؟

(مريم): كمٌّ من كلامٍ فارغ ملأ قلوبًا خاوية فقط لأنها لم تجد غيره. لم يختر أي أحدٍ منا تلك الزيجة.. يمكنك القول إنه تم تزويجنا لتقوية روابط أخرى بين أسرتينا.

(رازي): وماذا كان سبب انفصالكما؟

(مريم): علاقتنا حكم عليها بالفشل منذ أول يوم. تزوجت شخصًا مثلي تمامًا.. نسخة مطابقة لي في كل شيء. يصدُّ ويبتعد عني كلما رآني وأنا كنت أشعر بالارتياح عندما يفعل ذلك. لم نكن نجتمع إلا أمام الناس وفي خلوتنا كل واحدٍ منا يعيش حياته الخاصة.. لا أنكر أننا في وقت من الأوقات حاولنا التقرب بعضنا من بعض لأجل أهلنا لعل شيئًا من الود ينمو بيننا.. لكن..

(رازي): لكن ماذا؟

(مريم): أدركنا أننا لم نتمكن ولن نتمكن من الوقوع في الحب لله

مهما تظاهرنا بذلك. لأننا فيما بعد [illegible] أنفسنا وهذا السبب لم
نكن قادرين على تقديم الحب لغيرنا..

(رازي): ماذا عني أنا؟

(مريم): أنت؟ أنت اليقين الذي نزل عليّ كالوحي من السماء السابعة.. يعيدني من ردتي عن كل شعائر ومشاعر الحب لأتحول لراهبة عند محراب ابتسامتك.. تلك الابتسامة التي أنارت جوفي منذ أن وقعت عيني عليها أمام دكان بائع البوظة.. هدّمت كل أصنام اليأس التي طال تقديسي لها.. لا أخفي عليك أني لم أفقد الأمل في إيجاد توءم روحي ونديمي المقدر لي وبحثت عنه كثيرًا وطويلًا قبل أن أكفر بوجوده.. تقدم لخطبتي الكثير بعد انفصالي عن زوجي السابق لكن بمجرد الحديث مع كل واحد منهم أفقد جزءًا من إيماني بوجود الحب الحقيقي في هذه الدنيا وأزداد اعتقادًا أنه قد يكون مجرد سراب ووهم يجب أن نصنعه في عقولنا ونؤمن به دون أن نراه كي نستطيع الاستيقاظ من مضاجعنا كل يوم وممارسة حياتنا دون أن نفقد عقولنا بقبضة أشباح الوحدة على صدورنا.. جميعهم بلا استثناء تصنّعوا الحب وتعصّروه أمامي ليخرجوا من

أحرفهم حاوية عبارات باردة كالصقيع قشعر لها بدني. تربحوا
بثمانية زائفة.. وكأنهم عربان تحاول التغريد.. مسوخ للعشاق..
أمراض فتاكة في جسد المشاعر.. البوح ليس حبرًا يكتب أو أنينًا
يطلق.. بل دمٌ ينزف.. استفاضة وانتفاضة للروح وليس صرعًا
مفتعلًا.. ولكن من أنا لأحكم عليهم؟ لعل الحب تغير.. لعل
المشاعر والأحاسيس تبدلت عن زمن عشت فيه.. زمن الرسائل
المختومة بطابع بريد.. زمن النظر المطوّل والسهر الأطول.. زمن
الحديث بلا صوت والحزن بلا دموع.. زمن النهى ولا أظنه
سيعود.. وربما أنا واهمة وهم أدرى بما ينعقون.. يمكنني أن أفني ما
تبقى من حياتي في وصف ما حل بي يوم وجدتك لكن لن تنصفك
الحروف والكلمات ولا الآهات والزفرات لذا سأكتفي بالقول بأني
أحبك.. أحبك فقط..

نهض (رازي) من مقعده ومد يده تجاه (مريم) التي وضعت كفها
فوق كفه ليشد عليها وينهضها ويقربها منه ويقول: أنا من كنت
منبوذًا بين المبعدين وأضحوكة لكل سافرٍ سقيم.. أنا من بحث عن
طوق نجاة لينقذني من الغرق فوهبني الله مرساة تشتني مكاني

[illegible] من حبه العطاء [illegible] من [illegible]

وقلب وجسد. وقرأ مهيبًا يحرس كل طامع ولا [illegible]

[illegible] لكني سأبذل كل ما أنا عليه وإليه لأمنحك [illegible]

وهبتني إياه من محبة وأمان..

(مريم) لا أريد الآن سوى عناق يأخذني إلى جنات لا [illegible]

مكان محرم على أمثالي..

تعانق الاثنان عناقًا طويلًا لم يتخلله أي حديث..

بعد ما تباعد جسداهما ارتسم على وجهيهما المحدّقين بعضهما ببعض

بأعين متلألئة ابتسامة عريضة، رفع بعدها (زاري) [illegible]

مشيرًا لـ (مريم) أنه يريد تقديم شيء لها [illegible]

في جيبه ويخرج علبة حمراء بحجم الكف مربوطة بشريط [illegible]

حرير وقدمها لها قائلًا: أريدك أن تأخذي هذه..

(مريم) وهي تأخذ العلبة من يده: ما هذه يا (زاري)؟

(زاري) وعيناه على عينيها الناظرتين للعلبة [illegible]

نفسك.

شدّت (مريم) طرف الشريط الحريري بفمها وحلت العقدة السوداء وفتحت العلبة لترى قلادة ذهبية مطابقة تمامًا للقلادة الفضية التي كانت تلبسها فقالت: إنها جميلة جدًّا!

(رزي): وستزداد جمالًا حول عنقك..

(مريم) واضعة أناملها على قلادتها الفضية: وهذه؟

(رازي): ستعود حيث تنتمي.. لصدري وعلى قلبي ولن أخلعها أبدًا..

(مريم) تخلع قلادتها الفضية وتمدها لـ (رازي): أشعر بالخجل لأني لم أحضر لك شيئًا.. كنت منهمكة بالتجهيز لهذه الليلة ونسيت نفسي..

(رازي) يلتقط بإبهامه وسبابته القلادة الذهبية من وسط العلبة المفتوحة واضعًا كفيه على أكتاف (مريم) مديرًا ظهرها ناحيته قائلًا: لقد قدمتِ لي ما هو أثمن وأغلى..

(مريم) ونظرها للأمام متحسسة فص القلادة الذهبية البارد الذي انسدل على نحرها: كل ما قدمته وسأقدمه لن يعادل ما تقدمه لي الآن..

(رازي) رابطًا أطراف القلادة خلف عنقها: إنها مجرد قلادة بسيطة..

(مريم) تستدير نحو (رازي) وتأخذ القلادة الفضية منه وتُلبسه إياها: كنت أقصد الأمان.. الأمان الذي وجدته بين أحضانك.

أتمّ العروسان زواجهما ومنذ الليلة الأولى بدأ (رازي) يلحظ بعض الأمور التي أثارت تساؤله واستغرابه لكنه لم يعبر عن ذلك لـ (مريم) لأنها كانت مجرد أشياء بسيطة بررها لنفسه بأنها أشياء طبيعية ولا تستحق أن يناقشها معها، مثل طلبها أن يقضيا ليلتهما الأولى في غرفته هو وفي الجناح الذي أقام فيه، وعند استيقاظه صباح اليوم التالي لم يجدها بجانبه وعلم لاحقًا بأنها عادت لغرفتها بعد أن خلد للنوم وبررت ذلك بأنها لا تستطيع النوم على فراش غير فراشها فاقترح (رازي) أن يبيت هو معها في جناحها لكنها رفضت وأخبرته بأنها ستكون معه طيلة الوقت عدا وقت النوم حيث سينام كلٌ واحد منهما في مضجعه الخاص.

لم ينتهِ الأمر عند هذا فقط فمع مرور الأيام بدأ (رازي) يلحظ أمورًا أخرى لم تلفت انتباهه من قبل بالرغم من الفترة الطويلة التي قضاها في القصر مثل إصابة (مريم) بنوبات من الغثيان والدوخة

مفاجئة من وقت لآخر تختلي بعدها بنفسها في غرفتها أو مكتبها
ساعة أو ساعتين يوميًا رافضة أن يزعجها أحد خلالها، وكذلك
بعيارها الموضوع عندما يطلب منها (رازي) دخول جناحها الخاص
ورؤية غرفتها مبررة ذلك بأنها ليست مرتبة ولا تريد منه رؤيتها
وهي بتلك الحالة، لكن الأمر الذي برز من بين كل تلك الأمور
المستجدة على سلوك (مريم) هو تناولها بعض العقاقير أمامه بعد
وجبة الإفطار وتناول جرعة أخرى منها في المساء مع العشاء مما
دفعه بالطبع لسؤالها في إحدى الليالي وهما مجتمعان في غرفته ليلًا
وقال: ما هذه الأدوية التي تتناولينها؟

(مريم) وهي جالسة عند طرف السرير تمشط شعرها: هذه ليست
أدوية..

(رازي) وهو مستلق على الفراش: ماذا تكون إذًا؟ لم أركِ تتناولينها
من قبل!

(مريم): مجرد بعض المقويات وأنا أتناولها دائمًا!

(رازي) بنبرة مشككة: حسنًا.

(مريم) واضعة المشعل على المقصدة بجانب السرير: ما بك؟ ألا تصدقني؟

(رازي): ولمَ لا أصدقك؟ هل هناك سبب لتكذبي عليّ؟

رفعت (مريم) اللحاف واستلقت بجانبه مديرة ظهرها له بعد ما أطفأت المصباح فوق الطاولة الصغيرة بالقرب من السرير وقالت: تصبح على خير يا عزيزي..

(رازي): كنت أظنك لا تستطيعين النوم إلا في فراشك!

(مريم) مُتوسِّدة كفّيها محدقة في الظلمة أمامها: سأبقى معك حتى تغفو.

(رازي) بشيء من الانزعاج: لا داعي لذلك.. يمكنك الرحيل من الآن!

نهضت (مريم) وأشعلت المصباح والتفتت نحو (رازي) وقالت: ما الأمر؟ هل أنت مستاء من شيء؟

(رازي): ماذا تظنين أنتِ؟

(مريم): أنا لا أظن.. أنا أسأل.. إذا كان هناك شيء يدور في بالك فقله ولا تلمِّح له

(رازي) مغطيًا رأسه باللحاف: لا شيء يدور في بالي.. تصبحين على خير..

أطفأت (مريم) المصباح واستلقت مرة أخرى وبقيت حتى سمعت أنفاس (رازي) تتثاقل معلنة غرقه في النوم لتنهض من فراشه وتتوجه لغرفتها وتبيت هناك..

في الصباح اجتمع الاثنان على مائدة الإفطار ولاحظت (مريم) أن (رازي) قد لبس ملابس الخروج وحمل معه حقيبته فقالت له: هل تنوي الذهاب للعمل اليوم؟

(رازي) محتسيًا كوبًا من الشاي: نعم..

(مريم) تهز عبوة عقاقيرها مسقطة قرصين منها على راحة يدها: جيد.. لا أشعر بالاطمئنان على المصنع في وجود (مالك) الآن خاصة بعد زواجنا وأريدك أن تتولى مهام إدارته بأسرع وقت!

نهض (رازي) وبقي يحدق بـ (مريم) بنظرات اختلط فيها التعجب والاستياء..

(مريم) ترفع كفها بسرعة دافعة بالأقراص تجاه فمها المفتوح: أتمنى لك يومًا سعيدًا يا عزيزي.

سار (رازي) نحو مخرج غرفة الطعام ولم تجب عليها

أمسكت (مريم) بمقبض كوب قهوتها وارتشفت رشفة لابتلاع الأقراص ثم قالت لـ (صباح) الواقفة على بعد يسير منها: سوف أعود لفراشي لأرتاح قليلًا.. لا تزعجوني لأي سبب!

(صباح) حانية رأسها: أمرك يا سيدتي.

خرج (رازي) من غرفة الطعام مرورًا ببهو القصر وفتح الباب الرئيس ليرى (جابر) كعادته يقف بجانب السيارة وما أن رآه حتى جرى نحوه يمد يده لأخذ الحقيبة قائلًا: صباح الخير سيد (رازي)!

(رازي) وهو يسير نحو السيارة: صباح النور يا (جابر).. خذني للمصنع.

(جابر) يفتح الباب الخلفي لـ (رازي): أمرك.

وصل (رازي) للمصنع وتوجه مباشرة لمكتبه الصغير ولم يعرّج لمكتب المدير كما اعتاد، وبعد مضي عدة ساعات نما لعلم (مالك) من بعض الموظفين أن (رازي) موجود فتوجه إليه ودخل عليه وهو منهمكٌ في إنجاز الأعمال المنوطة به وقال بنبرة متهكمة: أهلًا بالعريس!

لم يجب (رازي) عليه ولم يرفع حتى رأسه وأكمل عمله بصمت...
سر (مالك) وجلس أمام (رازي) وقال باسمًا: من حقك ألا تجيب عليّ فقد نجحت خطتك وحققت ما تريد.. يجب أن أعترف وأقر بالهزيمة.

(رازي) مستمرًا بالكتابة على بعض الأوراق دون أن يوجه نظره نـ

(مالك): ماذا تريد؟

(مالك): أن أحذرك!

(رازي) واضعًا القلم فوق سطح المكتب عاقدًا أصابعه ناظرًا في عيني (مالك) وبوجه غير مكترث: تحذرني من ماذا يا سعادة المدير؟

(مالك): ابنة عمي ليست ساذجة كما تظن فهي تحصل على ما تريد لكن لا أحدَ يستطيع أخذ شيءٍ منها لا تريد أن تهبه إياه بخاطرها..

(رازي) ببرود: وماذا أيضًا؟

(مالك) ضاحكًا: ستكتشف أنت ما تبقّى بنفسك!

قبل أن يرد (رازي) عليه رنّ الهاتف بجانبه فرفع السماعة وقرّ عند أذنه وعيناه على (مالك) الباسم وقال: نعم..

في الطرف الآخر كانت (صباح) والتي تحدثت معه بشيء من التوتر..

تغيرت معالم وجه (رازي) للقلق وحاد بنظره عن (مالك) وقال وهو يشد على مقبض السماعة: ماذا؟ وأين هي الآن؟

أغلق (رازي) الخط بعد ما أنزل السماعة بقوة ونهض مسرعًا والتقط حقيبته وهم بالخروج و(مالك) لا يزال جالسًا ويقول له بتهكم: ما بك؟ هل تم استدعاؤك؟

تجاهل (رازي) تعليقه وخرج من المصنع وركب السيارة وأمر (جابر) بالتوجه لمستشفى المدينة فورًا..

ما أن توقفت السيارة أمام مدخل قسم الطوارئ حتى ترجّل (رازي) منها على عجالة وتوجه لقسم الاستعلامات وعلم منهم بأن (مريم) موجودة في قسم الباطنية بالطابق الثالث. لم يهدر وقتًا وجرى نحو الباب المؤدي للسلالم وصعد جريًا حتى وصل للطابق المنشود واستفسر عن زوجته فأخبروه بأنها نقلت لقسم العناية المركزة في الطابق الخامس وترقد في الغرفة رقم (٤) والزيارة ممنوعة عنها، لكن (رازي) أصر على رؤيتها وخاطب الممرضات بسخط مما

دفعهن للاتصال بالطبيب المسؤول عن حالتها لتشرح له الوضع

بقي (رازي) ينتظر قدوم الطبيب وهو في حالة من التوتر والغضب حتى سمع صوتًا يحدثه من خلفه قائلًا: «هل أنت زوج السيدة (مريم)؟»

التفت (رازي) نحو مصدر الصوت ليرى وجهًا مألوفًا له وبعد قليل من الاستذكار قال: «لقد رأيتك بالمنزل عندنا من قبل..»

مدّ الطبيب يده للسلام على (رازي) وهو يقول: نعم صحيح.. أنا الدكتور (ناجي).. المسؤول عن حالة السيدة (مريم)..

(رازي) دون أن يمدّ يده لمصافحة الطبيب وبوجه متعجب: حالتها؟ وما هي حالتها؟ هل ستكون بخير؟

(د. ناجي) مشيرًا بيده لباب مفتوح خلفه: تفضل يا سيد (رازي) لنتحدث في مكتبي

جلس (رازي) المذهول مما يحدث حوله وراقب الطبيب وهو يعلّق معطفه الأبيض وسماعته على شماعة في زاوية مكتبه ثم يجلس أمامه عاقدًا أصابعه قائلًا: يبدو أن اليوم الذي كنا نخشاه قد حلّ يا سيد (رازي)..

(زاري) بذهن مشتت وكلمات متقطعة: عن أي يوم تتحدث؟ أنا لا أفهم شيئًا!

(د. ناجي): أنت زوج السيدة (مريم) أليس كذلك؟

أمسك (رازي) فص قلادته الفضية وهز رأسه بالإيجاب..

(د. ناجي): إذًا فلا بد وأنك تعرف عن حالتها المرضية..

بدأ (رازي) يفرك بإبهامه وسبابته فص القلادة محركًا رأسه يمينًا وشمالًا بصمت..

(د. ناجي) زافرًا: ما ستسمعه مني قد يكون ثقيلًا عليك..

حكى الطبيب لـ (رازي) أن (مريم) عانت ومنذ الصغر من مرض انتهازي نخر بجسدها لفترة طويلة، وكل من يصاب به غالبًا لا ينجو لكن ولسبب ما توقف تطور المرض ودخل في حالة أشبه بالكمون مكّنها من استعادة حياتها وعافيتها تدريجيًا بالرغم من الآثار التي تركها. هذا المرض لم يكن مجهولًا على أسرتها فقد ورثته عن أبيها الذي توفيَ بالمرض نفسه عندما كانت في العشرين من عمرها. بقي مرضها كامنًا لفترة طويلة وكانت تتناول بعض العقاقير المعززة

[illegible] مع تطوره محدداً، لكنه عاد وبشراسة قبل عامين تقريباً وبالرغم من تقدم وتطور الطب في مجال علاج هذا المرض إلا أن هجمته الثانية عليها كانت قوية ومتسارعة، ولم يكن بيدنا سوى تقديم بعض المنشطات والمقويات لمناعتها على شكل حقن [illegible] أحقنها بها مرة في الأسبوع وبعض الأقراص التي تناولتها بشكل منتظم في محاولة لإبطاء تقدم هذا المرض الخبيث، لكن ومع ذلك كانت حياتها على المحك كلَّ يوم وكنت صريحًا معها وأخبرتها بأن تكون مستعدة لأي مفاجآت وأن هذا المرض قد يخطفها في أي لحظة إذا لم يدخل في كمون مرةً أخرى، وهذا ما حدث اليوم فقد وصل إلى قلبها وتوقفت معظم وظائف جسدها دفعةً واحدة، وهي الآن في غيبوبة تصارع بين الحياة والموت وتتنفس من خلال جهاز خاص لأنَّ رئتيها لم تعودا تقويان على الحركة.

بقي (رازي) صامتًا يحدق بالطبيب بملامح اختلطت فيها الحيرة والذهول وعيناه تضجان بالكثير من الأسئلة، لكنه لم يتمكن من التفوه بأي منها عدا سؤالًا واحدًا خرج بصعوبة من بين شفتيه «هل أستطيع رؤيتها..؟»

(د. [illegible]) [illegible]

مع أنّ ذلك ممنوع لأن غرفتها معقمة [illegible]

دقائق فقط لتراها.

مد الطبيب الورقة له وقال: «أعطها للممرضة التي تحدثت معها سابقًا وهي ستقودك لغرفتها.. لكن تذكّر أنها لا تستطيع سماعك أو التجاوب معك»

(رازي) آخذًا الورقة من يد الطبيب: شـ.. شكرًا..

قادت الممرضة المسؤولة عن قسم العناية المركزة (رازي) لغرفة (مريم) بعد ما أخذت الورقة منه وأخبرته بأنها ستعود له بعد عشر دقائق فقط قبل أن ترحل مغلقة الباب خلفها. لم يكن هناك أيُّ كرسي في الغرفة لذا وقف (رازي) بجانب سرير (مريم) يراقبها بوجه حزين وهي مستلقية ومجموعة من الأنابيب والأسلاك موصولة بها ومعظم ملامح وجهها مختفية خلف قناع للتنفس، ولم يكن يُسمع في المكان صوت عدا طنين جهاز مراقبة علاماتها الحيوية الذي أخذ يطن كل خمس ثوانٍ بشكل منتظم.

خلال تأمل (رازي) بروحه الغارقة في عيونها دخل عقله وقلبه

في صراع..

صراع عصف بمشاعره ولم يجد شيئاً ليتشبث به سوى قطعة فضية

طافية على صدره بالكاد تعطيه بصيصاً من الأمل إما للنجاة أو

الغرق.. تمسك بها وأنها مرساة السفينة التي توشك على الغرق

في بحر الشكوك والظنون.. فقد أفلت الدفة من يده وأضاعها.. لا

يعي إلى أي الجهات تحولت.. وعلى إثرها كُسرت صارية توقعاته..

وضع (رازي) كفّه على يدها الباردة وقال بصوت متحشرج: لماذا؟

لماذا أخفيتِ علي حقيقة مرضك؟ هل ظننتِ أني لن أقبل بك إذا

علمت بأن أيامك معدودة؟ لماذا لم تثقي بحبي لك..؟

كانت معضلة (رازي) والتي اختلف فيها عقله وقلبه تتمحور حول

صدق مشاعر (مريم) نحوه فقد كان قلبه متيقناً من حبها له لكن

عقله كان يصرخ بتساؤلات كثيرة.. لم يستطع (رازي) أن يصطف

بصف أحدها ولم يتمكن كذلك من الوقوف على الحياد..

وفي خضم تلك الحيرة شعر (رازي) بشعورٍ غريب.. أحس بصوت

أشوي يحمس له.. بل فيه . صوت كان حوله وآتٍ من داخله في الوقت نفسه.. حدّثه ذلك الصوت وقال:

«أشعر بالحيرة نفسها التي تشعر بها الآن.. كيف للإنسان أن يختار بين تعلق قلبه ومنطق عقله؟ لكن.. لِمَ عليه أن يختار من الأساس؟ لم يترك نفسه لاحتمال كهذا منذ البداية؟! نحن لم نُخلق لنُستنزف زماننا لجهة ضد أخرى خاصة عندما تكونان جُزأين متأصّلين فينا.. تمامًا كما لو أنَّ لنا من الأبناء اثنين.. فمن الظُّلم أن نُقصي أحدهما إرضاءً لخاطر الآخر.. القلب والعقل كلاهما حكاية واحدة دون فاصِلة.. متكاملان فيما بينهما بطريقة أو بأخرى شئنا أم أبينا.. خِيطا معًا على قماش جسدك.. وفصلهما بمثابة الموت المبكر لروحك..»

اختفى الصوت بعدها وتوقف عن الحديث تاركًا (رازي) يتلفت حوله بشيء من الحيرة، لكنه لم يبقَ على تلك الحالة لفترة طويلة وعاد اهتمامه وتركيزه نحو زوجته الراقدة وجلس عند طرف السرير بجانبها يراقب صدرها يرتفع وينخفض مع كل نفس تأخذه حتى دخلت عليه الممرضة وقالت: «لقد انتهى وقت الزيارة ويتوجب عليك الرحيل..»

(راري) دون أن يلتفت للممرضة موجهًا كلامه لـ (مريم): سوف أعود مرة أخرى.. ابقي صامدة لأجلي..

رحل الزوج المكلوم وعاد بصحبة (جابر) من المستشفى وما أن دخل للقصر حتى وجد (صباح) و(حنين) باستقباله وعلى وجوههما ارتسمت معالم الحزن والقلق، لكنه لم يتحدث معهما وهمّ بالصعود للطابق العلوي فاستوقفته (صباح) قائلة: كيف حالك الآن؟

(رازي): تقصدين كيف حال (مريم)؟

(صباح): لا.. أنا أسأل عنك أنت يا بني

(رازي) مستغربًا من سؤالها عنه دون (مريم): أنا بخير.. لقد عدتُ للتّو من المستشفى

(حنين) بحزن: تعازينا لك يا سيد (رازي).. السيدة (مريم) كانت غالية علينا جميعًا

(صباح) ودموعها بدأت تنهمر: رحيلها أوجعنا جميعًا!

(رازي) باستغراب شديد: بماذا تهذيان؟! للتو كنت معها وهي لا تزال على قيد الحياة!

وضعت (صباح) كفّها على فمها واستمرت في بكاء، لكن (حنين) دنت مقتربة من (رازي) وقالت: قبل حضورك بقليل اتصل الدكتور (ناجي) من المستشفى وأبلغنا بأن السيدة (مريم) قد توفيت وأنك كنت معها في لحظاتها الأخيرة فظننا أنك..

توقفت (حنين) عن الكلام عندما رأت (رازي) وقد احمرّت عينه وفاضتا بالدموع وجسده بالكامل بدأ يرتجف وكأن صاعقة قد نزلت عليه فتراجعت للخلف وأمسكت بكتف أمها ولم تقل شيئ.

لم ينفجر (رازي) بالبكاء أو الصراخ.. لم يحدث أي جلبة أو ردة فعل متوقعة منه في ذلك الموقف المؤلم بل بعد دقائق من الصمت والتحديق بـ (صباح) الباكية وابنتها الحزينة أكمل سيره نحو السلالم وصعد للطابق العلوي متوجهًا لغرفته ودخلها وأغلق على نفسه الباب ولم يفتحه إلا صباح اليوم التالي عند سماعه بعض الطرقات تطرق بابه بخفة، ففتحه ليرى (جابر) يقف أمامه وعلى ملامحه ارتسمت تعابير الحزن الشديدة ويقول له بصوت مشبع بالدموع: خالص العزاء لك يا سيد (رازي) في فقيدتنا الغالية!

(رازي) بملامح مكتئبة: شكرًا يا (جابر)..

(جابر): متى تريد أن نرحل؟

(رازي): نرحل إلى أين؟

(جابر): للمستشفى لإنهاء إجراءات استلام السيدة (مريم) ودفنها في مقابر العائلة. السيد (مالك) موجود معي بالأسفل مع السيد (حـ..

(رازي) مقاطعًا: لا أستطيع.. اطلب من (مالك) أن ينهي كل شيء.. جسدي لن يقوى على حملي لو خرجت..

(جابر) حانيًا رأسه: حاضر.. سوف أخبره بذلك..

لم يحضر (رازي) مراسم الدفن ولا حتى اجتماع العزاء المصغر الذي دعا إليه (مالك) في بهو القصر مع العاملين والخدم مما أثار غضب ابن عمها الذي خرج غاضبًا من تصرف زوج ابنة عمه الراحلة ووصفه بأنه وغد خبيث ولم يكن يحبها ولم يهتم لأمرها وتوعد بالانتقام منه.

كان (رازي) يسمع تلك الجلبة التي أحدثها (مالك) في الطابق السفلي لكنه لم يكترث وبقي في فراشه محتضنًا وسادته التي لا [illegible]

تفوح ببعض رائحة عطرها ولم يخرج من غرفته وبقي فيها يومين متواصلين لم يتناول فيهما أي طعام أو شراب. صباح اليوم الثالث من وفاة (مريم) طُرق باب غرفة (رازي) عدة مرات حتى نهض من مضجعه بثقل وتكاسل وفتح الباب ليرى (صباح) تقف ممسكة بصينية إفطار أعدتها له. ألقى (رازي) نظرة على محتوى الصينية ثم أدار ظهره لها وسار عائدًا نحو فراشه واستلقى عليه محتضنًا وسادته محدقًا بالنافذة المتوارية خلف الستائر الثقيلة الحاجبة لأشعة الشمس.

دخلت (صباح) الغرفة ووضعت الصينية فوق الطاولة بجانب السرير ثم سارت نحو الستائر وباعدتها لتدخل أشعة الشمس وتنير أرجاء الغرفة وتحط على وجه (رازي) المكتئب الذي أدار وجهه فورًا عن النافذة التي فتحتها (صباح) لتسمح لبعض الهواء بالدخول وطرد رائحة الموت التي عجّ بها المكان.

(صباح) واضعة كفّيها بعضهما فوق بعض على بطنها: العودة للحياة ليست بالأمر السهل عندما نفقد عزيزًا علينا لكن هل تظن أن السيدة (مريم) ستكون سعيدة بما تفعله بنفسك الآن؟

لم يرد (رازي) ولم يُدِر نظره نحوها..

(صباح) مستأنفة كلامها: لقد أهديتها سعاده حرمت منها لسنوات طويلة.. لم أرها أسعد مما رأيتها عليه في الأشهر التي قضتها معك. فلا تحرمها وتحرم نفسك من استمرارها.. إنها تراقبك الآن ولا شك بأنها مستاءة مما تفعله بنفسك..

(رازي) وظهره مدار لها: لقد رحلت.. وهي لا تراني ولا تشعر بي الآن.. لم يعد لها أي أثر يذكر سوى هذه الوسادة الخالية التي بدأت تفقد عبيرها..

(صباح) تسير نحو باب الخروج: لا أحد يرحل بالكامل إلا إذا أردنا ذلك..

احتضن (رازي) الوسادة وظهره لا يزال مدارًا للنافذة المفتوحة وقال: هل تعتقدين أنها أحبتني بحق؟

توقفت (صباح) عن السير وأنزلت رأسها زافرةً بحزن: ما أشفقه منه هو أني لم أرها خلال حياتي الطويلة معها تريد وترغب بشيء بشدة كرغبتها في أن تكون معها وبجانبها على الدوام.

(رازي): هل ترين أن هذا حب؟

(صباح): وماذا عسى أن يكون غير ذلك؟

(رازي): يقلد من عادته على الوسادة لا أعرف

خرجت (صباح) من الغرفة وأغلقت الباب خلفها وبقي (رازي) على حاله مختصاً للوسادة بحزن

مساء ذلك اليوم عادت (صباح) وطرقت باب غرفة (رازي) ودخلت عليه بعد أن أذن لها ووجدته كما تركته سابقاً فقالت: هناك من يريد مقابلتك يا سيد (رازي)

(رازي): لا أريد مقابلة أحد.

(صباح): هذا اللقاء مهم ولا يمكن تأجيله

نهض (رازي) وجلس على طرف السرير بوجه مكتئب وهو مختص للوسادة وقال: لم يعد هناك شيء مهم يستحق.

(صباح): إنه اجتماع قراءة وصية السيدة (مريم). هل أنت واثق من أنك لا تريد أن تكون حاضراً؟

(رازي) ملتفتاً نحوها: وصيتها؟

(صباح) نعم، محاميها الخاص موجود في مكتبها الآن وقد طلب منا جميعًا الحضور قبل فتح الوصية.

وضع (رازي) الوسادة جانبًا وبقي صامتًا سارحًا أمامه..

(صباح): ماذا أخبره؟

(رازي) ناهضًا من مكانه: سوف ألحق بك بعد ما أغتسل.

(صباح) حانية رأسها: سنكون بانتظارك!

بعد أقل من عشر دقائق نزل (رازي) من الطابق العلوي وتوجه مباشرة لمكتب (مريم) وفتح الباب ليرى رجلًا متأنقًا يجلس على مكتبها يضع نظارةً بعدسات عريضة يقرأ مجموعة من الأوراق كانت بين يديه ويجلس على الأريكة أمامه (مالك) واضعًا ساقًا على ساق يدخن سيجارة، ومن خلفه وقفت (صباح) وابنتها بجانبها وعلى مقربة منهما وقف (جابر) وكانت أنظار الجميع موجهة نحو الرجل المتأنق وهو يقلب ويتفحص الأوراق بين يديه والذي رفع رأسه بالتزامن مع دخول (رازي) ووجه حديثه له وقال السيد (رازي) على ما أظن؟

هز (رازي) رأسه - لا يجاب دون أن يقول شيئ.

أشار الرجل المتأنق له بيده للجلوس بجانب (مالك) وهو يقول: تفضل كي نبدأ..

تجهم (مالك) عندما جلس (رازي) بجانبه وقال ببرة مشحونة بالغضب والتهكم بعد ما نفخ سحابة من الدخان تجاهه: لم تحضر جنازتها ودفنها لكن بالطبع لن تفوّت موعد توزيع تركتها التي سعيت منذ البداية للاستيلاء عليها.

تجاهل (رازي) تعليق (مالك) وركز اهتمامه مع الرجل المتأنق والذي قال محدثًا الجميع بعد ما خلع نظارته ووضعها على سطح الطاولة أمامه: كما يعرف معظمكم فأنا السيد (حازم) المحامي المسؤول عن جميع الأمور القانونية المتعلقة بأملاك الراحلة السيدة (مريم) ومسؤوليتي تتضمن فتح وصيتها الأخيرة وقراءتها على الورثة المستحقين كما نصت الوصية.

(مالك) ضاربًا طرف سيجارته موقعًا بعض الرماد على السجادة أسفل قدميه رامقًا الواقفين خلفه: ليس جميع الورثة المستحقين حاضرين والجميع هنا يعرفون من أقصد.

(حازم): استدعيت فقط من طلبت السيدة (مريم) أن يكونوا حاضرين!

(مالك): لمَ طلبت حضور الخدم إذًا؟ هم ليسوا من الورثة.. أعتقد أن هناك خطأ ما

أمسك (حازم) بمقبض حقيبة كانت بجانبه ورفعها ووضعها على سطح المكتب وفتحها مخرجًا منها ظرفًا مغلقًا ومختومًا بالشمع الأحمر وقال: السيدة (مريم) زودتني بأسماء من يتوجب عليهم حضور قراءة الوصية ولا يوجد أي خطأ يا سيد (مالك).

(مالك) بغطرسة ونبرة ساخرة: لا بد وأنها تركت لهم بعض المال نظير خدمتهم المخلصة لها.. ابنة عمي كريمة ولن تنسى هؤلاء المساكين!

(حازم) متجاهلًا كلام (مالك) ومخاطبًا البقية: هل يريد أحدٌ قول شيء قبل أن أفتح الوصية وأقرأها عليكم؟

هز معظم الحاضرين رؤوسهم بالنفي عدا (مالك) الذي قال: متى كُتبت هذه الوصية؟

(حازم): منذ عدة أعوام لكن السيدة (مريم) طلبت مني إجراء بعض التعديلات عليها قبل أيام فقط.

(مالك): تعديلات من أي نوع؟

(حازم): في الحقيقة لا أعرف، فأنا لم أقرأ الوصية الجديدة لأن السيدة سلَّمتها لي في ظرف مغلق ومختوم كما ترى وأمرتني بأن لا يفتح إلا بعد وفاتها بحضور من استدعيتهم اليوم، وحتى لو كنت أعرف فأنا لست مخوَّلًا من الأساس بالحديث عن هذه التفاصيل لكن سنعرف جميعًا الآن لو توقفت عن استجوابي.

(مالك) بتذمر مطفئًا سيجارته في قاع حذائه: حسنًا حسنًا.. افتح الوصية كي لا تضيع وقتي أكثر فلدي أعمال كثيرة أريد إنجازها

وضع المحامي نظارته وفتح الظرف بعد ما كسر الشمع الأحمر المتصلب وأخرج مجموعة من الأوراق وبدأ يتصفحها بصمت

(مالك): ما بك؟ هل ستقرؤها وحدك؟!

(حازم): هل أقرأ كل شيء أم فقط تفاصيل التركة؟

(مالك): التركة فقط.. نريد الخلاصة!

(رازي) لـ (حازم) بحزم: اقرأ كل حرف ومن لا رغبة له بالاستماع فليرحل..

عبس (مالك) لكنه لم يعلق..

(حازم) يهز مجموعة الأوراق بين يديه قائلًا: جيد.. هناك مجموعة من الرسائل الموجهة للحاضرين هنا سوف أقرؤها حسب ترتيبها بعد قراءة المقدمة..

يبدأ المحامي بالقراءة:

«ممتنة لحضوركم جميعًا كما كنت بوجودكم في حياتي.. كل فرد منكم كان له أثر كبير فيما أصبحت عليه وانتهيت إليه قبل رحيلي.. أتمنى أن أكون في مكان أفضل وأجمل مثلما أتمنى لكم جميعًا حياة زاخرة بالسعادة مثل التي حاولت أن أبحث عنها في أيامي القصيرة على هذه الأرض ووجدتها معكم وبينكم.. سامحوني لو أخطأت بحقكم يومًا بقصد أو بدونه.. الحياة لم تكن عادلة معي لكنها أنصفتني عندما أدخلتكم في حياتي فلو كان لي بهجة أباهي بها فهي أنتم وكل الثواني التي قضيتها معكم..»

(حازم): الجزئية القادمة خاصة بالسيدة (صباح) وابنتها السيدة (حنين)..

«فقدت أمي قبل أن أراها ولم يكن لي إخوة أو أخوات لكن ذلك الشعور بالفقد زال وامّحى بعد ما دخلت أمي الوحيدة التي أعرفها في حياتي.. صباح.. أهدتني بحق نور الصباح الدافئ الذي احتضنني في كنفها مع أختي وصديقتي صاحبة القلب الطاهر.. حنين.. كنتما نبراسًا أنار كآبةَ أخفيتها في صدري، وكنت وما زلت أتبسم عند رؤيتكما معي وحولي.. أوصيكِ يا أمي وكاتمة أسراري بأختي.. حققي لها حلمها بأن تكون طبيبة وكوني لها سندًا وعضيدة كما كنتِ لي.. سأسعد بذلك كثيرًا.. شكرًا لكما بحجم تضحياتكما لي وعدد الدموع التي تشاركناها معًا.. سأفتقدكما..»

بكت (صباح) بعد ما سمعت تلك الكلمات وشاركتها ابنتها لكن (مالك) علق ساخرًا: عن أي تضحيات تتحدث؟ ألم تكونا تأخذان رواتبَ مقابل خدماتهما؟

(رازي) ملتفتًا إليه بغضب: حاول أن تطبق فمك قبل أن أطبقه لك بالقوة!

(مالك) بلا مبالاة موجهًا حديثه للمحامي أكمل أكمل

استأنف (حازم) القراءة وقال: السطور التالية موجهة للسيد (جابر)..

«الأمان تذبذب خلال حياتي بين مكسب وخسارة.. حتى وفقد. الراحلون في حياتي كانوا أكثر ممن بقوا معي وحولي، لكن كان هناك استثناء بينهم.. شخص وقف بجانبي وبجانب أبي من قبلي. لم يكن لزامًا عليه أن يستمر في عطائه ومنحته حرية المغادرة أكثر من مرة لمعرفتي بأنه يتوق للسفر ورؤية العالم لكنه بقي.. بقي بجانبي لأنه يعلم بأني أشعر بالأمان معه.. رجل نبيل وشهامته لا مثيل لها.. أبي جابر.. اجتمع فيه حنان الأب وعطفه بالرغم من أنه لم يرزق بأطفال.. اعتبرني طفلته المدللة ولبستُه تاجًا على رأسي بعد ما سقط تاج أبي.. كان درعًا يقف أمامي ليصد عني كل مصدر للفزع وسندًا بجانبي يعيد لي اتزاني وتوازني من عثرات الدنيا.. حان الوقت يا أبي أن تحلق بتلك الأجنحة التي خفضتها لي وحولي لحمايتي لزمن طويل.. آن الأوان لتبسطها في عرض السماء وتحقق حلمك برؤية العالم.. هذا جل ما أتمناه منك بعد رحيلي فحققه لي..»

صنع (جبر) قبعته وغطى بها وجهه مخفيًا دموعه المتساقطة..

(مالك) زافرًا: كم صفحة تبقت؟

(حازم) مكملًا القراءة: النص التالي خاص بك.. هل تريد مني تجاوزه؟

(مالك): بعد ما احتملت الملل السابق تريد أن تحرمنا أفضل جزء في الوصية؟ أكمل وخذ وقتك بالقراءة..

تابع (حازم) القراءة وقال:

«ابن عمي (مالك).. ماذا عساي أن أقول...؟ قرابة الدم لا تعني دومًا قرابة الأرواح وهذا بلا شك ما كان بيننا.. لن أطيل الحديث لك وعنك فأنت أعلم بما تخفي وتضمر وأنا لست بصدد استعراض خصالك واستحضار نواياك فأنت لم تكن سوى فرض كفاية فُرض عليّ وقد اجتزته بأقل خسائر ممكنة.. وأي إحسان وجدته مني فهو لم يكن إلا تخليدًا لوصية أبي العطرة في حقك ولولاها لما كنت جزءًا من حياتي.. أتمنى لك حياة مختلفة خالية من أشباهك..»

(مالك): ماذا يعني هذا الكلام؟

(حازم): والآن مع آخر جزئية قبل البت في تفاصيل التركة وهي الخاصة بالسيد (رازي)..

استأنف (حازم) القراءة وقال:

«لو كان حبُّك كلمة.. لقلتها.. لو كان تضحيةً.. لقدمتها.. لكنه حلم.. أخشى الاستيقاظ منه.. لن يكتمل وداعي المُرُّ لأحبابي في حياتي القصيرة إلا بذكر من دخلها متأخرًا على حين غرة وغفلة مني.. لم أظن يومًا أن هناك ملاكًا يمكنه السير فوق الأرض بيننا حتى شاهدته يتناول بوظته المقلّمة.. (رازي).. القطعة الناقصة في لغز اكتفائي.. الشخص الذي لن أوفِّيه حقه مهما قلت أو فعلت.. أعرف أن رأسك الآن يضج بالكثير من الأسئلة ولكن ثق بي عندما أقول لك إن الإجابة عليها لن تزيدك إلا حيرة.. أردت أن أقضي معك وقتًا أطول وأن أعوض بك ما فقدته.. كنت أنانية أعرف.. لكن الطمع فيك فضيلة والظفر بك مفازة وقد سعيت وبذلت وتنازلت حتى أحظى بقربك ولم يكن سيأخذني عنك سوى الموت.. وقد فعل.. لا تتغير.. لا تتنازل عن أحلامك.. وسأكون معك في كل خطوة.. أعدك بذلك..»

أنزل (رازي) رأسه ولم يبد أية مشاعر سوى أنفاس ثقيلة مشبعة بالهم..

(مالك): هل انتهيتما الآن؟

(حازم): نعم.. سوف أقرأ الآن الجزء القانوني من الوصية والذي سيعتبر نافذًا بعد قراءته ولا مجال للاعتراض عليه إلا عن طريق المحكمة.

(مالك) منتبهًا لورقة وضعها المحامي جانبًا دون أن يقرأها: مد عن تلك الورقة؟ لمَ لم تقرأها.

(حازم): هذه الورقة موجهة لشخص محدد ودُوّن على ظهره ملاحظة أن تقرأ له وحده!

(مالك): لا يهم.. أخبرني عن قيمة ميراثي كي أرحل من هنا الك الكئيب.

(حازم) مستأنفاً القراءة:

«أكتب السطور التالية وأنا بكامل قواي العقلية والقلبية دون أ تأثير من قبل شخص أو ظرف ما.. أوصي بعد وفاتي بأن توز

أموالي وممتلكاتي كالتالي:

١- تنقل ملكية المنزل الواقع وسط المدينة بحي ((الشلال الأزرق)) للسيدة (صباح) والمنزل المجاور له لابنتها (حنين) ويخصص لكل منهما ما مقداره رواتب سنتين تخصم من السيولة النقدية في وديعتي المصرفية.

٢- تنقل ملكية السيارة للسيد (جابر) ويصرف له من السيولة النقدية في حسابي المصرفي ما مقداره رواتب لخمس سنوات.

(مالك) مقاطعًا بغضب: ما هذا التبذير للتركة!.. هل أنت متيقن مما تقرؤه؟!

(حازم): الوصية مكتوبة بخط اليد ولا مجال للتشكيك.

(رازي) وقد بدا عليه الضيق والدوخان: أكمل يا سيد (حازم) وتجاهله رجاءً..

(مالك) صارخًا في (رازي): ومن أنت كي تطلب منه أن يتجاهلني؟! أنت لست سوى لص تلاعب بعقل ابنة عمي وهي مريضة وخدعها لتتزوج منه!

(حازم) أرجوك يا سيد (مالك) توقف عن [illegible] أكمل..

عقد (مالك) ذراعيه بوجه عابس وتوقف عن الكلام

(حازم) معيدًا نظره للورقة بين يديه:

٣- تنتقل ملكية القصر والمصنع وما يتبقى من سيولة نقدية إلى حسابي المصرفي بعد تنفيذ البندين الأول والثاني لزوجي السيد (رازي)، وأي شخص آخر يتم إقصاؤه من وصيتي حتى لو كان من ذوي القربى من عائلتي الأحياء.

نهض (مالك) صارخًا في الجميع وقال: هذا احتيال!

(حازم) بهدوء: تمالك نفسك يا سيد (مالك).

(مالك) موجهًا سبابته لوجه المحامي وبعصبية شديدة وصوت مرتفع: اخرس أنت! من الواضح أنك جزءٌ من هذه الخيبة وقد قمت بتزوير هذه الأوراق!

لم يرد (حازم) عليه واكتفى بالنظر إليه بشفقة خلال حالة الثور

التي ألمّت به لكن (رازي) لم يصمت ونهض من مكانه ووقف أمامه مشيرًا بسبابته نحو الباب قائلًا: اخرج من هنا..

(مالك): ومن أنت لتطردني من منزل ابنة عمي؟!

(رازي): أنا لا أطردك فقط من منزلها بل من المصنع كذلك ومن حياتنا.. اخرج بلا عودة.. لم يعد لك مكانٌ هنا بعد اليوم وأنت شخص غير مرحب به.

وفي تصرف لم يكن متوقعًا هدأ (مالك) فجأة وشد ربطة عنقه وقال باسمًا بعينين مغمضتين قبل أن يخرج: معك حق.. هذا ليس مكاني..

خرج (مالك) تاركًا باب المكتب مفتوحًا خلفه فقال (حازم) لـ (صباح): كرمًا لا أمرًا يا سيدة (صباح).. هل يمكنك إغلاق الباب؟

(حنين): أنا من سيفعل ذلك.. استريحي يا أمي.

أغلقت (حنين) الباب وبقيت واقفة بينما أشار (رازي) لأمها بالجلوس بجانبه وأشار كذلك لـ (جابر) بالانضمام إليهما..

(حازم): سوف أكمل الآن..

[illegible] ما الذي تبقى؟

وضعت (صباح) كفها على يد (رازي) وقبضت عليها وكأنها تطلب منه التماسك..

نحو مي مستأنفًا ما تبقى من الوصية:

٤- تنتقل حضانة ابني (وحيد) لزوجي ويكون هو المسؤول عنه حتى يبلغ سن الرشد بشرط أن يقبل بتلك الحضانة عن طيب خاطر، وله كامل الحق في رفضها ونقلها للمستحقِّ الآخر من عائلتي دون أن يؤثر ذلك على ما أوصيت به من ميراث له.

الصدمة كانت قوية على (رازي) وقد لاحظ الجميع هذا من خلال تعابير وجهه خاصة وأنهم جميعًا كانوا على علم بوجود (وحيد) وأنَّ (مريم) لم تخبر (رازي) بأن لها ابنًا وأوصتهم جميعًا بأن لا يخبروه.

(رازي) ملتفتًا نحو (صباح) وهو مشتت الذهن: كيف؟ أنا لا أفهم.. لقد أخبرتني بأنها كانت متزوجة لكنها لم..

(صباح) مقاطعة: سأخبرك بكل شيء لاحقًا.

(حازم) ضاربًا بأطراف الأوراق على سطح الطاولة وهو يقول: لقد

تم قراءة الوصية بالكامل وسوف [illegible]
لقرار الحضانة فستجلك يا سيد (رازي) أسبوعًا لتفكر وتعطيني
إجابتك النهائية كي أتخذ قراري

(رازي): ماذا عن الورقة التي تحدث عنها (مريم)؟

(حازم): ماذا عنها؟

(رازي): إلى من وجهتها (مريم)؟

(حازم): لابنها وقد وجهتني بأن أقرأها له وحده وأشرح له
مضمونها.

(رازي): وأين هو الآن؟

(صباح): أخبرتك يا (رازي) بأني سوف..

(رازي) رافعًا كفه في وجه (صباح) مشيرًا لها بالسكوت: لحظة.
دعيني أسمع ردّه

(حازم): السيد (وحيد) في مدرسة خاصة خارج المدينة ولا يتركها
إلا مرة كل عام لمدة شهر يسافر فيه مع السيدة (مريم) بالسيارة
خارج المدينة برفقة السيد (جابر)

[illegible] السيدة (مريم) خصيصًا للسيد (وحيد) لأنه كان يحب الحيوانات

(رازي): كم عمره؟

(حازم): سبع سنوات.. ويسعدني أن أجيبك على كل استفساراتك وهذا من حقك، لكن كل سؤال سيجرُّ وراءه أسئلة أخرى والسيدة (صباح) ستجيبك عن كل شيء فهي أعلم مني بدقائق الأمور فيما يختص بالسيد (وحيد).. أليس كذلك يا سيدة (صباح)؟

هزت (صباح) رأسها بالموافقة وهي تدمع مما دفع (حنين) للاقتراب منها ووضع يدها على كتفها في محاولة للتهدئة من روعها لكن (رازي) لم يخرج من حالة الصدمة والذهول التي اعترته ووقف وقال محدثًا الجميع: هل كلكم كنتم على علم بهذا؟ لمَ أنا آخر من يعلم؟ لم أبقيتم هذا الأمر سرًّا عني؟ ولمَ لا يرثها هو؟ لمَ أتحمل هذه المسؤولية؟

وقف المحامي ووضع الأوراق في حقيبته وقال: أنت لست ملزمًا بتحمل أي شيء يا سيد (رازي).. الوصية واضحة.

(راز[illegible] وهي كانت تعرف ذلك وتعرف أني لن أستطيع فعل شيء وإلا لكانت أورثتني حقه من الميراث! هي لم تترك لي أي خيار!

(حازم) حاملًا حقيبته: بل هناك خيار تنازلك أنت عن ميراثك له..

(زازي): هل يمكنني ذلك؟

(حازم): نعم بالطبع.. لكنه لن يكون مخولًا بالتصرف في تلك الأموال قبل سن الرشد وستصبح كلها تحت تصرف من ستنقل الحضانة له وهو حسب القانون سيكون السيد (مالك).

لم يرد (رازي) وبقي صامتًا وهو يراقب المحامي يسير خارجًا من المكان ويغلق الباب خلفه قبل أن يقول: «سوف آخذ قرارك النهائي بعد أسبوع يا سيد (رازي)..»

جلس (رازي) على الأريكة محتضنًا وجهه المشوش والمصدوم بكفيه وظل يحدق بالأرض تحت قدميه..

أشارت (صباح) لـ (جابر) وابنتها بأن يخرجا ويتركاها وحدها معه ففعلا وبعد رحيلهما بدقائق قالت: كل شيء سيكون على ما يرام.. لا تقلق!

[illegible] أمه حدثني عنه.

(صباح): تقصد السيد (وحيد)؟

(رازي): نعم.. لم كان يقيم بعيدًا عن (مريم) ولم أخفته علي؟

(صباح): السيدة (مريم) أخفته على الجميع وليس عليك فقط.

(رازي): لماذا؟

(صباح) تجلس بجانبه مستذكرة: الصرخة هي أول أنفاس الإنسان على هذه الدنيا وهكذا بدأ (وحيد) حياته عندما خرج من رحم أمه باكيًا وسط بستان من الابتسامات المرحبة بقدومه.. لم يكن يعرف أن أمه ضحّت بفرصة إنجاب غيره كي تحظى بفرصة لتقبيله لذلك أسمته (وحيد) لعلمها المسبق بأنه لن يكون لديه إخوة، فبالرغم من تحذير الأطباء لها بألا تُقدم على الإنجاب لخطورة ذلك على حياتها وحياة جنينها لأنها ستضطر للتوقف عن تناول أدويتها التي كانت في أمس الحاجة لها غير أنها لم تستجب لهم وأقدمت على تلك المخاطرة. تربّى (وحيد) معها بعد ما انفصلت عن أبيه الذي توترت علاقته معها بشكل ملحوظ عند بلوغه الثالثة، وفي

تلك الفترة المتوترة نفسها اكتشفت أنه مصاب بمرض يسمى بـ (التوحد).. مصادفة غريبة أليس كذلك؟

لم يكن الصبي الصغير يتحدث سوى معها وكان حديثه عبارة عن جمل مختصرة في كلماتها ومحتواها ويرفض أن يقترب أي أحد منه سواها، مهما حاولنا جميعًا في القصر دفعه لمشاركتنا الكلام والتفاعل معنا إلا أنه يأبى ذلك ويكتفي بالصمت والتحديق بنا أو الهرب والاختباء في غرفة أمه حيث كان ينام.

أعتقد أن من أسباب خلاف السيدة (مريم) مع زوجها السابق طريقة تربية السيد (وحيد) فأبوه السيد (كمال) أصر على إدخاله المدرسة كي لا ينطوي أكثر وينفصل عن مجتمع ولد فيه ومقدر له التعايش معه..

(رازي): وهل وافقت (مريم) على إلحاقه بالمدرسة؟

(صباح): نعم.. بعد إلحاح وإصرار شديدين من أبيه قررت خوض التجربة خاصة وأن الأطباء أيدوا قرار السيد (كمال).. أول يوم للسيد (وحيد) في المدرسة كان أشبه بالعزاء لها فقد بكت طيلة الصباح وهي تحضّره للذهاب مع أبيه برفقة (جابر).. كان يومًا لا يُنسى..

ستجدني حيث تركت قلبي

(كمال): ما بك يا (مريم)؟.. الفتى يحدق بك منزوعًا وأنت تبكين!

(مريم) مستنشقة دموعها وهي تمرر أناملها في شعر ابنها وتمد حقيبته لـ(جابر): أنا لم أفترق عنه من قبل وأخشى عليه من النوم.

(كمال): سأكون معه لا تقلقي.

(مريم) بنبرة محذرة: إذا ضايقه أحد فعدني بأنك ستعيده للمنزل!

(كمال) واضعًا كفه على ظهر ابنه: أعدك.. أعدك.. هيا يا (وحيد) لنذهب

سحبت (مريم) ابنها وعانقته بقوة وهمست في أذنه: سأشتاق لك!

(كمال) متذمرًا: سنتأخر! اتركيه!

حررت (مريم) ابنها من عناقها الحار وخرج برفقة أبيه متوجهًا للسيارة..

خلال الطريق كان (وحيد) يحدّق بكل شيء عبر النافذة.. مبهرًا

[illegible] ترجل الاثنان من السيارة بعد وقوفها أمام
[illegible] المدرسة مكتظة بالطلاب من كافة المراحل ووقف الأب ينتظر
(جابر) ليحضر حقيبة (وحيد) الذي ابتسم عندما رأى أول قطة في
حياته تسير على قارعة الطريق مما دفعه للتفلّت من يد والده ليذهب
نحوها كي يداعبها.. لحق به أبوه وأمسك معصمه ونهره قائلًا: «لا
تترك يدي أبدًا..»

أمسك (وحيد) بحقيبته التي مدها له (جابر) مبتسمًا وسار مع أبيه
نحو المدرسة وعيناه لا تزالان تتابعان تلك القطة..

بعد ما جلس السيد (كمال) مع مدير المدرسة وشرح له حالة ابنه
وطلب منه أن يهتم به أكثر، أكد له المدير أنه سيقوم بكل ما في
وسعه كي ينسجم (وحيد) مع بقية الطلاب وسوف يقوم بشرح
حالته لبقية المعلمين. رحل الأب مع (جابر) بالرغم من أنّ (مريم)
طلبت منه أن يبقى مع ابنها طيلة يومه الدراسي الأول لكنه فر
التوجه للمصنع وممارسة عمله كالمعتاد. دخل (وحيد) ساحة
المدرسة واتسعت عيناه عندما رأى جموع الطلاب الغفيرة يلعبون
ويجرون وبقي يراقبهم باسمًا دون أن يحاول مشاركتهم حتى حد

وقت [illegible] حتى [illegible] وهنا بدأت المشكلة الأولى.

(راوي) [illegible] (صبح) [illegible]

(صبح) [illegible] (وحيد) في نوبة هلع وصراخ [illegible]

بالأطفال حوله والتصحك عليه وبعضهم قام بالاعتداء عليه جسديًا أيضًا حتى حضر أحد المدرسين وأخذه لمكتب المدير الذي اتصل بأبيه للحضور لأخذه.

بعد هذه الحادثة أقسمت السيدة (مريم) أنها لن تدخله المدرسة وستقوم بتعليمه بنفسها في المنزل متجاهلة اعتراض السيد (كمال) واتهامه لها بأنها ستفسده بتلك الطريقة، لكن السيدة (مريم) كانت حازمة في قرارها ولم تتراجع عنه ومن هنا تفاقمت الخلافات بينهما ولم يمض عام حتى افترقا.

(راني) وأين زوجها الآن؟

(صبح) لم نره منذ ذلك اليوم.. أعتقد أنه هاجر لمكان بعيد.. لا أدري!

(صباح): لم يكن أمامنا حيارٌ آخر.. لقد انتهزنا فرصة استيقاظها من إحدى غفواتها الطويلة وشرحنا لها الأمر وكيف أن (وحيد) يعاني بغيابها وأن الأمر سيكون مؤقتًا حتى تستعيد عافيتها فوافقت على مضض واشترطت أن أبقى أنا و(جابر) معه في تلك المدرسة وألا نتركه، وبالرغم من أن ذلك كان ممنوعًا لكننا تمكنا من إقناع إدارة المدرسة بأننا سنزوره فقط كل يوم للاطمئنان عليه.. تكاليف تلك المدرسة كانت باهظة جدًّا فقد تكفّلوا بكافة حوائجه الحياتية من مأكل ومشرب وإقامة بسكن خاص في مبنى المدرسة نفسه.

(رازي): وهل اندمج (وحيد) بسرعة؟

(صباح): أسرع مما كنا نتصور.. تلك المدرسة والعاملون فيها يجيدون فعلًا عملهم فخلال أسابيع قليلة تغير السيد (وحيد) وتطورت سلوكيّاته ومهاراته اللغوية وأصبح يعتمد على نفسه كثيرًا لدرجة أنه لم يعد يحب رؤيتنا أنا و(جابر) ولا يرحب بنا كما كان يفعل في أيامه الأولى وأصبح تعلقه منصَبًّا على زملائه ومعلماته.

(رازي): هذا شيء جيد.

(صباح): لكن السيدة (مريم) وبعد تجاوزها المرحلة الخطرة من

[illegible] من مستشفى [illegible] في البداية عندما [illegible]
في المدرسة [illegible] إخراجه وإعادته لكنفها لأنه رفض بشدة مفارقة
أصدقائه ومعلميه ولم يعد يحمل ذلك التعلق الشديد بها مما كسر
قلبها، لكنها أدركت أن هذا قد يكون أفضل له ولمستقبله بالرغم
من شعورها بالحزن الشديد لأنها أحست بأنها خسرته للأبد ولم
يخفف عنها وطأة هذا الفقد سوى معرفتها بأن المدرسة تمنح طلابها
إجازة سنوية لمدة شهر ليعودوا لبيوتهم فاستغلت ذلك الموعد
السنوي للسفر معه لمكان بعيد، ومع كل سفرة تقضيها معه تزداد
ثقتها بتلك المدرسة لأنها شاهدت التغيُّر الإيجابي الذي طرأ عليه
وكانت تمني نفسها بيوم تخرجه لكن الأقدار شاءت أن لا ترى هذا
اليوم وأعتقد أنها شعرت بذلك في كل مرة تزور فيها الطبيب مع
إحساسها بدنو أجلها.

(رازي): كل هذا كانت تخفيه علي؟

(صباح): لم تكن تريد أن تشعر بشفقة نحوها ربما.. السيدة (مريم)
عاشت حياة عصيبة وصدقني عندما أقول لك إنك كنت من
النوادر الذين أدخلوا البهجة والسعادة لحياتها بعد رحيل السيد
(وحيد) عنها.

(رازي): وهو الآن أصبح مسؤوليتي..

(صباح): هل أفهم من ذلك أنك موافق على رعايته وضمّه لحضانتك؟

(رازي): كما أخبرت المحامي.. (مريم) لم تترك لي أي خيار وهذا كان هدفها منذ البداية.

(صباح): من المحزن أن تظن هذا.. هذا يعني أنك لم تر ما كانت تريد أن تظهره لك من حب.

(رازي): أنا لا ألام على تفكيري هذا.. ظهور (وحيد) في الصورة شتت أفكاري ورمى بي في دوامة من الشكوك والظنون.

(صباح): لا أحاول أن أُحيد رأيك عن أمر لست مقتنعًا به ولكن في الواقع أنت لن تكون مسؤولًا عن السيد (وحيد) بشكل مباشر.

(رازي): لم أفهم.

(صباح): أخبرتك بأن السيد (وحيد) يقضي طيلة العام في تلك المدرسة ولا يتركها إلا شهرًا واحدًا في العام يمكنه قضاؤه معي أنا و(حنين) أي أنك لن تضطر لمقابلته حتى.. كل مسؤوليتك

تحديه ستنحصر فقط في دفع مصاريف المدرسة السنوية وحتى هذه لم يتبقَ منها سوى خمسة أعوام والمدرسة لا تبقي على طلابها بعد سن الخامسة عشرة لأنهم وقتها من وجهة نظرهم يكونون جاهزين للعودة والانخراط في المجتمع.

(رازي): لم أحس بأني لو قمت بذلك فسأكون - كما قال (مالك) - استغلاليًا وأنانيًا؟

(صبح): سيكون هذا التصرف الأمثل بدل أن تقبل بشيء لا تريده.

صمت (رازي) بوجه متفكر ولم يرد..

(صبح): صدقني هذا هو الحل المناسب في الوقت الحالي.. وما زال أمامنا سنوات قبل تخرج السيد (وحيد) وأشياء كثيرة قد تحدث إلى ذلك الوقت.

(رازي): حسنًا.. سوف أبلغ (حازم) بأني قبلت الوصاية على (وحيد).

(صبح) مبتسمة: قرارك هذا أسعدني وأسعد السيدة (مريم)، ولم أشك للحظة بأنك ستتخذه لأنك صاحب قلب نقي وأي تردد

شعرت به لم يكن إلا بسبب صفاء نيتك ورغبتك في أن تقوم بما هو صحيح.

(رازي): شكرًا يا (صباح).. كنت محتاجًا لسماع مثل هذه الكلمات

(صباح): نحن عائلة واحدة وسنبقى كذلك..

(رازي): ماذا تنوين أن تفعلي الآن؟

(صباح): في الحقيقة كنت أنوي الحديث معك في موضوع يخصني ولم أكن سأفاتحك به الآن لكن وبما أنك سألت سوف أخبرك.. ابنتي (حنين) تطمح لإكمال دراستها في الجامعة بعد ما حصلت على الشهادة الثانوية مؤخرًا بعد اجتيازها لجميع الاختبارات المطلوبة والجامعة تقع وسط المدينة وسيكون من الصعب عليها الذهاب والعودة يوميًا مع الاستمرار بمزاولة عملها هنا وأنا كذلك لا أستطيع تركها..

(رازي) مبتسمًا ومقاطعًا: فهمت.. أتفهم جيدًا رغبتكما بالرحيل فلا يوجد ما يستحق البقاء خاصة مع المنزلين اللذين تركتهما (مريم) لكما هناك.

(صباح): لا أبدًا لا تسئ فهمي أنا سـ..

(رازي) ممسكً يديها محدقًا في عينيها: كنت أنا من سيطلب ذلك.. أنتما و(جابر) يجب أن ترحلوا وتعيشوا حياتكم... هذه وصيتها!

(صباح) وهي تدمع: سنكون قريبين منك في أي وقت تحتاجنا فيه.

(رازي): أعرف.. ولا تنسي (وحيد).. سيكون رابطًا سيجمعنا دومًا.

(صباح) ماسحة دموعها: نعم معك حق.. شكرًا يا سيد (رازي).

(رازي) مبتسمًا: (رازي) فقط.. هل نسيتِ؟ هيا.. اذهبي وبشري (حنين) بأنها ستحقق حلمها.

قضى (رازي) الأسبوع التالي في ترتيب حياته الجديدة واستهلّها بإبلاغ المحامي بأنه قد وافق على قبول حضانة (وحيد) وأنه سيكون وصيًا عليه وأشرف معه كذلك على توزيع التركة للمستحقين كما نصَّت الوصية وشيئًا فشيئًا تناقصت أعداد المقيمين في القصر ولم يبق سوى عدد بسيط من الخدم فـ (جابر) وبعد وداعه الحار لـ (رازي) بدأ رحلة عمره المؤجلة وسافر خارج البلاد وكذلك (صباح)

وابنتها اللتان انتقلتا لمنزليهما الجديدين بحي ((الشلال الأزرق)) بعد ما قدمت (حنين) أوراقها لكلية الطب في انتظار قرار قبولها لتبدأ بالدراسة وتحقيق حلم عمرها. خلال ذلك الوقت نشغل (رازي) عن المصنع الذي لم يذهب إليه منذ وفاة (مريم) ولم ينتبه لذلك إلا عندما تلقى مكالمة صباح أحد الأيام من المسؤول العام للعمال الذي كان يستفسر عن سبب عدم حضور السيد (مالك) لعدة أيام.

(رازي) عبر الهاتف لمسؤول العمال: آه نعم.. السيد (مالك) لم يعد مديرًا للمصنع لقد تم الاستغناء عن خدماته.

(مسؤول العمال): لم يتم إبلاغي بذلك.. من سيحل مكانه إذًا؟ نحتاج إدارة لتدير شؤوننا!

(رازي): لا تقلق سأهتم بالأمر قريبًا، لكني منشغل ببعض الأمور في الوقت الحالي.. هل يمكنك تولي مهامه حتى أعود؟ لك جميع الصلاحيات التي كان يملكها السيد (مالك) مارسها دون الرجوع إلي.

(مسؤول العمال): شكرًا على ثقتك يا سيد (رازي).. سوف أهتم

بكل شيء عدا الشؤون المالية لأني لا أملك تفويضًا بذلك وهي مسؤولية المحاسب فقط.

(رازي): لا بأس.. لن تحتاج لذلك.. بالتوفيق.

أغلق (رازي) الهاتف وضم أصابعه بعضها لبعض مسندًا أطرافها إلى شفتيه متفكرًا سارحًا أمامه.

بعد دقائق من السرحان بصمت رن الهاتف فرفع (رازي) السماعة ليجد على الطرف الآخر (صباح) تتحدث قائلة: أهلًا كيف حالك؟

(رازي): كيف حالك يا (صباح) أنتِ و(حنين) وكيف وجدتما إقامتكما الجديدة في المدينة؟

(صباح) بسعادة: الحمد لله بأحسن حال.. بدأنا بالاستقرار واشترينا بعض الأثاث الجديد لكننا لم نستطع العيش مفترقتين لذا انتقلنا لنعيش معًا في المنزل الأكبر ونفكر بتأجير الآخر.

(رازي): جميل!.. أنا سعيد لأجلكما.

(صباح): كيف حالك أنت؟

(رازي): في الحقيقة لم أعتد بعد على العيش وحدي فهذه أول مرة أكون وحيدًا خاصة بمكان كبير كهذا.

(صباح) ممازحة: لم لا تنتقل للعيش في المدينة؟ مخالطة الناس ليست بذلك السوء.

(رازي) ضاحكًا. سأفكر بالأمر.

تبع ذلك صمت من الطرفين لعدة ثوانٍ أتبعها (رازي) وبنبرة هادئة يتخللها بعض التردد: جميل أنكِ اتصلتِ أريد أن أطلب منك طلبًا بسيطًا..

(صباح): تفضل سيد (رازي) اطلب ما تشاء!

(رازي): أريد أن أزور قبر (مريم) وأشعر بالخجل لأني لم أذهـ..

(صباح) مقاطعة: فهمت.. أنا بانتظارك.

(رازي): شكرًا (صباح)..

ركب (رازي) سيارته وتوجه لمنزل (صباح) في وسط المدينة بعد ما أعطته العنوان وعند وصوله وتوقفه أمام باب منزلها ترجل من سيارته ووقف يتأمل المنزل ولم يطرق الباب وبينما كان يتمعن في تفاصيله سمع صوت (حنين) تناديه من الخلف ببهجة: سيد (رازي)؟! ما الذي أتى بك إلى هنا؟!

(رازي) [illegible]: أتيت لزيارتكما.. أم أنكما لا تريدان ضيوفا؟

(حنين) ضاحكة: لا لا أبدًا. على الرحب والسعة! أنا سعيدة جدًّا لرؤيتك!

(رازي) وهو يلمح احتضانها لمجموعة من الكتب والكراسات: هل بدأت الدراسة في الكلية؟

(حنين) موجهةً نظرها للكتب والكراسات: لا ليس بعد، لكني أذهب لمكتبة الجامعة كل يوم إلى أن يتم قبولي.. ادعُ لي يا سيد

(رازي) أنا خائفة من أنهم لن يقبلوا بي!

(رازي) مبتسمًا: لا تقلقي أنا واثق من أنهم لن يرفضوا طالبة مجتهدة مثلك.

(حنين) بسعادة: شكرًا لك!

(رازي): هل أتيت سيرًا على أقدامكِ؟

(حنين) مشيرة خلفها. نعم! فالجامعة قريبة جدًّا من هنا.

فُتح باب المنزل وخرجت (صباح) وعندما شاهدت (حنين)

و(رازي) واقفتان يتحدثان تبسمت وقالت أهلًا (رازي)..

(حنين)؟ متى عدتِ؟

(حنين): للتوِّ يا أمي.. لمَ تحملين حقيبتكِ معكِ؟ هل أنت خارجة؟

(صباح) وهي تسير نحوهما: نعم. سوف أذهب مع (رازي) لمشوار قريب

(حنين) بتوسل: خذاني معكما!

(رازي) بتردد: حسنـ..

(صباح) مقاطعة: لا.. لديكِ مهام أريد منكِ إنجازها في المنزل.

(حنين) بتساؤل: مهام مـ؟!

(صباح): لا تناقشيني وادخلي!

(حنين) رافعة أكتافها وهي تهمُّ بالدخول: حاضر يا أمي! إلى اللقاء سيد (رازي)!

لوَّح (رازي) لها باسمًا بيده حتى دخلت وأغلقت الباب خلفها..

(صباح) سائرة نحو السيارة: لنذهب.. سوف أرشدك للطريق.

بعد أن قطع الاثنان مسافة استغرقت ربع ساعة تقريبًا وصلا لأرض

مسوَّرة توقف (رازي) عند بوابتها الكبيرة ليخرج لهما رجل تعرف على (صباح) في الحال وقال: صباح الخير سيدة (صباح).

(صباح): أهلًا (باسم).. نريد الدخول لو سمحت.

(باسم) موجهًا نظره لـ (رازي): الدخول فقط لأفراد العائلة والمصرَّحِ لهم وأنتِ تعرفين ذلك.

(صباح): هذا السيد (رازي) زوج الراحلة السيدة (مريم).

(باسم) بتحرج: العفو يا سيدي فأنا لم أقابلك من قبل.. تفضل!

فتح الحارس البوابة وأشار لهما بالدخول فتحرك (رازي) بالسيارة دخولًا لوسط مقبرة العائلة. كان المكان كبيرا جدًّا والأشجار والخضرة وبساتين الزهور منتشرة في كل مكان وكأنهما دخلا غابة وليس مقبرة.

(رازي) يجول بنظره خلال قيادته: مكان جميل وغريب..

(صباح): لمَ تقول ذلك؟

(رازي): مقبرة القرية التي عشت فيها لم تكن سوى أرض ترابية وكل قبر فيها مُيِّز بحجر أو صخرة كشاهدة بسيطة فقط!

(صبح): هذه المقبرة تاريخها طويل وقد أسسها [illegible]

(مريم).. وقد خصصت لأفراد عائلته وذويهم فقط.

(رازي) وهو مستمر بالتقدم بالسيارة لوسط المقبرة: وهل في الموت أفضلية وخصوصية؟

(صبح): لا أعرف لكن هكذا هو الحال!

(رازي): أين أتوجه الآن؟

(صباح) مشيرة بسبابتها أمامها: توقف هنا.

أوقف (رازي) السيارة ليشاهد في الأفق مجموعة من الأنصبة الحجرية الكبيرة كالتوابيت استقر كل منها على بعد كبير من الآخر وكل نصب صمم بطريقة مختلفة وزرع من حوله نباتات وورود ذوات ألوان متعددة.

(صبح) محركة سبابتها المرفوعة لأحد الأضرحة: هذا هو قبر السيدة (مريم).. سأكون بانتظارك هنا.

(رازي): ألن ترافقيني؟

(صبح) منزلة رأسها: لا.. لا أقوى بعد.. وقد لا أجد تلك القوة قريبًا.

أمسك (رازي) مقود السيارة بكلتا يديه ولم يترجل منها وبقي يحدق بقبر (مريم)..

لاحظت (صبح) تردده وملامحه القلقة فوضعت يدها على إحدى قبضتيه وقالت بنبرة مطمئنة: ستفرح بزيارتك..

التفت نحوها وتبسم بابتسامة صغيرة ونزل من السيارة وسار متوجهًا لقبر (مريم)..

وقف (رازي) عند قبر زوجته الراحلة مخرجًا فصَّ القلادة من وراء قميصه وهو يقول باسمًا: ما زلت محتفظًا بها..

مد يده ماسحًا بكفِّه سطح ضريحها الصخري الذي اجتمعت فوقه مجموعة من باقات الورود الجافة وقال: في المرة القادمة سأحضر لك أزهارًا جديدة..

جلس أمام القبر مقرفصًا ولم يقل شيئًا بل أخذ يعبث ببعض أهداب الأعشاب أمامه وحوله حتى حط طائر صغير على رأسه وغرَّد قليلًا قبل أن يحلق مبتعدًا مما دفعه لتأمله باسمًا وهو يحلق صعودًا نحو الغيوم إلى أن وقعت عيناه على قرص الشمس الساطع فرفع كفه

أمام وجهه ليحميه من أشعتها الثاقبة. وقف (رازي) وقرر الرحيل بعد أن أمضى وقته في مراقبة قبر (مريم) بصمت مع إطلاق بعض التنهدات من وقت لآخر، وقبل أن يخطو أول خطوة تجاه السيارة رفع القلادة الفضية ليتأملها فانكسر ضوء من أشعة الشمس على سطح فصها إلى عينه مباشرة وكانت ردة فعله لما حدث غريبة فقد بدأ بالصراخ تجاه القبر قائلًا:

«هل كانت هذه خطتك منذ البداية؟! هل تقربتِ مني فقط كي تؤمنّي شخصًا ليرعى ابنك بعد موتك؟! كنتِ تعرفين أن رحيلك قريب ومحتوم فقررتِ البحث عن شخص ساذج كي يرث عبأك أليس كذلك؟! أنت لم تحبيني قط! أمي كان معها حق في كل ما قالته عنكِ! جاوبيني!!»

ركل (رازي) الضريح الصخري بقوة مما أدى لكسر أصبع قدمه لكنه لم يشعر بالألم وقتها واستمر بالصراخ قائلًا: أنا أكرهك!! .. أكرهك!!

سار (رازي) عائدًا نحو السيارة وهو يعرج وفتح بابها وركب وأغلق الباب بقوة وهو يتنفس بثقل و(صباح) تراقبه بهدوء وقبل

أن يدير المحرك قالت له:

« كل مصائب الحياة يمكن تحملها بعقولنا إلا إذا كان مصدرها شخص يمكر ذات العقل »

(رازي) مدير المحرك وسيرة غاضبة: لا المواقف ولا الظروف تُظهر أسوأ ما فيه.. بل الأشخاص.. وبالأخص من نقربهم خطأً منا.. ولا أحد يسكن عقلي!

(صباح): لم أكن أتحدث عنك يا سيد (رازي)..

أمضى الاثنان طريق العودة نحو منزل (صباح) وسط المدينة دون حديث حتى توقفت السيارة عندها. بادرها وقالت: هل ستكون بخير؟

(رازي) موجهًا نظره لقدمه وقد هدأ قليلًا لكنه لا يزال مستاء: نعم.. إنه مجرد ألم بسيط..

تبسمت (صباح) ثم وضعت يدها على مقبض الباب وفتحته وقبل ترجلها قالت: كل ألم يزول ويُنسى مهما كان كبيرًا في بدايته.. المهم ألا يترك ندبة تذكرنا به مدى الحياة..

تحرك (رازي) مباشرة بعد ما أغلقت (صباح) الباب ولم يودعها بكلمة..

بعد وصوله للقصر شاهد أحد الخدم العاملين يقف عند الباب الرئيس من الخارج على غير العادة وبعد نزوله من السيارة جرى الخادم وعلى وجهه ارتسمت علامات القلق الشديد فبادره (رازي) بالسؤال : ما الأمر؟ ما بك مرتبكًا هكذا؟

(الخادم): المعذرة يا سيدي لكن هاتف المنزل لم يهدأ منذ خروجك!

(رازي): لماذا؟! ما الذي حدث؟!

(الخادم): لا أعرف.. أشخاص كثيرون اتصلوا يسألون عنك وجميعهم كانوا في حالة ارتباك وجزع وبعضهم صرخ فيَّ عندما أخبرتهم بأنك لست موجودًا!

(رازي) وقلقه يتصاعد: أشخاص؟ أي أشخاص؟!

(الخادم): لم يعرّف أيٌّ منهم بنفسه لكني تعرفت على صوت أحدهم.

(رازي) بعصبية: من؟! أخبرني من؟!

(الخادم): المحامي الذي كان يزور السيدة (مريم)!

(رازي): تقصد السيد (حازم)؟!

(الخادم): نعم نعم هو!

جرى (زاري) ودخل القصر بسرعة وتوجه على الفور للمكتب وقبل أن يرفع سماعة الهاتف للاتصال بالمحامي رن جرسه فتوقفت يده فوق السماعة لثوانٍ وقلبه ينبض قلقًا وتوترًا مما سوف يتلقاه من خبر لا محالة أنه سيئ.. أخذ نفسًا عميقًا وقبض السماعة ورفعها عند أذنه وقال بنبرة هادئة متوجسة: نعم..

الف باب مغلق ونافذة مفتوحة

...صيم احترق بالكامل..»

...ب هذه العبارة التي قالها المحامي لـ (رازي) وأشعرته بدوار

...ه وضعف مدغت في ركبتيه مما دفعه للجلوس وهو يشعر

...بالغثيان..

...رم) من الطرف الآخر للمكالمة: سيد (رازي).. هل سمعتني..

...صح.

...رازي) مقاطعًا وهو يمسح عرق جبينه: نعم سمعتك..

(حازم): لقد حدث الأمر فجأة، وما أن بلغني النبأ حتى توجهت مسرعة إلى هناك.. لم يبقَ سوى الرماد والركام.. فرق الإطفاء لم تتحقق أن تنقذ شيئًا والمؤشرات تؤكد أنه من فعل فاعل والتحقيق جارٍ لكشف ملابسات الحادث..

(رازي): هل أصيب أحد في الحريق؟

(حازم): لا، الحمد لله الجميع خرجوا سالمين.. لا تقلق سأهتم بكل الإجراءات وسنحصل على تعويض من شركة التأمين.

... في مكتب (...) و...

... وقال: سوف نفحص جميع الأوراق و...

حيث . ما رأيك أن نجتمع مرة أخرى في الموعد نفسه ...

مستحدثات؟

(زي): هل سترحل؟ لقد وصلت للتو!

(حازم): أمامي يوم طويل في متابعة الموضوع و...

فقدوا وظائفهم

(رازي): ما مدى الضرر الذي أصابنا؟

(حازم) [illegible]

[illegible] عقود [illegible] المصنع. [illegible]

العقود [illegible]

الوقت [illegible] التي ستحل

قريبًا.

(رازي) بقلق: وكيف سنسدد كل هذا؟

(حازم): لا تقلق.. التأمين سيغطي كل الخسائر.. هذا ليس همي

الآن.

(رازي): ما الذي يقلقك إذًا؟

(حازم): لنؤجِّل الحديث للغد كي لا أكون متسرعًا في نقل أية

أخبار سيئة لك.

(رازي): حسنًا.. موعدنا غدًا بإذن الله.

خرج المحامي من المكتب وما أن أغلق الباب حتى رنَّ هاتف

المكتب فرفع (رازي) السماعة ليجد (صباح) في الطرف الآخر

تسأل وتطمئن عليه بعد سماعها بخبر حريق المصنع.

[illegible]

(صباح): [illegible]

(رازي): [illegible]

(صباح): لم تذهب للطبيب أليس كذلك؟

(رازي): لم أجد وقتًا مع كل ما يحدث.

(صباح): سوف أتصل بالدكتور (ناجي) ليأتي في الحال.

(رازي): لا لا.. سأكون بخير!

(صباح): أنا لا أستشيرك.. هل تحتاج شيئًا آخر؟

(رازي): لا.. شكرًا يا (صباح).

(صباح): في أمان الله.

(رازي): أم (حنين)..

(صباح) متعجبة من مناداة (رازي) لها بكنيتها لأول مرة: نعم.. تفضل!

(رازي): أعتذر عما بدر مني بالأمس من فجاجة ووقاحة كنت مستاءً فقط

[illegible] فلنك لن تعكره فلتات

(صباح) [illegible]

لسانك [illegible] (رازي) من المستحيل أن أستاء منك مهما

فعلت، فالقدر الذي [illegible] لا يواريه إلا ما أحمله لابنتي

(حنين).. كن بخير..

أنهى (رازي) المكالمة ونهض من مكانه وخرج لبهو القصر بخطوات

بطيئة بسبب قدمه المصابة وتوقف أمام مدخل غرفة الطعام يستذكر

جلساته الصباحية مع (مريم) على مائدة الإفطار وقاده هذا الحنين

للجلوس عند طرف الطاولة الكبيرة حزينًا ومهمومًا. بعد مضي

نصف ساعة تقريبًا تناول فيها (رازي) قهوته الصباحية طُرق

الباب فجرى أحد الخدم وفتحه ليدخل الدكتور (ناجي) ويسير

نحو (رازي) حاملًا حقيبته ويجلس بجانبه قائلًا: صباح الخير سيد

(رازي) كيف حالك اليوم؟

(رازي): الحمد لله بخير.

(ناجي) فاتحًا حقيبته: ممّ تشكو؟ لقد أبلغتني السيدة (صباح) بأنك

مريض.

(زاري): لا أبدًا مجرد إصابة بسيطة في قدمي ولم [illegible]

حضورك لكنها أصرت

(ناجي): هل يمكنني إلقاء نظرة عليها؟

(زاري) يخلع حذاءه: بالطبع..

كشف الطبيب على قدمه وقال: التورم كبير.. أعتقد أن هناك كسرًا لكن لا يمكنني الجزم بدون أخذ أشعة.

(زاري): ألا يمكنك وصف مسكن ما فقط؟

(ناجي): الاحتياط واجب.. بعض الكسور قد تتطور لما هو أسوأ إذا لم تعالج بالشكل الصحيح.. هل يناسبك الذهاب الآن للمستشفى لعمل الأشعة؟

(زاري): غدًا.. يا دكتور غدًا

(ناجي) وهو ينهض من مكانه حاملًا حقيبته: سأكون بانتظارك لا تتأخر ولا تتهاون في الموضوع.

(زاري): حاضر

مساءً بينما جلس في غرفة الطعام لتناول عشائه سمع رنين الهاتف

[illegible]

الأمر طارئ بعض الشيء»

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مجتمعين في [illegible]

واستقبل (حازم) [illegible] الذي سؤال قبل أن

نقل إليك آخر [illegible] من المسؤول عن تحديد وثيقة تأمين

المصنع؟»

(رازي): المدير العام بالطبع!

(حازم): تقصد السيد (مالك)؟

(رازي): سابقًا نعم..

أنزل (حازم) نظره للأسفل واضعًا كفّه على فمه زافرًا نفسًا ساخنًا

بوجه مستاء..

(رازي) بعصبية: لا تتأخر [illegible]

(حازم) مستجمعًا نفسه: [illegible]

المصنع فإن التأمين يعتبر لاغيًا بعد [illegible]

وأبلغوني بأنهم أرسلوا أكثر من تنبيه خطي بخصوص ذلك

وخطاب إ[illegible] بهذا مُعفَون قانونيًّا من تحمل أي تبعات!

(رازي) وهو مصدوم: لكن قسط التأمين يُخصم من الميزانية كل شهر!

(حازم): من الواضح أن السيد (مالك) كان يستولي على قيمة تلك الأقساط ولا يوردها.

(رازي) بعصبية: كيف يستطيع القيام بذلك في وجود محاسب خاص بهذه الأمور؟!

(حازم): لقد تواصلت مع المحاسب وأفادني بأن السيد (مالك) سحب منه صلاحيات كثيرة من ضمنها سداد أقساط التامين.. لقد سرق الكثير من الأموال الهامشية والتي تراكمت لمبالغ ضخمة نهاية كل شهر.

(رازي) بحسرة: هذا خطئي أنا.. كنت أعلم بسرقاته من أول أسبوع لي في المصنع ولم أتدخل مبكرًا لإيقافه عند حده، لكن لم يخطر ببالي أن تلك السرقات ستضعنا في هذا المأزق!

(حازم): وكما ذكرت لك سابقًا فهناك مديونيات كثيرة على المصنع ونحن مطالبون بسدادها في الحال قبل أن يتقدم أحد بشكوى أو رفع قضية تقود للحجر على ممتلكاتك وبيعها بسعر بخس..

(رازي): ماذا عن السيولة في البنك؟

(حازم): المبلغ المتبقي كسيولة بعد توزيع التركة سيكفي لسداد رواتب العاملين لشهر واحد بالإضافة لسداد نصف المبالغ للتجار فقط، وشركة التأمين لن تدفع لنا فلسًا واحدًا لإعادة بناء المصنع كي نقوم بالتعويض.

(رازي): معنى هذا أنني لا أزال مديونًا حتى بعد تصفية الحساب البنكي.

(حازم): نعم.. هذا هو الوضع المالي الآن يا سيد (رازي) وكان لا بد أن أخبرك بأسرع وقت لأن التجار وبعد خبر حريق المصنع شعروا بالذعر على أموالهم وبعضهم هدد بالمطالبة القانونية.

غطى (رازي) وجهه بكفيه ولم يقل شيئًا..

(حازم): هناك حلٌّ واحد للخروج من هذه الأزمة أو على الأقل التخفيف من وطأتها.

(رازي) مبعدًا يديه: ما هو؟

(حازم): بيع القصر..

(رازي): مستحيل!

(حازم): وليس فقط هذا.. يجب أن تعلن إفلاسك أيضًا!

(رازي): إفلاسي؟

(حازم): نعم.. كي تتملص من عقودك ومسؤوليتك تجاه العمال، لأنك ملزم بدفع رواتبهم شهريًا بحكم العقود المبرمة معهم فتلك العقود بها حزم من الحقوق والمنافع ستزهق ميزانيتك الشهرية من الأساس وسوف تستنزفها بالكامل، وأولويتنا الآن هي سداد ديون التجار. يجب أن تبيع كل شيء.. القصر.. السيارة.. الخيول وكل شيء تملكه ذي قيمة وبالكاد ستخرج من هذا المأزق!

(رازي) وهو في حالة من الذهول والصدمة: كيف ينهار كل شيء بهذه السرعة والسهولة؟ أنا لا أفهم!

(حازم) موجهًا نظره للقلادة الفضية على عنق (رازي): هل تركت السيدة (مريم) أي حلي يمكنك بيعه؟

[illegible] عطّى ما تبقى من ديون ورواتب عمال المصنع والعاملين والخدم قبل تسريحهم جميعًا وأمهل المشتري (رازي) أسبوعًا واحدًا فقط ليرحل وخلال تسليم (حازم) له آخر ورقة من أوراق المخالصات المالية في مكتبه قال له: وبهذا يكون قد أنهينا كل شيء بعد خصم أتعابي.. هذا هو مجموع ما في حسابك الآن.

(رازي) ناظرًا في الورقة وبتهكم: هذا المبلغ لا يكفي حتى أن أشتري غرفة في أسوأ حي بالمدينة لكنه أفضل من لا شيء.

(حازم): في الواقع بقي أمر واحدٌ لم أدرجه ضمن المصروفات المستعجلة لأنه قابل للإلغاء.

(رازي): عن ماذا تتحدث؟ ماذا بقي؟.. لقد سددنا كل شيء!

(حازم): صحيح لكن من واجبي قبل أن أنهي تعاملي معك بشكل رسمي ونهائي أن أخبرك بأن قسط مدرسة السيد (وحيد) سيحل قريبًا والمبلغ المطلوب ليس بالقليل وأنا أقترح أن تنهي تعاملك معها بنهاية الشهر وتدخله مدرسة عامة مجانية هذا إذا كنت لا تزال ترغب بحضانته لأنه مع وضعك المادي الجديد يحق لك التنازل عن وصايته لغيرك.

[illegible]

(رازي) [illegible]

[illegible] أخرى؟

[illegible]

[illegible]

[illegible] التي [illegible] والتي [illegible]

[illegible] لا أريد [illegible]

[illegible] مهمة أصعب منك.

[illegible] كما تشاء. [illegible]

[illegible] عندما تستقر في [illegible]

(رازي) في الوقت الذي زودهم [illegible] للسيدة (صبح)

(أحمد) تقصد [illegible] ((الشلال الأزرق))؟

(رازي) نعم مؤقتاً فقط حتى [illegible]

(أحمد) [illegible] ذلك.

[illegible] (رازي) [illegible]

[illegible] (رازي)

[illegible]

(رازي) بعد نهوصه هو الآخر ومصافحته: شكرًا على كل ما قدمته واعذرني على أي إساءة بدرت مني.

تبسم (حازم) وقبض على يد (رازي) وهزها: ليت كل وكلائي بمثل أخلاقك.. وداعًا.

رحل المحامي تاركًا (رازي) مع أفكاره وهمومه الجديدة..

الكنز الثمين

(رازي) أسبوعه الأخير في القصر بين نومٍ واستيقاظ روتيني
أن تعاوده للبحث عن سكن جديد فهو لم يعد يملك شيئًا
على ذلك وبدأت فكرة العودة للقرية تراوده بقوة كلما اقترب
موعد مغادرته. قبل ذلك الموعد المحتوم وتحديدًا بنهاية اليوم الأخير
غروب الشمس وخلال جلوسه في الحديقة على كرسيٍّ خشبي
هبت ريح باردة تلاعب شعره قليلًا لكنها أثارت في عقله
فكرة طرأت بباله فجأة وكأن أحدًا قد همس بها في أذنه، وهي أن
يصعد للطابق العلوي ويدخل غرفة (مريم) التي لم يرَها من قبل،
خاصة وأن المشتري قد دفع ما دفعه مقابل القصر بالأثاث الذي
فيه وخشي (رازي) أن يكون هناك حوائج خاصة في تلك الغرفة
ولا يريد لذلك المشتري أن يطلع عليها فنهض من مكانه وتوجه
للجناح الذي أقامت فيه زوجته الراحلة واقترب من باب غرفتها
ووضع يده فوق المقبض وأداره ببطء.

لم يكن (رازي) مستعدًّا لما شاهده فلم يرَ سوى غرفة فارغة تمامًا عدا

[illegible] بسيط و[illegible] بيضاء صغيرة دون وجود أي قطعة [illegible] في أي ركن من أركان الغرفة. سار لوسطها بخطوات [illegible] ووجه متعجب ومتسائل. ظن في بادئ الأمر أن هناك من [illegible] [illegible] ومع تفحصه أكثر وجد أنه لا يوجد أثر يدل على [illegible] أن أحد الجدران تميز بنقش مختلف فاقترب منه ليكتشف [illegible] دولاب مخفي في وسط الجدار يفتح بالضغط.

كبس (زاري) بأنامله درفة الدولاب فاندفعت للخارج محدثة صريراً خفيفاً كاشفةً عن مجموعة من الأرفف في الأعلى ودرج كبير في الأسفل. مدّ يده للرف الأول في الأعلى بعد أن أبعد الدرفة أكثر وسحب مجموعة من الأوراق كان من ضمنها تلك الورقة التي [illegible] (مريم) عندما كانا تحت شجرة التوت فتبسم ودمعت عيناه [illegible] تمكن من قراءة محتواها هذه المرة فقد كانت تقريرًا طبيًّا يفيد [illegible] قد وصل لمرحلة متقدمة وفيها توقيعها بخروجها على مسؤوليتها من المستشفى.

[illegible] (زاري) [illegible] وألصقها بشفتيه الراجفتين وقال محدثًا [illegible] [illegible] إخباري منذ البداية. لم يفكر [illegible]

بخداعي لكنها لم تقوَ على الحديث عن مرضها معي كي لا تشعر بالضعف أو الشفقة مني.. وهي بدورها لم تحرجني عندما علمت بأني لا أستطيع القراءة بشكل جيد حينها.. كم كنت أحمق».

وضع (رازي) التقرير في جيب صدره المتألم وفتش في الرف الثاني نزولاً ووجد مدونة صغيرة فتحها من المنتصف فوقعت عيناه على صفحة كتب فيها:

«ربما لم أحسن الاختيار في الماضي أو ربما لم يكن لدي خيار من الأساس لكنني اليوم وجدت من تبتسم روحي لرؤياه وينبض قلبي فرحاً لمجرد سماع صوته. اندملت والتأمت كل جروحي عندما التم كفي بخده وتبضرت أحزاني بالحديث معه وانتهى حدادي.. أي روح نقية تلك التي داوتني من كل عللي؟.. وأي كنز تعثرت به اليوم في سوق القرية الصغير؟.. لن أرحل بدونه.. لن أنتظر شيئاً أريده حتى ياتيني.. سوف أقدم عليه بدون تردد..

سأتنازل عن كل كبريائي تمسكت بها طيلة عمري لأحظى بقربه حتى لو عنى ذلك سخط من حولي.. لم أعد أملك وقتاً أهدره في هذا العالم التعيس.. سيكون جزءاً من حياتي القصيرة وسأكون بداية حياته السعيدة.. أتمنى فقط أن يقبلني مثلما أصبح هو دون طوعي جزءاً مني.. سأخبره بأنني أحبه حتى وإن كلفني ذلك خسارته..»

منتصف الليل..

النزل فوق التلة..

أغلق (رازي) المدوّنة التي اتضح له أنها مذكرات (مريم) الخاصة وامتنع عن قراءة المزيد احتراماً لها وخصوصيتها لكن تلك الصفحة التي قرأها أشعلت في جوفه سؤالاً أحرق قلبه بعد ما تيقن من حبها الخالص له وقال محدثاً نفسه:

«ما الذي جعلها تتراجع عن قرارها الاعتراف بحبي؟.. لمَ بدّلت رأيها بعد ما كانت عازمة على ذلك؟»

أمامه يدخن سيجارًا سميكًا وخلفه وقف مجموعة من الرجال وقال: «ما الذي تفعله هنا؟.. ألم يخبرك المحامي بأني سأستلم القصر اليوم؟»

تعرف (رازي) على الرجل السمين والذي كان المشتري الذي ابتاع القصر وقال: «بلى بلى سوف أرحل لا تقلق..»

نفخ الرجل السمين سحابة من دخان سيجارته تجاه (رازي) وقال: توقعت أن أجد السيد (حازم) هنا ليسلمني المفاتيح بعد إخلاء المكان.. هذا كان الاتفاق.

(رازي) وهو يتنفس بثقل: المفاتيح معي سوف أسلمها أنا لك.. فقط أحتاج بعض..

عبس الرجل السمين وقال متسائلًا: ما بك؟ هل أنت مريض؟ هل سنواجه مشكلات في استلام العقار؟

(رازي) مستندًا لدرفة الباب للحفاظ على توازنه وبنبرة متعبة: لا لا.. أنا مرهق قليلًا فقط. سأجمع بعض الحاجيات الخاصة في الغرفة بالأعلى وأخرج في الحال!

استدار (رازي) ومع استدارته دارت الدنيا حوله وسقط أرضًا مغشيًا عليه..

أفاق بعدها ليلًا في غرفة على سرير أبيض والمحامي يجلس على كرسي بجانب سريره فاستنتج أنه في المستشفى بسبب الأجهزة والمغذيات الموصولة به فقال: ماذا حدث؟

(حازم) واضعًا كفه على ذراع (رازي): لا تجزع لقد أصبت بالحمى فيما يبدو.. لقد اتصل السيد (عنبر) وأخبرني بأنك فقدت الوعي!

(رازي) باستغراب: (عنبر) من؟

(حازم): المالك الجديد للمنزل.

(رازي) مستذكرًا بشيء من التوتر: لقد نسيت بعض الحوائج المهمة هناك وأريد استعادتها قبل أن ينتقل للقصر!

(حازم) مطمئنًا: لا تقلق.. لقد أقنعت السيد (عنبر) بأن يؤجل موعد انتقاله للقصر إلى الأسبوع القادم..

(رازي): ومتى سأخرج من هنا؟

(حازم): لا أعرف لقد رحل الطبيب قبل استيقاظك بقليل ولم يخبرني بشيء.

(رازي): لا أستطيع البقاء هنا أكثر.

(حازم): لا تهتم بشأن التكاليف.. سأتحمل أنا كل شيء.. فقط استعد عافيتك

(رازي): لم أقصد ذلك لكن شكرًا.

(حازم): هل وجدت سكنًا جديدًا؟

(رازي) ومعالم وجهه تتغير للحزن: لا، ليس بعد.

(حازم): هل تريد مني أن أساعدك بهذا الشأن؟

(رازي) زافرًا بنبرة مستسلمة: لا.. لقد قررت أن أعود للقريه في الوقت الحالي

(حازم): ماذا عن السيد (وحيد)؟

(رازي): ألم تدفع رسوم مدرسته؟

(حازم): بلى لكن..

(رازي): لن يحتاج لي ولوجودي إلا بعد مرور عام وإلى ذلك الوقت سوف أتدبر تكاليف دراسته للعام المقبل.

(حازم): مدرسة السيد (وحيد) تصرف طلابها مرة كل عام لمدة شهر.

(رازي) نعم أعرف

(حازم) وهل تعرف أن هذا الموعد لم يتبقَّ عليه سوى عدة أسابيع؟

(رازي) لماذا؟

(حازم) نعم.. ألم تخبرك السيدة (صباح) بذلك؟

(رازي) لا لم يخبرني أحد بشيء!

(حازم) ها أنا أخبرك الآن.. يجب أن تكون مستعدًّا لاستقباله وإبقائه معك لمدة شهر بعدها يمكنك إعادته لمدرسته والذهاب حيث تشاء.

وضع (رازي) كفه على وجهه وبدأ يفرك جبينه بأطراف أصابعه..

(حازم) إذا كنت لا تستطيع أن تتحمل مسؤوليته بعد ما حدث يمكنني

(رازي) مقاطعًا: لا تقلق بهذا الشأن سأكون جاهزًا وفيها.. من في العادة يذهب ويحضره؟

(حازم): في السابق كان (جابر) هو من يتولى تلك المهمة لكن أنا من سيتولاها هذه المرة.

(رازي): حسنًا. كرمًا لا أمرًا أحضره لي عند منزل السيدة (صباح).

(حازم): حاضر.. سيكون تواصلي معك من خلافا.. هل هذا يناسبك؟

(رازي): لا خيار آخر لي.. سأعرج بها يوميًّا كي أتفقد أي اتصالات ترد منك.

(حازم) ناهضًا من مكانه: اتفقنا إذًا.. هل تريد مني أن أحضر لك شيئًا من القصر؟ لقد قلت بأنك تركت بعض الحاجيات هناك.

(رازي): لا تشغل بالك.. بمجرد خروجي من هنا سأذهب وآخذ ما أريد وأرحل في الحال وسأترك المفاتيح تحت سجادة المدخل.

(حازم) وهو يهم بالرحيل: اتفقنا

رحل المحامي وأغلق الباب خلفه، لكن لم يمض وقت طويل حتى دخل الدكتور (ناجي) ومعه ممرضة مرافقة له تحمل معها صينية معدنية استقرت فوقها مجموعة من الحقن وقال: كيف حالك اليوم يا سيد (رازي)؟ أخيرًا قررت زيارتنا؟

(رازي) بتحرج: أعرف أني أهملت نفسي لكني مررت بأسبوع صعب!

(ناجي) ممسكًا إحدى الحقن من على الصينية: إهمالك تسبب بالتهاب في العظم وهذا سبب الحمى والإغماءة التي أصابتك لكن على أي حال كنت محظوظًا والأسوأ لم يقع وأنت بخير الآن.

(رازي) متى يمكنني المغادرة؟

(د. ناجي) وهو يحقن (رازي) في ذراعه بالسرنجة: الالتهاب الذي أصبت به إذا انتشر أكثر فستكون حياتك في خطر لذا سأبقيك ليومين تحت الملاحظة حتى تزول الحمى وأتيقن من أن جسدك قد تخلص من أي رواسب ووقتها يمكنك الرحيل.

(رازي): شكرًا يا دكتور.

(د. ناجي) حاقنًا (رازي) بحقنة أخرى: اهتم بنفسك أكثر خاصة في الأسابيع القادمة فقدمك لم تتعافَ بالكامل بعد.

(رازي): حاضر

(د. ناجي) للمرضة قبل أن يخرج: يجب أن تقاس درجة حرارته كل ست ساعات مع الاستمرار بأخذ الحقن.

حنت الممرضة رأسها قائلةً: حاضر يا دكتور.

خرج (رازي) من المستشفى بعد ثلاثة أيام لأن أعراض الحمى كانت تذهب وتعود ولم تزل بالكامل ومع ذلك كان الطبيب مترددًا في السماح له بالخروج. لكن (رازي) أكد له أنه سيتبع جميع نصائحه وسيتجنب الإهمال بصحته وسيتناول الأدوية المصروفة له بانتظام دون التعرض لأي من مسببات التعب والإرهاق. عند مدخل الطوارئ وبعد توقيعه على أوراق خروجه واستلامه كيس الأدوية المصروف له وقف (رازي) يفكر في وجهته التالية وكيف سيصل إليها بدون وسيلة مواصلات أو مال ليستأجر سيارة أو حتى حافلة لتقله. وبعد تفكير لم يدم طويلًا انتهى به المطاف بالبدء بالمشيء بالرغم من أن قدمه المصابة لم تُشفَ بعد بالكامل.

خلال سيره تحت حر الشمس حاملًا كيس الأدوية بيد ونازعًا ما تبقى من ضمادات ذراعه باليد الأخرى لمح (رازي) أنه مقبل على سوق كبير فتوجه نحوه وسار بين محلاته ودكاكينه المختلفة ومع سيره لمح محلًا لبيع وشراء المصوغات والحلي فوضع يده على فص القلادة الفضية وتأمل لوحة المحل لثوانٍ ثم تقدم للأمام ودفع بابه بنزن جرس نحاسي معلق في طرف الباب العلوي ويخرج له رجل

مسن يضع نظارة بعدسات دائرية سميكة كقعور الأكواب وقال مرحبًا: أهلًا وسهلًا.. بماذا يمكنني أن أخدمك؟

(رازي) وقال وهو يهم بالخروج: لا شيء، شكرًا!

ستوقفه صاحب المحل قائلًا: انتظر!

توقف (رازي) بينما خرج الصائغ العجوز من وراء طاولة العرض وسار نحوه حتى توقف أمامه ومدَّ يده وتفحص القلادة الفضية بكفِّه وإبهامه وقال: يمكنك الحصول على مبلغ جيد مقابل هذه القطعة حتى وإن كانت من الفضة الرخيصة.

(رازي) مبعدًا فص القلادة عن متناول الصائغ: لا، شكرًا.. لا نية لي ببيعها.

(الصائغ): سأمنحك سعرًا مجزيًا.

(رازي): أخبرتك بأن لا نية لي ببيعها.

(الصائغ): أتيت للشراء إذًا؟

(رازي): ولا هذا.. أنا لا أملك أي مال.

(الصائغ) ممسكًا فص القلادة مرة أخرى بيده: هذا سبب كاف

بيع تلك القلادة الفضية.. ما فائدة الحلي وبطوننا جائعة؟ سوف أعيش صعفي قيمتها إحسانًا مني.

(رازي) مبعدًا يد الصائغ مجددًا: أنا ممتن لعرضك السخي لكني لا أستطيع بيعها.

(الصائغ): كل شيء يمكن أن يباع ويشترى وكل شيء له قيمة وثمن..

(رازي): إلا هذه القلادة..

(الصائغ): ارهنها عندي إذًا!

(رازي) بتعجب: أرهنها؟

(الصائغ): نعم.. ستبقى معي ولن أتصرف بها مقابل مبلغ من المال سوف أعطيك إياه وعند إرجاعك هذا المبلغ يمكنك أن تستعيد قلادتك.. ما رأيك؟

(رازي): وإذا لم أتمكن من السداد؟

(الصائغ): تصبح القلادة لي بالطبع!

لوح (رازي) بيده نافيًا وقال بنبرة رافضة بشدة وملامح تشير برغبته في الرحيل: لا لا.. لن أفرط بها.

(الصانع) يضع يده على كتفه ويثنيه عن الرحيل: اسمع عرضي

(رازي): ماذا تريد؟

(الصانع) أنا بحاجة لمن يعاونني هنا.. ما رأيك بأن تعمل معي؟

(رازي) تقصد أعمل «عندك»..

(الصانع): عندي أو معي لا فرق.. ما قولك؟

(رازي) متفحصًا المحل الصغير بنظره: لا يبدو أنك تحتاج إلى أي مساعدة.

(الصانع): هل تظن أني سوف أوظف شخصًا من باب الإحسان؟ هل تريد العمل أم لا؟

(رازي): ألم تعرض عليّ ضعفي قيمة القلادة من باب «الإحسان» أم أن إحسانك يعتمد على رغباتك؟

يدس الصانع يده في جيبه وهو يتذمر قائلًا: «أنت شخص مزعج ومتعذلق!»

يخرج المعدن مبلغًا من المال وأمسك يد (رازي) وقلّب كفه

[illegible] وهذا راتب شهر مقدم كي تعرف أني جاد في حديثي [illegible] أن تبدأ عملك صباح الغد.

[illegible] (رازي) المال بل وضعه على سطح طاولة العرض الزجاجية [illegible] وقال بنبرة مرتابة: في العادة طالب العمل هو من يلح بالسؤال وليس العكس!.. ما سر إصرارك هذا؟

(الصائغ) زافرًا وقد بدأ صبره ينفد: اعتبر أني أستغل حاجتك إذا كان هذا سيطمئنك! لا ترفض هذه الفرصة فلن أبقي يدي ممدودة لك لوقتٍ طويل.. خذ المال وضعه في جيبك وعد غدًا لتبدأ يومك الأول وكفَّ عن الجدال!

أخذ رازي المال بالرغم من عدم ارتياحه لكن حاجته كانت أقوى منه واتفق مع الصائغ أنه سيحضر اليوم التالي تمام الثامنة صباحًا لمزاولة عمله..

[illegible] من المحل اشترى (رازي) حقيبة كبيرة استقلَّ بعدها [illegible] مباشرة للقصر وطلب من السائق أن ينتظره، [illegible] على دخوله حتى خرج مرة أخرى حاملًا [illegible] فيها جميع الحاجيات التي وجدها في دولاب

(مريم) بالإضافة لملابسه وحاجياته الخاصة ثم اقترب من السائق وقال له: «هل يمكنك أن تساعدني في حمل شيء آخر؟ قدمي مصابة ولا أظن أني قادر على إنزاله وحدي»

ترجل السائق من السيارة وهو يقول: نعم بالطبع.. ماذا تريد أن تنقل؟

(رازي): فراشًا..

(السائق): فراشًا؟

(رازي): نعم فراشًا ولحافًا ووسادة.

(السائق) باستغراب: حسنًا.. أين أجدها؟

(رازي): تعال معي وسأريك!

أنزل الاثنان الحاجيات من الطابق العلوي ثم طلب (رازي) من السائق أن يربط الفراش فوق سيارته ووضع الوسادة الملفوفة باللحاف في المقاعد الخلفية ففعل ثم قال: «هل هناك شيء آخر تريد حتى أنا أنقله لك؟»

(رازي): لا، شكرًا.. هذا فقط ما أحتاجه..

[illegible] أضعها في مكان آمن لا تضيع

[illegible] أنا ممتن لك.

[illegible] إلى أين؟!

[illegible] سأبحث عن مكان لأقيم فيه لقد حصلت على عمل في

[illegible]

[illegible] لا تبحث عن منزل هنا وتصبح جارًا

[illegible]

[illegible] سأرى..

[illegible] (رازي) وقتها أن راتبه الجديد لن يمكّنه من الحصول على شقة في هذا الحي فكيف بمنزل، لذا قرر التوجه إلى الأحياء الواسعة حيث يمكنه إيجاد غرفة بسيطة يستطيع تحمل تكاليفها [illegible] إلا في شقة مشتركة مع أشخاص آخرين كان سعرها [illegible] الجديد. تلك الغرفة كانت تقع في مجتمع سكني كبير [illegible] شقته على مجموعات من الناس بشكل يومي، وكان [illegible] طيلة اليوم ودورات مياهه مشتركة كذلك

(الصانع): ما الذي لم تفهم؟ راقبني فقط.. وأنا أبيع وأشتري.. أصلح وأسبك المصوغات.

(رازي): لكن هذا ليس عملًا.. هل تريد مني تنظيف المحل مثلًا؟

(الصانع): لا.. لا تقم بشيء أبدًا سوى مراقبتي وبصمت.

(رازي): ماذا لو كان عندي سؤال؟

(الصانع) وهو يربت بكفِّه على مقعد بجانبه: الأسئلة قبل أوانها مضيعة للوقت.. هيا اجلس وابدأ عملك!

جلس (رازي) والحيرة على وجهه لكنه لم يناقش ونفذ ما أمره به بخرف..

[illegible]

[illegible]

[illegible] عند المدخل صارخًا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أخيرًا [illegible]

[illegible]

[illegible] وجبة الغداء المتأخرة وجلست [illegible]

[illegible] قدمت لها (حسن) [illegible]

[illegible] أعطني رأيك!

[illegible] صحن الكعك الصغير باسمًا: هذه ليست أول

مرة أتناول فيها طبخك يا (حنين) وأعرف جيدًا كم تحبين حز الكعك.

(حنين): جرِّبها هذه المرة وأخبرني بالفرق.

قطع (رازي) بالشوكة قطعة صغيرة من الكعكة وتناولها ثم قال: هذه ألذُّ بكثير مما كنتِ تعدّينه بالسابق.. هل هي وصفة جديدة؟

(حنين) مبتهجة من إطراء (رازي): لا أبدًا لم أغير شيئًا! أعددته بالطريقة نفسها لكن الطعم اختلف ولا أعرف لماذا!

(رازي) متناولًا قطعة أخرى: إنها لذيذة جدًّا.

(حنين): بالهناء والعافية!

(صباح) وهي تراقب (رازي) يأكل الكعك: مشاعرنا المكبوتة في دواخلنا تظهر وتتجلى في أعمالنا حتى وإن أبينا عليها ذلك..

مدت (حنين) لأمها طبقًا لكنها أشارت لها بأنها مكتفية وتريد منها الرحيل وتركها مع (رازي) وحدهما..

خرجت (حنين) وتزامن خروجها مع انتهاء (رازي) من تناول كعكته ووضع الطبق الفارغ فوق الطاولة أمامه وهو يقول: سعيد برؤيتكما مجددًا..

(صباح) لم تتهرب منا إذاً؟

(رازي) نبرة باقية ومبررة. أنا؟ لا أبداً أنا فقط

(صباح) مقاطعة: ألا تعتبرنا عائلتك؟ هل تدر منا شيء يدفعك لتحاشينا؟

(رازي) لا تسيئي فهمي يا (صباح) لكني..

(صباح) مقاطعة مرة أخرى: اسمعني يا (رازي) السيدة (مريم) لم تكن ترابط الوحيد الذي يربطنا بك فنحن نحبك ونعتز بك كفرد من عائلتنا ويجرح في خاطرنا أنك لا تلجأ إلينا أو تشاركنا همومك

(رازي) ليس لدي هموم، حتى وإن كنت أعاني من بعض المصاعب فليس من الذوق أن أقحمكما فيها

(صباح) بل من المحزن ألا تفعل.. ثم إن معاناتك هي معاناتي.. ألم تخبرك من قبل بأنك في مقام ابنتي (حنين)؟

(رازي) بلى لكن..

(صباح) لا توجد «لكن».. هل صحيح أنك دخلت المستشفى؟

(رازي) نعم.. تعب عابر فقط!

(رازي) هو [illegible] هدية.. هذا معروف لن أستطيع أبدًا أن أرده!

(صباح) لا تحرق بهذا الكلام، وإذا كنت فعلًا تريد أن ترد معروفي [illegible] بأن تكون جارًا لنا.

(رازي) موجهًا نظره للمنزل: لكن.. لكن هذا كثير.. ولا حق لي في المنزل.. هذا منزل (حنين)!.

(صباح) مبتسمة: المنزل شاغر.. ولا تتحجج بـ (حنين) لأنك تعرف أنها تقيم معي منذ أول يوم أتينا فيه إلى هنا..

(رازي) معيدًا نظره نحوها: يمكنك تأجيره والاستفادة من ماله.

(صباح) هناك أمور أهم من المال يا بني.. وأنا المستفيدة لو وافقت صداقتي

قبض (رازي) على المفاتيح منزلًا رأسه قائلًا: لا أعرف ماذا أقول!

(صباح) ممازحة: قل «موافق» فقط.

(رازي) مبتسمًا: موافق.. شكرًا يا سيدة (صباح).

(صباح) باسمة: بدون «سيدة»..

خلال يومين انتقل (رازي) لمنزله الجديد الذي لم يكن مجهَّزًا بالكامل

(صباح): أنت تصر على أن توجع قلبي يا (رزي).

(رزي): حسنًا لن أثير الموضوع مرة أخرى.

(صباح): أن لدي موضوع أريد الحديث معك فيه اليوم.

(رزي) مهتمة: تفضلي.

(صباح): لم أكن أريد أن أخبرك في وقت أبكر لأني أعرف أنك سوف ترهق نفسك بالتفكير حتى يحين الموعد لكنه حان ويجب أن تستعد له.

(رزي): عن ماذا تتحدثين أنا لا أفهم.

(صباح): السيد (وحيد) سيصل غدًا إلى هنا.. لقد تواصل معي السيد (حازم) وقال بأنه سيوصله غدًا أول الصباح إلى هنا.. هذا هو موعد إجازته السنوية وكنت أتابع وضعه مع مدرسته الأسابيع الماضية..

(رزي) عاجزًا عن إخفاء صدمته: غدًا؟

(صباح): نعم وقد علمت منهم بأن رسوم دراسته للعام المقبل قد تم دفعها مقدمًا وهذا ما وضعك في هذا المأزق المادي أليس كذلك؟

(رازي) بتوتر: عن ماذا تتحدثين؟

(صباح) مبتسمة: لا شيء يا بني لا شيء..

بدا على وجه (رازي) القلق بعد سماعه خبر [illegible] (وحيد) لكنه لم يعبر عما كان يجول بخاطره لـ (صباح) التي استدركت بعد رؤيتها توتره وقالت: لا تقلق.. سوف أقدم لك مخرجًا من تلك الدوامة

(رازي): ماذا تقصدين؟

(صباح): أعرف أنك تخشى مواجهة صعوبة تقبُّله لك ونقل خبر وفاة أمه له وكيف ستتعامل معه خلال الشهر الذي سيقضيه هنا.

(رازي): لقد قرأت أفكاري.. ماذا يجب أن أفعل؟ مما سمعته عنه [illegible] لا ينسجم مع أحد سوى (مريم) وقد لا أتمكن من أن أوفر له الحياة التي اعتاد عليها.

(صباح): سيبقى السيد (وحيد) معي أنا و(حنين) فهو لم يعد رافضًا [illegible] بل [illegible] يستأنس بنا.. كل ما أريده منك هو زيارته من وقت لآخر كي يألفك.

(رازي): وإذا لم يتقبلني؟

(صبح) مخرجة ورقة من جيبها: هذه هي الرسالة التي تركها (مريم) في وصيتها وطلبت من المحامي أن يقرأها له.

(رازي): وماذا تفعل معك؟

(صبح): سلمها لي السيد (حازم) وطلب مني القيام بتلك المهمة

(رازي): وما هو محتواها؟

(صبح) وهي تمد الورقة: لا أعرف فلم أفتحها ولم أضع على مضمونها وأريدك أنت أن تتولى هذه المهمة.

(رازي) آخذًا الورقة: هل أقرؤها له فور وصوله؟

(صبح) القرار لك.. اختر الوقت الذي تراه مناسبًا لقراءة محتواها له.

(رازي) أنا لا أعرف مضمونها كي أختار الموعد الملائم!

(صبح): فقط أنصت لقلبك وستعرف.

(رازي) معيدًا الورقة لها: أبقيها معك حتى يحين ذلك الوقت المحتوم.

(صبح) آخذة الورقة منه: حسنًا.. سأحتفظ بها معي.

انتبه إلى أن ساعة الحائط أشارت للتاسعة فقام من مضجعه على عجلة ونزل في المدخل للطابق السفلي خارجًا من المنزل ومتوجهًا لمنزل (صباح) ليطرق الباب بطرقات متتابعة حتى فُتح له ليرى (حنين) تستقبله بسرور قائلة: سيد (رازي)؟ أخيرًا قررت الحضور؟

(رازي) بكلام متلعثم: لقد سرقني النوم.. كنت أريد الحضور باكرًا لكن..

(حنين) مشيرة له بالدخول: هذا ما توقعته أمي.. تفضل فهي تنتظرك في الداخل.

بعد أن أخذ خطوة للداخل وأغلقت (حنين) الباب خلفه توقف مكانه وقال بتوتر: هل...؟

(حنين): نعم.. السيد (وحيد) معها في المطبخ يتناول إفطاره!

(رازي) زافرًا: حسنًا.

(حنين): ما بك يا سيد (رازي)؟ ألست متحمسًا لمقابلة السيد الصغير؟

(رازي): بل متوترٌ هو التعبير الأصح.. أخشى ألا يحبني!

(حنين) باسمة: السيد (وحيد) لا يعرف الكره.. إما إن يحبك أو يصدَّ عنك

(رازي): ماذا لو صدَّ عني؟

(حنين) واضعة كفها على ظهر (رازي): لا تفكر كثيرًا..

دخل الاثنان للمطبخ وشاهدا الصبي يجلس عند المائدة وحقيبته الصغيرة بجانبه يتناول بعض الشوفان و(صباح) تمسح على رأسه وتتأمله باسمة. بقي (رازي) يحدق به مبهورًا ومتعجبًا لشدة الشبه بينه وبين (مريم) فقد اكتسب منها معظم ملامحها.. عينيها، شفتيها، أنفها وحتى رسمة حاجبيها، وخلال سرحان (رازي) بمحياه وهو يتناول طبق الشوفان انتبه الفتى له فما كان منه إلا أن رمى ملعقته واحتضن (صباح) وعيناه الجزعتان مرتكزتان على (رازي).

(صباح) مخاطبة الصبي المحتضن لصدرها: لا تخف هذا صديقنا.. اذهب وسلِّم عليه.

(رازي): لا تجبريه.. أنا متفهم عدم رغبته في ذلك.

بعد ما قال (رازي) هذا الكلام فك (وحيد) عناقها وسار نحوه

ووقف أمامه رافعًا رأسه الصغير يتمعن في ذلك الرجل [illegible]

بوجه قلق ومتوتر، وخلال وقوفه أخذ (وحيد) [illegible]

بزفرة ألحقها بالدفاعة نحو (رازي) وعانق سيقانه. رفع (رازي)

يديه للأعلى بسبب تفاجئه مما حدث واستغرابه من تصرف الصبي

وهذا الاستغراب شاركته فيه (حنين) وأمها، واستمر هذا الموقف

حتى قال (رازي) لـ (صباح): ماذا أفعل؟

(صباح): احمله بين ذراعيك!

(رازي): هل أنت واثقة؟

(صباح) تهز رأسها باسمة بالتأييد: نعم..

وضع (رازي) كفيه تحت إبطي الفتى الصغير ورفعه للأعلى وما أن

استقر بين ذراعيه حتى انقض (وحيد) وعانق عنقه متشبثًا فيه بقوة

بأعين مغمضة.

(رازي) موجهًا حديثه لـ (صباح) بوجه متعجب: ما الذي يحدث؟

(حنين): أعتقد أنه لم يصدّك كما كنت تتوقع!

(صباح) مبتسمة بحزن: قلب الفتى الطاهر يراك بوضوح ويعرف

أنك مصدر أمان له..

[illegible]

[illegible] شكرًا لأنك فعلت [illegible]

[illegible] وجه نظرة [illegible]

[illegible] أمي..»

[illegible] (صباح): هل أخبره؟

(صباح): لا نستعجل.. نمنحه وقتًا أكثر قبل أن يعلم بالأمر.

قضى الجميع بقية يومهم في غرفة المعيشة وقضوا معظمه جالسين على الأريكة ينصتون لـ (وحيد) الذي وقف أمامهم وبدأ بالحديث بحماس عن الأشياء التي تعلمها طيلة العام والأصدقاء الذين تعرف عليهم وعن معلماته، وكان يجيد تقليد صوت وحركات كل شخص يتحدث عنه ببراعة شديدة أضحكت الجميع تارة وبهرتهم تارة أخرى، وكان (رازي) مستغربًا من طلاقته في الكلام مع (صباح) و(حنين) وتجاوبه مع جميع استفساراتهما لكن عندما يقوم هو بسؤاله عن أمر ما ينزل الفتى رأسه ويدخل في حالة من الصمت الخجول لا يخرج منها إلا بعد أن يوجه له سؤال آخر من (صباح) أو ابنتها، فاعتقد (رازي) أنه خائف منه أو لا يرغب

بالحديث معه لكن ذلك الاعتقاد تبدد عندما نهض للذهاب لدورة المياه فحدث ما لم يكن في حسبانه فقد اندفع (وحيد) نحوه وعانق فخذه وتمسك به بطريقة غريبة أوحت بأنه لا يريد منه الرحيل، وتطلب الأمر تدخل (صباح) لتحرير (رازي) من قبضته كي يستطيع دخول الحمام وطيلة فترة غيابه بقي (وحيد) صامتًا جالسًا على الأريكة إلى أن عاد (رازي) ليقف مرة أخرى ويستأنف حديثه بالحماس السابق نفسه. عند اقتراب الظهر وجهت (صباح) ابنتها بالبدء في إعداد الغداء فقالت (حنين) لـ (وحيد) بعد ما أمسكت يده: ما رأيك أن تأتي لمساعدتي بالمطبخ كما كنا نفعل في السابق؟

وجه الفتى نظره بأعين خائفة نحو (رازي) الذي قال له باسمًا: اذهب سأكون هنا بانتظارك..

نفلت (وحيد) من قبضة (حنين) وجرى نحو (رازي) وقفز عليه وعانقه بقوة وبدأ يئن وكأن ألمًا قد أصابه..

أشارت (صباح) لابنتها بالرحيل والبدء بإعداد الطعام ثم قالت لـ (وحيد) خلال عناقه المحموم لـ (رازي) بعد ما وضعت يدها على ظهره: ما بك يا بني؟

(رازي): ماذا تقصدين؟

(زاري) [illegible]

[illegible]

[illegible]

(صباح) هل ترغب مني في مصاحبتك؟

(زاري) مستغربًا. لا. لماذا تريدين ذلك؟

(صباح): اريد أن أطمئن عليكما..

(زاري) وهو يهز بدن (وحيد) يساعده باسمًا: سنبدي أمورنا أليس كذلك يا (وحيد)؟

كومة الأغصان

[illegible]

[illegible] (صباح) أن يترك (وحيد) ليبيت معها إلا أن [illegible] يترك لهما مجالاً ليتخذا ذلك القرار، فاصطحبه [illegible] فتح الباب حتى هرول الفتى داخل المنزل شبه [illegible] يجري في أركانه دخولاً وخروجاً من كل غرفة دون [illegible] (أري) يراقبه باسماً ممسكاً حقيبة (وحيد) بيده ولم يحاول [illegible] عن اللعب والجري بحرية في المكان، وعندما قرر [illegible] يناد عليه بل اكتفى بصعود السلالم ليلحق الأخر به [illegible] صعوداً للطابق العلوي وهو يقول: موعد النوم!

[illegible] صعد السلالم [illegible] الفتى الذي وصل قبله ضاحكاً: [illegible] النوم!

[illegible] (أري) باب غرفته ليدخل (وحيد) مباشرة ويتجول فيها بينما [illegible] الإمساك [illegible] ألقاه بجانب فراشه على الأرض [illegible]

يعقل الماء في كأس زجاجي ليتناول دواءه وقبل أن يقوم بذلك رفعت (وحيد) أمامه رافعًا كفّيه محركًا أصابعه في إشارة منه لرغبته في الشرب. فتبسم (رازي) ومد له الكأس وبقي يمسح على رأسه خلال شربه للماء. أعاد الصبي الكأس الفارغ ومده لـ (رازي) وقال: شكرًا.

(رازي) يسكب كأسًا آخر من الماء: هل تريد المزيد؟

هزّ الفتى رأسه بالنفي وبقي يراقب (رازي) يتناول حبتين من دوائه ويحرك عنقه للخلف بحركة سريعة أتبعها بشرب نصف كأس الماء فقال الفتى: أنت مريض؟

(رازي) باسمًا وهو يجلس بجانبي الفراش واضعًا الكأس جانبًا: لا

(وحيد) ضاحكًا بحماس: مريض مثل أمي!

(رازي) بحزن اعتراه فجأة: نعم.

انفض الفتى عنه ليسقط الاثنان على الفراش وتستقر رؤوسهما على الوسادة المعطرة بعطر (مريم) ووجهاهما مقابلان بعضهما لبعض لتنتاب (رازي) حالة من الحزن المؤلم وهو يحدق بملامح ذلك الفتى

التي تأثرته بروحته الراحلة خاصة أن غيرها قد أحاط بهما [illegible]
[illegible] معهما. لاحظ (وحيد) ذلك الحزن في عيني (رازي) فمد يده
وغطى إحداهما وقال: وقت النوم...؟

(رازي) بنبرة مختنقة بالعبرات: نعم وقت النوم.

مع أول الصباح استيقظ (رازي) كعادته قبل موعد عمله بساعتين
ووجد أن (وحيد) لا يزال نائمًا بجانبه فنهض وبدأ روتينه اليومي
من اغتسال وإعداد لإفطار سريع قبل أن يخرج، ولم يضع ببالـه وجود
شخص جديد يقيم معه وكان في نيته أن يعطي الصغير وقتًا أطول
للنوم والراحة حتى ينجز كل أعماله المنزلية الصباحية لكن اكتشف
خطأه عندما سمع الصبي وهو جالس في المطبخ يحتسي قهوته بعد
تناول دوائه يصرخ بقوة من الطابق العلوي الذي جرى نحوه
بهلع متوجهًا لغرفة النوم مباشرة فاتحًا بابها ليرى (وحيد) مختصًا
الوسادة يبكي بصوت مرتفع وما أن رآه حتى رمى بها جانبًا ونهض
مهرولًا تجاهه معانقًا سيقانه مطبقًا عليها بكل قوته ومستمرًا بالبكاء
الخليط من البكاء والعويل. استلزم الأمر من (رازي) بعض الوقت
حتى تمكن من تهدئة وطمأنة الفتى المفزوع وتقديم بعض الإفطار

(رازي): حسنًا.. أعطني أجري المتأخر إذًا.

(الصائغ) بغضب: ليس لديك شيء عندي!!

لم يرد (رازي) أو يجادل الصائغ الغاضب واستدار وخرج من المحل وسار على قارعة الطريق وخلال سيره قال (وحيد) وذقنه مسندة على كتف (رازي) وعيناه تحدقان بباب المحل وهما يبتعدان عنه:

رجل سيئ..

(رازي): رجل مسكين وليس سيئًا..

لم يتوقف (رازي) عن السير حتى وصل لمحطة القطار التي كانت قريبة من السوق وابتاع تذكرتين ببعضِ ما تبقى معه من مال وجلس مع الصبي على مقاعد الانتظار بعد ما وضع الحقيبة أمامه. في كل مرة يتوقف فيها قطار عند المحطة ويطلق نفير صفارته العالي كان (وحيد) يغطي أذنيه بكفّيه ويغمض عينيه فقال له (رازي): هل الصوت مزعج؟

(وحيد) بأعين مغمضة بعد ما رفع كفّيه عن أذنيه: صوت الصراخ..

(رازي) بتعجب: الصراخ؟

وجه الصبي عينيه وبدأ يراقب المسافرين يدخلون من القطار ويتأملهم بخليط من الاندهاش والاهتمام ولم يرد على (رازي) الذي قال له: هل تريد أن تركب؟

هز الصبي رأسه باسمًا بالموافقة وعيناه لا تزالان تراقبان الناس..

(رازي). هل هذه أول مرة تركب فيها القطار؟

هز الصبي رأسه مجددًا وهو لا يزال يبتسم بوجه متحمس..

(رازي) يشاركه النظر للمسافرين: أنا كنت متوترًا أول مرة لكنها خففت عني وطمأنتني بحبها لي.

أدار (وحيد) نظره نحو (رازي) وشدّه الحزن على وجهه وقال: هل كنت مع أمك؟

(رازي) سارحًا أمامه: نعم.. كانت أمي وأختي وصديقتي..

(وحيد) بتعجب: كيف؟

(رازي) ناهضًا من مكانه بعد ما حمل الحقيبة: هيا.. قطارنا يقترب.

قفز الصغير من على الكرسي محاولًا النظر لكنه لم ير شيئًا نهاية السكة وقال: أين؟! أين؟!

[illegible] (رازي) حقيبة أرضًا وحمل الصبي على كتفه [illegible]

[illegible] سحابة من الدخان؟ هذا هو قطار!

(وحيد): لمَ هو يحترق؟

[illegible] ضاحكًا: ربما يحترق شوقًا لمقابلتك!

(وحيد) متأملًا القطار المقترب منهم وبعينين متسعتين [illegible]

حقًّا؟!

(رازي) وهو ينزله أرضًا: نعم.. لمَ لا؟

[illegible] الاثنان وتوجها لمقعديهما بعربة الدرجة الثانية وجلس

(وحيد) في المقعد المجاور للنافذة مكملًا تأمله للمسافرين [illegible]

[illegible] (رازي) حقيبة في المكان المخصص فوقهما وجلس [illegible]

[illegible].

[illegible] القطار نحو وجهته بعد أن أطلق نفير بوقه لكن هذه المرة لم

يتأثر (وحيد) من صوته ولم يبدِ أي انزعاج منه وبعد مضي عدة

[illegible] من التحديق بالمناظر الخلابة التي تجاورها القطار خلال

[illegible] تلاعب النعاس بأجفان الصبي فوضع (رازي) كفه عند

[illegible] على حجر، ليغط الصغير في نوم عميق [illegible]

[illegible] متفكرًا [illegible]

مع (مريم) حتى [illegible] هو الآخر عينيه [illegible] بعد مرور [illegible]

التذاكر وتحققه من تذاكرهما.

[illegible] المسافرون [illegible] من [illegible]

[illegible] التي أحدثوها حوله خلال [illegible]

[illegible] أن فتح عينيه حتى وجههما نحو [illegible]

[illegible] في حضنه فحرّك رأسه برفق وحمله عن كتفه

وشد حقيبته من الرف العلوي وحملها ونزل هو الآخر للمحطة

وبدأ يسير ويجول بنظره بحثًا عن وسيلة نقل توصله لقريته، لكن

[illegible] المتأخر وقلة النشاط في تلك المحطة لم يتمكن من

[illegible] البقاء والسير مشيًا خاصة وأن المسافة لم تكن بعيدة

لكن [illegible] كانت شاقة بسبب حمولته.

بعد [illegible] ساعة من المشي المتواصل وصل (رازي) [illegible]

[illegible] من التعب الذي أحس به استأنف سيره نحو مزرعة

أهله، ووصل عند باب منزلهم الصغير وطرقه بعد ما وضع [illegible]

الثقيلة على الأرض. بقي منتظرًا أمه تفتح له لكنها لم تفعل ولم ير من النافذة الجانبية أي أثر لاستيقاظها أو إشعالها لمصدر ضوء. فكرر الطرق عدة مرات حتى فقد الأمل واستسلم لفكرة أنها غارقة في النوم وقرر التوجه للزريبة والمبيت فيها حتى الصباح لأنها تملك جدرانًا وسقفًا والجو مناسب للبقاء في الخارج فقد كان عليلًا تعوم من خلاله بعض النسائم الباردة. حمل (رازي) الحقيبة ورفع جسم (وحيد) النائم وثبته أكثر ومشى بخطوات متعبة للجهة الخلفية من المنزل حتى وصل لبوابة الحظيرة التي دفعها برفق بقدمه كي لا تُحدث صريرًا يوقظ الصبي النائم، لكنه وقبل أن يخطو خطوة للداخل فوجئ برؤية أمه مستلقية على جنبها فوق الأرض الترابية.

تملك (رازي) شعور بالخوف والقلق في بادئ الأمر لكنه وبعد ما دخل الوسط الحظيرة انتبه لحركة صدرها نزولًا وصعودًا فعلم أنها فقط نائمة بجانب قبر أبيه فقرر الخروج وعدم إزعاجها وسار نحو باب الخروج وقبل أن يخطو خارج المكان سمعها تقول له: «لقد عدت..»

استدار (رازي) ليرى أمه وقد وقفت متكئة على عصا تحدق به بعينين ساخطتين..

(رازي): كيف حالك يا أمي؟

[illegible] على الأرض وتقدمت [illegible]

[illegible] حتى [illegible] فلحق بها ووقف [illegible]

[illegible] حبيب صدرها وأخذ يتمعن بها بكل [illegible]

[illegible] يتحدث معها، فبادرته وهي تدخل [illegible]

[illegible]: من هذا الصبي الذي تحمله معك؟

(رازي): ابن (مريم)..

[illegible] الباب ودخلت لوسط المنزل وهي تقول: هل عينتك

مريبة عندها؟ هل هذا هو المستقبل الذي هجرتنا لأجله؟ [illegible]

وضيع عند امرأة انتهازية..

(رازي): لقد ماتت.. فلا تتحدثي عنها بسوء..

([illegible]) تشعل سراجًا بعلبة كبريت: لا تخبرني بما يجب أن أقول

وموتها لن يغير رأيي فيها.

[illegible] (رازي) نظره لباب غرفته وقال: هل غرفتي مفتوحة؟

([illegible]) تجلس على الكرسي الخشبي: أنا لم أقترب منها منذ هروبك

(الأم) ضاحكة: وماذا تظن نفسك الآن؟ ألست خادمًا لسيدك الصغير.. خادمًا لابن المرأة التي خطفتك مني؟

(رازي) بعصبية: لست خادمًا عند أحد! لقد تزوجتها!

سكتت الأم عندما سمعت من ابنها ذلك الكلام وبتلك النبرة وبعد لحظات من الصمت قالت بغضب مكبوت: هي من تزوجتك وليس العكس! الآن تيقنت من أنها تزوجتك لأنها كانت تعرف بدنوِّ أجلها وأرادت أن تشتري لطفلها أبًا بدلًا من الذي هجرها وتخلى عنه.. أنت لست سوى خادم مأجور مثل بقية الخدم الذين خدموها.. استيقظ من وهمك!

(رازي): كنت أعتقد ذلك أيضًا.. لكني تيقنت من أن الحقيقة عكس ذلك.

(الأم): تقصد خدعت وأوهمت نفسك بتلك الحقيقة.. أي عقل سيرى ما أراه.. دعني أخبرك شيئًا يا صغيري عن مكر النساء.. لن تستطيع أبدًا تصور أو تخيل ما يمكننا القيام به للوصول لمبتغانا.. النساء يعرفن النساء وتلك المرأة من لقاء بسيط معها علمت بأنها أخبث من أي امرأة قابلتها في حياتي، وما آلت إليه الأمور الآن ودخولك عليّ وهذا الطفل على كتفك يؤكد لي ما كنت واثقة منه منذ

بداية: لقد خدعتك.. وأي شيء رأيته قبل أو بعد هلاكها ليس إلا جزءًا من خطتها التي نسجت خيوطها بعناية لتقع في شباكها!

(رازي): لم تزرعين الشك في قلبي مجددًا بعد أن وصلت للراحة؟

(أم): أنت من طرق بابي ومن يطرق الباب سيجد الجواب كما يشاء.. واجه الحقيقة ولا تهرب منها كما هربت من حياتك هنا!

شعر (رازي) بالضيق من حديث أمه فأخرج من جيبه حبتين من دوائه وتناولهما بدون ماء وقال: وما الذي تريدين مني فعله الآن؟ تخلى عنه كي أجلس بجانبك؟

(أم) بقلق: ما الذي تناولته للتو؟

(رازي) ممسكًا قُلَّة ماء فخارية مستقرة في الزاوية: لا شيء..

نهضت الأم من مكانها وسارت نحوه وقلقها يتصاعد: ما بك يا بني؟ ممَّ تشكو؟

تبع (رازي) فوهة القُلَّة عند فمه محدثًا صوت بقبقةٍ متصلًا خلال شربه..

(رازي) معيدًا القُلَّة مكانها ماسحًا فمه بكمه: هذه مجرد مقويات سيطة.

(الأم): مقويات؟ ومنذ متى تحتاج أن تتناول مثل هذه الأشياء؟

سحب (رازي) كرسيًا وجلس عليه ومظاهر التعب والإرهاق تتزايد على ملامحه: أخبريني الآن.. هل ستعودين معي أم لا؟

عندما شاهدت الأم ابنها بتلك الحالة رقَّ قلبها وقالت: لا أستطيع الرحيل يا بني لا أستطيع.. ولن أجبرك على البقاء معي.

(رازي): وأنا كذلك لا أستطيع تركك هنا وحدك.

(الأم): لمَ يتوجب عليك الرحيل؟ ابق معي.. أنت وذلك الصبي.

(رازي) داعكًا جبينه بأصابعه: لدي الكثير من الأمور العالقة.

(الأم): مثل ماذا؟

صمت (رازي) متفكرًا في سؤال أمه وأدرك أنه بالفعل لم يعد هناك شيء يربطه بالمدينة فكل شيء جناه قد تبدد، والمرأة التي ترك قريته لأجلها قد رحلت ولم يعد هناك سبب حقيقي يبقيه هناك سوى (وحيد) والذي يمكنه الانتقال للعيش معه بجوار أمه، لكنّه في الوقت نفسه لم يرد له حياة مثل التي عاشها، بل أراد أن يمنحه فرصة أكبر ليحظى بمستقبل أفضل كما كانت رغبة أمه.

لاحظت أم (رازي) الحيرة على وجه ابنها فقالت: اسمع.. سأمنحك

سنة أخرى بعيدًا عني، وإذا كنت لا تزال مصرًا على البقاء في المدينة بعد انقضائها فسوف أنتقل للعيش معك هناك. ما رأيك؟

(رازي): ولم لا تأتين معي من الآن؟

(الأم) مبتسمة بحزن: ادع الله يا بني أن تكون هذه السنة كافية لتربيع الأرض التي عشت فيها حياتي وأحمل أيام غيري وأقنع نفسي بالرحيل عنها..

(رازي): سنة واحدة فقط وسأعود لأخذك معي

(الأم): سنة واحدة فقط..

مضى (رازي) شهر إجازة (وحيد) معه ومع أمه وكانت تلك الأيام من أسعد أيامهم جميعًا. كانوا يستيقظون كل صباح قبل طلوع الشمس ويقضون الساعات الأولى من النهار في إطعام بهائم المزرعة وجمع البيض وحلب البقرة وحصد بعض خيرات الأرض ليعدوا منها إفطارهم، ويبدؤون بعدها برنامجهم الذي يستهلونه بالتوجه للسوق والتجول فيه، وكان الشيء المفضل لدى (وحيد) من تلك الجولة هو عندما يمرون ببائع البوظة ومراقبته لشجار أم [illegible] اليومي مع بائعة الخضار في نهاية كل نهار يحتطب (رازي)

من الغابة مصطحبًا (وحيد) معه وخلال إحدى تلك الجولات حكى له كيف التقى بأمه أول مرة عند شجرة التوت وأخبره أيضًا بأنه أحبها وتزوجها لكن الغريب في الأمر أن (وحيد) لم يسأله عن أمه أو مكانها الآن واكتفى بالإنصات لقصصه عنها بسعادة.

مع غروب الشمس يجتمع الثلاثة عند الموقد وسط المنزل بعد أن تعد أم (رازي) لهم العشاء الذي يتكون غالبًا من حساء الخضر أو البطاطا مع بعض الخبز، يتناولونه وهم يجلسون حول النار يتسامرون ويتبادلون القصص والحكايات وكان (وحيد) بارعًا في سرد ذكرياته ومغامراته في المدرسة بطريقة جذابة وممتعة خاصة لأم (رازي). قبل انقضاء الشهر بيومين وفي إحدى الليالي خلال اجتماعهم عند نار الموقد وبعد خلود الصبي للنوم على حجر (رازي) أخبر الابن أمه بأنه يتوجب عليهم الرحيل غدًا لأن موعد عودة (وحيد) لمدرسته قد حل، وبالرغم من معرفتها سلفًا بالموعد إلا أن الخبر كان له وقع كبير عليها وأثار حزنها مما دفعه لمحاولة إقناعها مجددًا للرحيل معهما بقول: ما زال بإمكانك مرافقتنا يا أمي..

(الأم) بحزن: صدقني أن هذا جلُّ ما أتمنى لكن جذوري لا تزال بعمق متأصلة في هذه الأرض وأحتاج وقتًا أطول لاقتلاعها.

(رازي) سنة كما اتفقنا.. أليس كذلك؟

(الأم) بلى يا بني. سنة واحدة فقط

قبل بزوغ الشمس استيقظ (رازي) وجمع حاجياته وملابسه وخرج من غرفته تاركاً (وحيد) نائماً على فراشه وذهب للحاج بحثاً عن أمه التي تكون عادةً في الحظيرة وعند دخوله شاهدها تجلس عند قبر أبيه والدجاجات تتجول حولها تنقر الأرض. دنا منها وجلس بجانبها يراقب معها قبر أبيه بصمت ثم رفع ذراعه ووضعه على كتفها واحتضنها بقوة ولم يقل شيئاً. بعد عدة دقائق فك (رازي) عناق أمه ونهض وخرج من المكان ولم يتبادلا أي حديث بل اكتفيا بوداع صامت مشحون بالكثير من التنهيدات.

مساء ذلك اليوم وصل (رازي) مع (وحيد) لمنزلهما في (بني الشلال الأزرق))، وقبل دخولهما عرّجا بـ (صباح) وابنتها اللتين سعدتا جداً برؤيتهما وعبّرتا عن شوقهما إليهما وافتقادهما الشديد لهما بدرجة أنهما طلبتا منهما البقاء والمبيت معهما حتى موعد رحيل (وحيد)، لكن (رازي) آثر النوم في فراشه ووعدهما بأنه سوف يعود في صباح اليوم التالي لتناول الإفطار معهما وبالفعل هذا ما حدث

(صباح) وهي تسكب بعض القهوة لـ (زاري): كيف كانت رحلتكما؟

(زاري) مبتسمًا: لم لا تسألين (وحيد)؟

(وحيد) وهو يقضم قطعة من الخبز: سعادة كبيرة!

(حنين) ضاحكة: أين ذهبتما؟

(وحيد): عند جدتي!

(صباح): كيف حالها؟

(زاري) رافعًا كوب قهوته محتسيًا رشفة منها: بخير.. لكن تمنيت لو عادت معنا

(حنين): ولِمَ لم تفعل؟

(زاري) معيدًا الكوب على سطح الطاولة: ترك القرية ليس بالأمر الهيّن عليها.

(صباح): أتفهم شعورها.

(زاري): لكنها وعدتني بأنها ستفعل السنة القادمة.

(صباح): جميل.. ماذا تنوي فعله الآن؟

(زاري): أول شيء يجب على القيام به هو الذهاب للمستشفى.

(صباح) بقلق: لماذا؟ هل تشكو من شيء؟

(رازي): لا أبدًا، لكن دوائي نفد مني بعد مضي أسبوعين ونحن هناك، وأذكر أن الطبيب أخبرني بأن لا أتوقف عن تناوله حتى يخبرني بذلك.

(حنين): وهل سيؤثر ذلك عليك؟ أقصد عدم تناوله في الفترة الماضية؟

(رازي): لا أعتقد فأنا لم أشعر بالتعب مرة واحدة منذ توقفي عن أخذه حتى إن قدمي تحسنت بالكامل ولم تعد تؤلمني خلال المشي عدا شعورًا بسيطًا بالخدر في أصابعي لكن من باب الاحتياط سوف أعرج بالدكتور (ناجي) لأطمئن.

(صباح): هل ستصطحب (وحيد) معك؟

(رازي): ما رأيك يا (وحيد)؟ هل يمكنك البقاء هنا مع خالتك حتى أعود؟

(وحيد) دون أن يلتفت إليه: نعم! سأبقى! هنا!

(حنين) بخليط من البهجة والاستغراب: هذه أول مرة يوافق فيها على البقاء وحده!

[illegible]

عندما اشترطت عليه ذلك لأخذه لجمع النقص معها، ومنذ ذلك الوقت لم يعد يمانع.

(صباح) إذًا سنكون هنا بانتظارك على الغداء عندما تعود.

(رازي) باسمًا: حسنًا.

خرج (رازي) واستقل سيارة أجرة وطلب من السائق التوجه للمستشفى لكن وفي منتصف الطريق وخلال مرورهما بالسوق لمح محل الصائغ من النافذة فطلب منه التوقف والانتظار قليلًا. ترجل (رازي) من السيارة وسار نحو المحل ودفع الباب ليرن الجرس النحاسي الصغير لافتًا انتباه الصائغ العجوز الذي ما أن رآه حتى قال: «لقد عدت.. جيد.. تعال واجلس بجانبي لنبدأ العمل».

(رازي): أخبرتك سابقًا بأني سأترك العمل ولا نية لي بالعودة.

(الصائغ). وماذا عن كل التدريب الذي تلقيته؟

(رازي): أي تدريب؟ أنا لم أقم بشي ذي نفع طيلة الفترة التي قضيتها معك.

(الصائغ) مخرجًا بعض الحلي من الدرج: تعال.. اقترب مني.

ر (رازي) ووقف أمام طاولة العرض التي جلس خلفها الصائغ

ول: ماذا تريد؟

صائغ) واضعًا مجموعة من قطع المصوغات على سطح الطاولة

رجاجي رافعًا إحداها أمام نظر (رازي): كم عيارًا من الذهب

ده؟

رازي): ثمانية عشر قيراطًا.

صائغ) رافعًا قطعة أخرى: وهذه؟

رازي) ممسكًا القطعة ممعنًا النظر فيها لثوانٍ: ستة عشر قيراطًا

صائغ) رافعًا قطعة أخرى: ماذا عن هذه؟

(رازي): هذا نحاس وليس ذهبًا.. ما الغرض من هذه الأسئلة؟

(الصائغ) باحثًا بين القطع: لا تستعجل..

رفع الصائغ قطعة أخرى وقال: وهذه القطعة من الفضة كم قيراطًا

تعتقد أنها تزن؟

رازي): هذا ذهب أبيض وليس فضة.. ما بك هل فقدت مهارتك

في التعرف على المعادن؟

(الصائغ) معيدًا القطعة لمكانها: لا، لكني أريد أن أوضح لك المهارة التي اكتسبتها أنت من خلال بقائك معي ومراقبتك لي وأنا أعمل.. أنت الآن تحظى بمهارة لا يمتلكها كثير من صائغي المدينة.

(الزي): لا أفهم.. ماذا تريد أن تقول؟

(الصائغ): لم عدت؟ تريد بقية أجرك؟

(الزي): لا لم يعد يهمني ذلك.

(الصائغ): قررت أخيرًا بيع القلادة إذًا؟

(الزي): أخبرتك مرارًا بأني لن أبيعها فلمَ لا تكف عن السؤال؟

(الصائغ): في اليوم الأول الذي دخلت فيه المحل لم تكن تملك القدرة على تقييم تلك القلادة لذا فمهما قدمت لك من ثمن مقابلًا قد ستظن أني أغشك، لكنك الآن تملك الخبرة الكافية لتقييمها.. قيمها لي.. لو أن أحدًا عرض عليك شراءها.. فكم تعطيه ثمنًا مقابلًا لها؟

(الزي) ممسكًا بالقلادة مقلبًا إياها بين أصابعه: ليس بالكثير.. في الحقيقة قد لا أهتم بشرائها من الأساس فصناعتها ليست بتلك

عندي في البداية لحاجتي لشخص يعاونني وأعتقد أنك اكتشفت ذلك بعد فترة قصيرة.

(رازي): نعم وبررت ذلك بأنك تريد الإحسان لي.

(الصائغ): في الواقع أنا لست بهذا الكرم.. كنت وما زلت أطمح في الحصول على تلك القلادة وأبقيتك بجانبي لأتحين أي فرصة أجدها لشرائها منك وفي كل مرة أفشل.

(رازي): وأظنك الآن قد قررت أخيرًا إخباري بالسبب..

الأكاليل الذابلة

جلس الصائغ العجوز على كرسيه الخشبي خلف طاولة العرض وكأن هموم الدنيا قد حطت رحالها فوق ظهره وزفر زفرة مشبعة بالحزن والألم وقال:

كنت فقيرًا مثلك بداية عمري.. عشت مع أسرتي عالة عليهم ولم أملك شيئًا من الدنيا إلا حب أهلي وإخوتي لي وقد كنت لا أراه شيئًا يستحق أو ذا قيمة في عالم يسحق ويطحن من لا يملكون المال.. عملت في كل شيء وقبلت بكل وظيفة مهما كانت حقيرة فقط لأجمع المال وفي كل مرة أرى حصيلة تعبي نهاية الشهر أثور ساخطًا وأترك العمل باحثًا عن مصدر أسرع للثراء.

عند دخولي عقدي الرابع من العمر قررت أخيرًا أن أبدأ مشروعي الخاص بعد ما سئمت حياة الفقر والحاجة لكن ذلك تطلب مبلغًا كبيرًا. وبالرغم من أن معاملتي لأهلي كانت سيئة وساخطة عليهم في الغالب بسبب فقرنا إلا أنهم بذلوا كل ما في وسعهم لجمع المال

[illegible]

رأيت أن أمي لا تزال تتفقد تلك القلادة الذهبية وأنها تلبسها في بعض مناسباتها فقلت إن أمها لا تستطيع التفريط فيها لأنها ورثتها عن أمها عن جدتها وهي ليست غالية أو ذات قيمة يمكنها أن تحدث فرقًا في حصيلة المبلغ الذي جمعوه لكنني وبعنجهية وطيش أحمق أجبرتها على أن تعطيني القلادة لأبيعها رغمًا عنها وهي لم تقتنع رغم أنها للقيام بذلك.

توجهت للصائغ في السوق الذي كان يملك هذا المحل الذي نجلس فيه الآن وعرضت عليه القلادة ليشتريها لكنه رفض لأنها لا تستحق، ومع إصراري اقترح عليّ عرضها في المحل للبيع فقط فلم أتردد بالموافقة وأعطيته القلادة ورحلت.

يومًا بعد يوم كنت أمرّ بمحل الصائغ لأستفسر منه إذا كانت القلادة قد بيعت لكنه كان يخبرني دومًا بأنها لا تزال مكانها حيث

وضعته لتشعر [illegible] زال الغضب في رأسي الفارغ [illegible]

[illegible]

وفقدت قدرة على [illegible]

[illegible]

رقص في [illegible] في [illegible]

[illegible] ولأول مرة أحس بالغربة والوحشة [illegible]

لم أعرف قيمتهم إلا عندما أجبرت على العيش بعيداً عنهم.

حاولت شتى السبل لإرضائهم وقمت بإعادة جميع الأموال التي [illegible] لكن دون جدوى ورفضوا أخذ فلس واحد مني [illegible] للصائغ لاسترداد القلادة الفضية وإرجاعها لأمي [illegible] روحها الذي انطفأ.

أدركت أني [illegible] في ذلك القرار عندما دخلت المحل [illegible] والصائغ يستقبلني باسماً وهو [illegible] حدث اليوم!

[illegible] رجلا [illegible] مع [illegible] القلادة

[illegible] لأنها [illegible] الثمن [illegible]

الصائغ منه فقط [illegible] أصيب بالحيلة الشديدة [illegible]

الصائغ أن يدلني على منزل هذا الرجل لكنه قال بأنه لا يعرف عنه

شيئا فكتب منهارا أمامه مما دفعه لسؤالي عن سبب حزني فأخبرته

بكل شيء.

قدم لي الصائغ وقتها حلا بدا لي في بادئ الأمر أنه حل مناسب، وهو

أن يقوم بصناعة قلادة مماثلة مقابل مبلغ زهيد فوافقت في الحال

وبعد عدة أيام عدت له وأخذت القلادة التي صاغها لي وكانت

بالفعل مطابقة تماما لقلادة أمي ففرحت كثيرا بها وجريت مسرعا

لمنزلنا لأقدمها لها ودخلت عليها بعد محاولات مستميتة لأن إخوتي

كانوا رافضين أن أقابلها لكن رؤيتهم للقلادة جعلتهم يسمحون

لي بالدخول. جلست عند قدميها وأخرجت القلادة من جيبي

ووضعتها في يدها المشلولة وقلت: «خذي يا أمي.. هذه قلادتك

العزيزة عليك.. اغفري لي وسامحيني..»

لم تظهر أمي أي رده فعل سوى بعض الدموع التي نزلت من عينيها

ماذا حدث بعد ذلك؟

سددت قيمته في عيني ولم يبق لي شيء في الدنيا يثير بهجتي مهما كان عاليًا حتى دخلت عليّ ذلك اليوم ورأيت قلادة أمي على عنقك.. بعض من الذكريات الجميلة والمؤلمة ضربني وقتها وتعلمت درسًا قاسيًا حول جميع من حولي تعليمي إياه لكني لم أعبث.. تلك القلادة هي أجمل ذكرى في حياتي وقد فرّطت بها جهلًا وطمعًا مني ومعها فرطت بسعادتي التي لم أستعدها منذ ذلك اليوم مهما جمعت من أموال.. فرطت بسعادة لم أرها للبحث عن سعادة لم أجدها.. حماقة ما بعدها حماقة..

(رازي): وأنت تريد مني أن أقع في الخطأ ذاته..

(الصائغ) يهز رأسه بالنفي باسمًا: لا.. لا حق لي بها الآن.. أدركت ذلك!

أخرج الصائغ ورقة من درجه وبدأ يكتب كلامًا لم يكن ظاهرًا لـ (رازي) وبعد انتهائه نهض وترك الورقة فوق سطح طاولة العرض ورفع قبعته المعلقة من على الحائط ووضعها على رأسه وفتح الباب وهمّ بالخروج..

(رازي): إلى أين؟ هل أغلق المحل؟

الصائغ وظهره مدار له وعيناه تتأملان السوق: المحل بما فيه ملكك يا (رازي).. لقد كتبت تنازلًا كاملًا لك.. تصرف به كما تشاء.

(رازي): أنت منفعل الآن وتصرفك غير مدروس.

(الصائغ) يأخذ نفسًا عميقًا وينزفره بقوة: هذا قد يكون أفضل قرار أتخذه في حياتي.. لم أعد راغبًا في قضاء ما تبقى منه هنا.. في هذا القفص الذهبي.. أنا راحل بلا عودة.. لا تنتظرني.

رحل الصائغ ولم يره (رازي) محددًا بعدها.

بعد رحيل الصائغ أغلق (رازي) المحل وركب سيارة الأجرة التي كانت لا تزال بانتظاره وتوجه مباشرة للمستشفى وجلس مع الدكتور (ناجي) بعد إجرائه لبعض الفحوصات

(د. ناجي) مقلبًا ملف (رازي): قلت بأنك توقفت عن تناول الدواء قبل أسبوعين؟

(رازي): نعم.. لم أستطع الحصول على المزيد منه في القرية.

زفر الدكتور (ناجي) وعيناه تتفحصان صور الأشعة..

(رازي): هل أحتاج المزيد؟ أنا أشعر بتحسن كبير الآن.

.. ناجي) واصعًا الملف جانبًا: يجب أن نبتر ساقك في أسرع وقت!

(رازي) وهو مصدوم: تبتر ساقي؟! لماذا؟!

(د. ناجي): توقفك عن تناول المضاد سمح للالتهاب بالانتشار بكثر وإذا تأخرنا فسيتسلل لبقية جسمك وعندها سيكون قد فات الأوان.. لا وقت لنضيعه أكثر.. سوف تبيت الليلة عندنا ونجري العملية أول الصباح.

(رازي): لكـ.. لكن لا أستطيع الآن..

(د. ناجي) بغضب: لا تستطيع ماذا؟! ألا تدرك أن حياتك في خطر؟!

(رازي): هل يمكن تأجيل العملية لبضعة أيام فقط؟

(د. ناجي): أنت لا تدرك حجم الضرر الذي ألحقته بنفسك فحتى هذه العملية هي محاولة ذات مخاطرة عالية ونسبة نجاحها مرهونة بسرعة تحركنا وأنا لن أتحمل مسؤولية إخراجك من هنا.

(رازي): سأوقع على أي أوراق تريدها لإعفائك من أي مسؤولية.

(د. ناجي): هذا ما كانت تقوله السيدة (مريم) في آخر مرة خرجت

من هنا على قدميها.. لا تكن أحمق يا سيد (رازي) وتهدر حياتك مثلها.

(رازي): نحن لسنا بحمقى.. هناك ما هو أهم!

(د. ناجي): أهم من حياتك؟

(رازي): نعم.. وعد قطعته ولن أتخاذل في الإيفاء به حتى لو كان ثمن ذلك حياتي!

(د. ناجي): ما هذا الهراء الذي أسمعه؟ أرجوك لا تضعني في هذا الموقف الصعب مرة أخرى.

(رازي) باسمًا: أنا لن أنومك على شيء.. أحضر لي الأوراق لأوقعها فقط!

خرج (رازي) من المستشفى وتوجه مباشرة للمحامي (حازم) وجلس معه ودار معه نقاش سريع..

(حازم): كيف حالك سيد (رازي)؟ هل تحسنت أمورك؟

(رازي): الحمد لله.

(حازم): بماذا يمكنني أن أخدمك؟

استفسار قانوني.

عاد (رازي) لمنزل (صباح) وكان في استقباله (وحيد) الذي عانقه بكل حماس وسعادة وجلس الجميع وتناولوا وجبة الغداء التي أعدتها (حنين) وكانت وليمة كبيرة بمناسبة قبولها في الجامعة أخيرًا عقب انتظار طويل. وبعد انتهائهم طلب (رازي) منها أخذ الصبي واللعب معه في غرفة أخرى لرغبته الحديث مع أمها وحدهما. بعد أن اختلى الاثنان وحدهما في غرفة المعيشة قالت (صباح): «كيف كان يومك؟»

(رازي): جيدًا

(صباح): ماذا قال الطبيب؟ هل كل شيء على ما يرام؟

(رازي): نعم الحمد لله. أريد أن أصارحك بموضوع مهم لكن من الضروري أن يبقى سرًّا بيننا.

(صباح) بقلق: تفضل.. تعرف أنه يمكنك الوثوق بي

حكى (رازي) لها ما حدث مع الصائغ وأخبرها أيضًا أنه ينوي بيع المحل بمحتوياته وإيداع المال الذي سيحصل عليه مقابله في حسابها وأن يبقى عندها حتى يبلغ (وحيد) سن الرشد وتقوم بتسليمه له.

(صباح) باستغراب: ولمَ لا تحتفظ أنت بالمال.. أنت الوصي عليه!

(رازي): لأن (وحيد) قد لا يبقى تحت وصايتي طويلًا.

(صباح): لن أوافق على شيء مما تقول دون أن تشرح لي ما يحدث.

شرح (رازي) لها حقيقة مرضه وأنه سيخضع لعملية خطرة قد لا ينجو منها وهذا سيعرض (وحيد) للتبني وهو يريد أن يضمن أن ذلك لن يحدث، ويريد أيضًا أن يؤمن له مستقبله دون أن يحتاج لأحد.

(صباح) بخليط من الحزن الشديد والخوف على (رازي): سوف تتجاوز الأمر وتخرج بالسلامة.. لا تفكر بتلك الطريقة.

(رازي): شيء آخر أريد أن أطلبه منكِ.

(صباح) وصدرها يضيق أكثر بهذا الحوار: ما هو؟

(رازي): الرسالة التي تركتها (مريم) لـ (وحيد).. ما زالت معكِ أليس كذلك؟

(صباح): بلى.. محتفظة بها.. هل تريدها؟

(رازي): لا.. لن أجد القوة لفتحها وقراءتها عليه.. هل يمكنك القيام بذلك عني؟

(صباح) أنت تطلب مني الكثير!

(رازي) أعرف.. سامحيني. أرجوك حققي لي رغبتي.

(صباح) ودموعها تنهمر: أنا لم أرفض، لكن ماذا عن (وحيد)؟ هل سيبقى معي أم سيرحل لمدرسته بعد غدٍ أم ماذا؟

(رازي): لا تقلقي بهذا الشأن.. سأخبرك بكل التفاصيل الآن..

خلال أسبوع باع (رازي) محل الصائغ وأودع قيمته في حساب (صباح) البنكي وذهب للمستشفى ليقرر الدكتور (ناجي) موعد عمليته صباح اليوم التالي. ليلة العملية حضرت (صباح) برفقة ابنتها و(وحيد) الذي لم يرحل لمدرسته لغرفة (رازي) وبقوا معه يتسامرون ويضحكون حتى انقضاء موعد الزيارة وقبل رحيلهم طلب (رازي) منها ترك (وحيد) معه ليبيت معه وأن تأتي صباحًا قبل دخوله غرفة العمليات لتأخذه.

(صباح) بحزن شديد وهي تضع باقة من زهور البنفسج أحضرتها معها على طرف السرير: وسأعيده إلى حضنك بعد خروجك سالمًا.

(رازي) مبتسمًا: لا تنسي اتفاقنا إذا لم يحدث ذلك.

(حنين): لقد تحدثت مع الدكتور (ناجي) وقد طمأنني بأن كل شيء
بخير على ما يرام وأن المرض لم يتجاوز ساقك.

(رازي) ممازحًا (حنين): سأثق بكلام طبيبتنا المستقبلية!

(حنين) ماسحة دموعها: ستكون بخير لا تقلق.

أشار (رازي) لـ (وحيد) بالاقتراب منه والاستلقاء بجانبه على
السرير..

تبسمت (صباح) وأمسكت بيد ابنتها وسارت بها لخارج الغرفة..

(وحيد) ورأسه على صدر (رازي): مريض؟

(رازي) ماسحًا على ظهره: قليلًا..

(وحيد): مثل أمي؟

(رازي): أمك أكثر شجاعة مني.

(وحيد): خائف؟

(رازي): لا.. هل أنت خائف؟

رفع (وحيد) رأسه ووجه عينيه لعيني (رازي) وحدق بهما لثوانٍ ثم
قال: [illegible] كنزي؟

(رازي) متعجبًا: أي كنز؟

(وحيد): [illegible] أمي تركت لي كنزًا [illegible]؟

(رازي): متى أخبرتك بذلك؟

(وحيد): قرأت الخريطة لي اليوم.. تقول بأن أمي كتبتها.

(رازي): وماذا قالت لك أيضًا؟

(وحيد): تقول بأنها رحلت وتركت لي كنزًا عظيمًا وجدته تحت شجرة التوت.. أين هو؟

تبسم (رازي) بالرغم من دموعه التي بدأت تنهمر وخلع قلادته الفضية وقلدها (وحيد) وقال: هذا هو كنزك.. حافظ عليه ولا تتخلَّ عنه أبدًا.

(وحيد) ماسحًا على فص القلادة: إنه جميل! يشبه أمي!

(رازي) ماسحًا دموعه: نعم.. جميل مثل أمك

(وحيد) واضعًا كفّه على وجه (رازي): وقت [illegible]؟

(رازي) باسمًا وهو يجهش بالبكاء: نعم وقت [illegible]

مد (وحيد) يده في جيبه مخرجًا قنينة عطر أمه [illegible]

وقل: لا تنس أمي!

أخذ (رازي) القنينة ودموعه تنساب من محاجره وبخ عطرها على وسادته وصدره الذي توسّده (وحيد) وأغمض عينيه بعد ما أخذ نفسًا عميقًا من أريجه..

في القرية وبينما كانت أم (رازي) تحلب بقرتها سمعت صوتًا ينادي عليها من خلفها فالتفتت وراءها لتشاهد في الأفق البعيد (وحيد) يجري تجاهها ضاحكًا يتقلد القلادة الفضية التي كان يلبسها ابنها ومن خلفه تسير سيدة وفتاة شابة متَّشِحتان بالسواد وعلى وجهيهما علامات الحزن الشديد، وقبل أن يصل الصبي لها خرج وهج قوي من فص القلادة انتشر وميضه وغطّى المكان كله.

أين كنا وإلى أين نحن راحلون..؟

ينقشع الوهج الأبيض القوي كاشفًا عن امرأة بشعر مربوط بعقدة عن الشيب معظم خصلاته وهي تغلق كتابًا وتلقي نظرة على ... تبسمت ووضعته بجانب شمعة بيضاء نصف ذائبة فوق طاولة صغيرة كانت أمامها في مكانٍ شبه مظلم.

صرير فتح باب في قمة مجموعة من السلالم بالقرب من السيدة ذات الشعر الفضي يتبعه دبيب خطواتٍ لشخص ينزل ببطء وحذر، ومع نزوله يزداد الضوء قليلًا في المكان حتى تظهر فتاة تحمل في يدها شمعة مماثلة لتلك التي على الطاولة وتقول للسيدة بعد ما رأتها جالسة على أريكتها الجلدية: ألم أنت في هذه الظلمة يا سيدتي؟!

تبسمت السيدة وقالت: مختلية بنفسي لا أكثر.. لم أنت هنا يا (بسمة)؟

(بسمة): لقد تأخرتِ في العودة للقصر وبدأنا بالقلق عليك!

وجهت السيدة نظرها للكتب المتراكمة بعضها فوق بعض على

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(هياء) تبدين تائهة؟

(هياء) [illegible] في رفوف الكتب الشاهقة أمامها [illegible] هب الشمعة المتراقص. لم أعد أعرف نفسي. الشخوص تتماهى وتتداخل أمامي حتى بت أجهل من أنا فيهم..

تقدمت الفتاة بضع خطوات تجاه (هياء) وقالت بقلق: هل أستدعي الطبيب؟

(هياء) مختصة الكتاب: عودي للقصر وأعدي لي حمامًا ساخنًا قبل النوم وأنا سألحق بك.

(نسمة) وهي تهم بالرحيل: حاضر.

(هياء) [illegible] الشمعة عند بداية السلم

(نسمة) [illegible] الشمعة أمرك

[illegible] الشمعة المشتعلة على سطح الدرجة الأولى من [illegible]

[illegible] بعضها فوقه ورحلت..

[illegible] (هياء) من على الأريكة [illegible] الكتاب [illegible]

[illegible] على قمة الكتب [illegible] على

[illegible] قبل أن ترحل.. [illegible]

[illegible] وفتحت [illegible]

[illegible] عند بداية [illegible]

[illegible]

خرجت (هياء) من منزل (أمين) [illegible]

[illegible] وعبرت [illegible]

[illegible] حراس [illegible]

[illegible] متكررة في أوقات [illegible]

[illegible] القصر وصلت [illegible]

[illegible] (بسمة) مع مجموعة أخرى من [illegible]

(بسمة) تأخذ الشمعة من يدها [illegible]

(هياء) لـ (بسمة) وهي تتقدم لوسط القصر ومن خلفها بقية

نعاملين: أعدوا لي طعام العشاء وأرسلوه لغرفتي وأنت تعالي معي.

(بسمة) مشيرة لبقية بالتفرق لإعداد العشاء: أمرك يا سيدة (هياء).

صعدت (هياء) للطابق العلوي ودخلت غرفتها لتسبقها (بسمة) بخطوات متسارعة وتفتح لها باب دورة المياه. دخلت حمامها الواسع الذي توسطه حوض حجري كبير تصاعدت منه الأبخرة ووقفت فوقه ورفعت كيسًا قماشيًا حوى أوراق زهرة البنفسج المجففة وأفرغت محتواه فيه ثم نزعت رداءها ورفعت ساقها ووضعت قدمها على سطح الماء الساخن وانسلَّت داخله. جلست (هياء) وسط الحوض محتضنة ركبتيها بينما قامت (بسمة) بتحميمها وسكب الماء فوق رأسها ودعك أكتافها وذراعيها بإسفنجة ناعمة، جلست بعدها عند طرف الحوض وبدأت بصب بعض الزيت على قمة رأسها وفركه بأصابعها حملت بعدها مشطًا خشبيًا وأخذت تمشط شعرها الفضي ابتداءً من غرتها مرورًا بقمة رأسها إلى أسفل ظهرها وكرّرت العملية عدة مرات دون توقف.

(هياء) بأعين مغمضة ونبرة مرتاحة: كنت أحتاج هذا.. أصاب بالصداع كثيرًا هذه الأيام خاصة عند انتهائي من القراءة.

(بسمة) وهي تمرر المشط على رأسها: لم لا تبحثين لك عن هواية أخرى يا سيدتي؟ لقد رأيتك تعزفين بعض الآلات الموسيقية من قبل.. لم لا تعودين لممارسة ذلك.. كنت مبدعة بنسج الألحان.

(هياء): القراءة شغفٌ يأخذك لشغف والتخلي عنها ليس بالأمر الهين.. ثم إن القراءة بالنسبة لي ليست مجرد هواية بل حياة..

(بسمة): تعلقك بها يذكرني بتعلق الأم بأطفالها أو عاشق بمعشوقه.. كمن لا يريد البقاء وحده فيفني نفسه لغيره.

(هياء): الوحدة رفيقتي والخيال واقعي.. بعض الكتب تستحق أن تحب وتعشق أكثر من بعض البشر..

(بسمة): الواقع لا يمكن الهروب منه.. في النهاية سنعود لأرضه مهما كان خيالنا واسعًا.

(هياء): لا يوجد شيء اسمه خيال واسع لأن الخيال لا حدود..

(بسمة): لكنه يستهلكك بشكل كبير .. لم يعد لك وقت للقيام بأي شيء آخر.

(هياء): أعرف أني غارقة في ضياع موحش وأعيش في تيه وشتات بين تلك الصفحات.. لكن.. ما أجمله من ضياع.

[illegible]

(هياء) بتصنع ابتسامة: لقد قيلت لي هذه العبارة من قبل.

(بسمة): حقًا؟ ممن؟

(هياء): من الذي أدخلني هذا العالم..

(بسمة): كيف كان كتابكِ اليوم؟

(هياء) وهي تقف: كغيره..

(بسمة) تنهض من مكانها وتسحب منشفة قطنية بيضاء وتغطي بها جسد (هياء): هل كان عن الحب مثل معظم الكتب هذه الأيام؟

(هياء) ترفع قدمها وتخرج من الحوض: أغلب من يكتبون في الحب لم يجربوه قط.. العواطف بوصلة معطوبة لا تقود لساحل أو مرفأ.

(بسمة) مغطّية رأس سيدتها بمنشفة أخرى: عن ماذا كان إذًا؟

(هياء) تقف أمام المرآة الملبدة ببخار الماء: كغيره مؤخرًا..

(بسمة) تقف وراءها قائلة: ماذا تقصدين؟

(هياء) مراقبة انعكاس صورتها المعكرة بضباب الماء الساخن عن

سطح المرآة: أظن أني بدأت أفقد شغف القراءة.. أعتقد أن شبح الاعتياد قد أصابها أيضًا.. التعود مهلكة الشغف والعادة عدوة الإبداع..

(بسمة): لكنكِ قلتِ بأن القراءة بالنسبة لك حياة.

(هياء) تبدأ بالسير نحو باب الخروج لغرفتها: حتى الحياة يمكن أن تفقد بريقها وشغفنا للعيش فيها.. الجميع عاجلًا أم آجلًا يصلون لمحطتهم الأخيرة مهما طالت رحلتهم..

(بسمة) سائرة خلفها: ذكرني ذلك يا سيدتي بحديث أمي عندما كنت تحاول إقناعي بالزواج.. قالت لي إن أعمارنا تتوقف من وقت لآخر ويجب علينا أن نبحث عمن يجدد الحياة فينا.. هذا رأي أمي على الأقل.

(هياء) فاتحة دولاب ملابسها: وأين نجد هذا المجدد؟

(بسمة) تمد يدها وسط الدولاب مخرجة منامة قطنية: هل تريدين رأيي أم رأي أمي؟

(هياء) مشيرة بيدها بأنها لا تريد تلك المنامة: لنسمع رأي الأكبر سنًا؟

[illegible] فسيكون بإنجاب الأطفال..

(هياء) رمت منشفة البيضاء المغطية لجسدها لابسة المنامة الحريرية: ألا تتفقين معي؟

(بسمة) منتفضة المنشفة من على الأرض: بالطبع لا. أنا لدي رأي مختلف تمامًا.

سارت (هياء) نحو مرآة كبيرة استقرت فوق مجموعة من الأدراج الصغيرة وجلست على كرسي قصير بلا ظهر أمامها وقالت: لنسمع لرأي الأكبر عقلًا إذًا.

وقفت (بسمة) خلفها وأزالت المنشفة من على رأسها بعد ما سحبت مشطًا برأس عريض وأسنان متعددة من أحد الأدراج أسفل المرآة وبدأت تصفف شعر (هياء) الفضي، وبوجه متفكر ونبرة خالطها نبرة من الحيرة والتردد: أعتقد أن حياتنا تتجدد بأشخاص فعلًا لكن ليس كما وصفت أمي..

(هياء) ترفع قنينة عطر نصف مملوءة مراقبة انعكاسها في المرآة.

كيف إذًا؟

(بسمة) متأملة خصلات شعر (هياء) خلال تمرير أسنان المشط عبرها:

هناك أشخاص ننتظرهم وهناك من ينتظروننا.. بعضهم نراهم ونشاهدهم كل يوم ونعلم يقينًا أو نشعر ونحس بقوة ان سعادتنا معهم ومع ذلك لا نقدم ولا نتقدم بخطوة واحدة تجاههم.. لأننا نفضل الانتظار.. ننتظر أن يقدموا هم على تلك الخطوة قبلنا.. وغالبًا يفعلون.. لكن ليس باتجاهنا.. بل باتجاه شخصٍ آخر لم يكن في الأصل ينتظرهم..

(هياء) موجهة نظرها لانعكاس (بسمة) في المرآة: لقد حضرت السعادة في قالب ضيق..

(بسمة) وهي مستمرة في تمشيط شعر (هياء) والتمعن فيه باسمة: تظنين أني أتحدث عن الحب؟

(هياء) لابسة خاتمًا بفص أسود: عن ماذا تتحدثين إذًا؟

(بسمة) واضعة المشط أمام المرآة: عن شيء أكبر من ذلك بكثير.. عن مجموعة من المشاعر والأحاسيس لا تتحقق أبدًا للواقفين على قارعة الطريق متفرجين.. للذين يخشون الخسارة وهم لم يجنوا شيئًا من الأساس.. يرون في الإقدام مخاطرة لا تستحق العناء.. يشلهم وهم الكبرياء ويتيهون في سرابه ويفضلون لهيب العزلة والوحدة على نار وحرقة السعي والمحاولة..

(هياء): كلامك هذا ذكرني بالكتاب الذي قرأته اليوم.. إجابات متخفية كأسئلة.. متاهة ذات طريق واحد وعدة مخارج..

(بسمة) ممرّرة أصابعها في شعر (هياء) المسدل على ظهرها: وهل وجدتِ ضالتك به؟

(هياء) زافرة: مشكلتي هي أني لا أعرف ما هي ضالتي.. أشعر فقط بالفراغ وأجهل بماذا يجب عليّ أن أملأه به ومصيبتي الجديدة هي أن تلك الكتب التي منحتني سعادة لحظية باتت تفاقم إحساسي بذلك الخواء وتوسع دائرته وتزيد من عمقه.. حفرة سوداء عميقة وقعت فيها وكلما حاولت الخروج منها زلّت قدمي أكثر ولا أستطيع الخروج..

(بسمة) واضعة كفيها على ظهر (هيفاء): ربما يجدر بك التوقف قليلًا عن القراءة.. فترة وجيزة كي تستعيدي شغفك بها.. هناك أمور أخرى يمكنها منحك الإحساس ذاته

(هيفاء): مخذولة من واقعي ولا أجد مهربًا ألجأ إليه سوى خيالي..

(بسمة): مهما هربنا منه لا بد أن نواجهه في النهاية.

(هيفاء): منذ متى وأنتِ تعملين عندي؟

(بسمة) مستذكرة: ثلاث سنوات تقريبًا..

(هيفاء) ألم تتساءلي [illegible]

(بسمة) تشير [illegible]

[illegible]

[illegible] بالقصر لأسباب عديدة

(هيفاء) [illegible]

(بسمة) [illegible] الوسادة وتضرب [illegible]

(هيفاء) وهي [illegible] الوسادة [illegible]

(بسمة) مغطية [illegible] بالتحف: لم أفهم؟

(هياء) مغمضة عينيها: أغلقي الأنوار قبل خروجك.

(بسمة): والعشاء؟ سوف يصل بعد قليل!

(هياء) بعينين مغمضتين: ليس اليوم.. ليس اليوم..

قرطسة الغطرسة

[illegible] في منتصف العشرين من العمر يلبس بدلة سوداء وقفازات [illegible] يسير وسط قصر كبير عبر ممر طويل فُرش بسجادة حمراء [illegible] على جوانبها نقوش مذهبة يمسك بقبضته جوانب صينية [illegible] ستقر فوقها قدح فخاري مليء بالقهوة السوداء تصاعدت [illegible] الأبخرة واستقرت بجانبه قطعتان صغيرتان من كعك الفستق. [illegible] نهاية الممر ويقف أمام باب خشبي كبير صدر من ورائه [illegible] عزف آلة وترية. يأخذ الشاب نفسًا عميقًا ويزفره وكأنه يستعد لمواجهة ثم يقوم ببسط كفه الأيسر ليوازن الصينية فوقه وبقبضته اليمنى يطرق الباب طرقتين خفيفتين بالكاد تسمعان. يتوقف العزف وبعد هدوء استمر لثوانٍ يسمع الشاب المتوتر صوتًا يأذن له بالدخول.

أدار المقبض بيده الراجفة ودفع درفة الباب داخلا لغرفة واسعة بسقف عالٍ تغطى أحد جدرانها بالرفوف المملوءة بالكتب وجدار آخر كان من الزجاج أطلّ على حديقة كبيرة زرعت بسجادة ملونة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الخصلات التي تجلب معظم شعرها الأسود [illegible]

[illegible] على كتفيها. أمسكت السيدة بين أحضانها عودًا صنع من

[illegible] وخشب الأبنوس وقالت بوجه متجهم للشاب المتوتر عند

المدخل: «لمَ قاطعتني؟»

ارتجف الشاب وكاد يوقع ما بيده لولا أنه استعان بيمينه وأمسك

بالصينية من مقابضها مرة أخرى وقال بصوتٍ مشبع بالرهبة: «إنها

التاسعة يا سيدة (هيء) وحان موعد قهوتك..»

وضعت (هيء) ريشة العود عند أنفه ثم أمسكت بقبضتها زنده

ووضعته جانبًا قائلة: «ضع الصينية أمامي..»

تقدم الشاب المرتبك بخطوات متسارعة نحو الطاولة المستطيلة

وأنزل الصينية الفضية على سطحها بطريقة أحدثت صوتًا خفيفًا.

رمقته (هيء) بنظرة حادة فرفع الشاب كفّه إلى صدره وأنزل رأسه

قائلًا: أعتذر!

رفعت (هياء) قدح القهوة وأخذت رشفة منه واضعة ساقًا على ساق تتأمل نور الشمس النافذ من الجدار الزجاجي وقالت: هل من جديد اليوم؟

(الشاب): لا.. نعم..

(هياء) دون أن تحيد بنظرها زافرة بتململ: يبدو أنه سيكون يومًا تعيسًا كالعادة.

(الشاب) مستجمعًا أفكاره وبكلمات متقطعة: عمدة الحي أتى أول الصباح يريد مقابلتكِ وأخبرته بأني سأحدد له موعدًا بعد ما أستأذنكِ..

(هياء) آخذة رشفة أخرى من قهوتها: يريد أن أتبرع ببعض المال كالعادة لترميم حيه المتهالك!

(الشاب): وكذلك تقديم الإعانة لفقراء الحي.

(هياء): وما شأني بهم؟ ألا يكفي أني قمت بتوظيف بعضهم في القصر بالرغم من عدم كفاءتهم وأنت خير دليل على ذلك؟

(الشاب): نحن ممتنون يا سيدتي لكرمك.

(هياء): أخبره بأني لا أريد مقابلته.

(الشاب): حاضر!

(هياء): من غيره أتى للتسول؟

(الشاب) بتحرج: مديرة المدرسة في حيِّنا أرسلت.

(هياء) مقاطعة: ماذا تريد تلك الحمقاء؟ ألم تأخذ حبايتها السنوية مني قبل أسبوع؟

(الشاب) بارتباك: لا أعرف يا سيدتي.. أرسلت رسالة مغلقة استلمها الحراس اليوم عند البوابة.

(هياء) واضعة قدح القهوة على الصينية رافعة قطعة الكعك بين سبابتها وإبهامها: وأين هي تلك الرسالة؟

مد الشاب كفه في جيبه مخرجًا ظرفًا أبيض مختومًا ببعض نقاط الشمع الأحمر ووضعه على الطاولة الخشبية أمامها

قضمت (هياء) جزءًا من كعكة الفستق وبدأت تلوكها وهي تنظر للرسالة..

(الشاب): هل أفتحها وأقرؤها عليكِ يا سيدتي؟

(هياء) [illegible] تريد المزيد من [illegible] في [illegible] الرسالة في

القمامة.

(الشاب) حاملًا الرسالة: حاضر.

(هياء) ممسكة بكوب القهوة مرة أخرى: هل هناك شيء آخر؟

(الشاب): نعم.. السيد (نديم) يريد مقابلتك أيضًا.

(هياء) تبتسم وتنهض سائرة نحو الجدار الزجاجي حاملة قهوتها معها: (نديم).. الشخص الوحيد الذي أثق به من بينكم.. أين هو الآن؟

هرع الشاب جريًا ليسبقها نحو الباب في الجدار الزجاجي وهو يقول: في البهو ينتظر الإذن للدخول..

خرجت (هياء) من الباب الذي فتحه الشاب أمامها وجلست على كرسيٍّ مصنوع من أغصان الخيزران مواجهة لحديقة القصر الكبيرة وقالت: لا تتركه ينتظر أكثر.. اسمح له بالدخول.

(الشاب) حانيًا رأسه قبل أن ينصرف: أمرك!

جلست (هياء) متأملة جمال الطبيعة أمامها [illegible] العصافير المنتشرة حولها وأكملت احتساء [illegible]

بعد فترة قصيرة سمعت نقرات خفيفة على سطح الباب الزجاجي خلفها تبعه دخول الشاب ومن خلفه رجل في منتصف الثلاثين يحمل معه مدونة كبيرة ولما رأته (هياء) تبسمت وبقيت تراقبه حتى جلس أمامها ثم قالت للشاب: أحضر للسيد (نديم) قهوته.

(نديم): لقد تناولتها في بهو القصر يا سيدة (هياء)، شكرًا!

(هياء) واضعة ساقًا على ساق: اتركنا وحدنا.

خرج الشاب وأغلق الباب الزجاجي خلفه..

(هياء) واضعة كوب القهوة في حجرها: لم أرَك منذ مدة طويلة!

(نديم): المعذرة يا سيدة (هياء) الإشراف على أعمالك يستهلك وقتي كله وبالكاد أجد وقتًا مرة في الأسبوع لأقدم تقريري لكِ.

(هياء): دعك من العمل الآن.. كيف حال أسرتك؟

(نديم): بخير.. زوجتي ستضع مولودنا الثالث قريبًا.

(هياء): جميل.. تهنئتي لك ولها.

(نديم): شكرًا.. سوف آخذها لوالدتها خارج المدينة بعد يومين لأنها تريد أن تلد عندها.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(نديم) سيبقى معها الطفلان وهذا كاف لا نحتاج أن نزاحم أهلها أكثر في منزلهم.

(هيفاء): كم أعمار ابنيك الآن؟

(نديم): ابني الصغير سبع سنوات، وأخته الكبرى عشر سنوات

(هيفاء) مرتشفة من قهوتها موجهة نظرها للحديقة: السنوات تجري بسرعة.. أذكر اليوم الذي أخبرتني فيه بقرار زواجك وكأنه بالأمس.

(نديم): وكنت كريمة معي ومنحتني هدية مالية كبيرة.

(هيفاء): أنت تستحق أكثر مقابل ما تقدمه لي.

(نديم): لا أقوم سوى بعملي.

(هيفاء): أنت تمنحني الاطمئنان والإحساس بالأمان على ممتلكاتي وهذا أمر لا يقدر بمال.

وسعادتي على اجتهادي وتعبي.

(هياء) حسنًا سوف أعيد صياغة سؤالي.. ما هي مصادر سعادتك وراحة في حياتك؟

(نديم) دون تردد: أسرتي.. زوجتي وطفلاي..

(هياء) مبتسمة: متى علمت بحبك لها؟

(نديم) عاقدًا أصابعه: حين أصبحت أول شيء يخطر ببالي عندما أستيقظ وآخر ما يداعب خيالي عندما أغفو.. وقتها علمت أن حياتي لن تكتمل إلا بقربها وبقائها معي للأبد.

(هياء): سأطلعك على سر لم أصارح به أحدًا من قبل.

(نديم) باهتمام: سر ماذا يا سيدة (هياء)؟

(هياء): أن لا أحد يبقى معي وقتًا طويلًا..

(نديم): ماذا تقصدين؟

(هياء) موجهة نظرها لمجموعة من زهور النفسج في بستان القصر: لا أعرف.. مؤخرًا بدأت أفكر كثيرًا بهذا الموضوع وكلما تعمقت فيه شعرت بالضياع أكثر..

هل قبلتها من قبل؟

(هياء): ماذا؟

(نديم): تلك المكتبة في المنزل الصغير المحور للقصر .

(هياء): ما بها؟

(نديم): أنت تقضين فيها جزءًا كبيرًا من يومك.. ربما لها علاقة بالموضوع!

(هياء): تقصد أني بدأت أفقد عقلي؟

(نديم): أقصد أنك بدأت تخلطين بين واقعك وخيالك..

(هياء): تريد حقًّا معرفة ما أشعر به؟ أحس بأني أطلت البقاء في مكانٍ كان يجب أن أرحل عنه منذ زمن طويل.. هل تفهم ما أعني؟

(نديم): أفهمك تمامًا.. أحيانًا نكون معلقين بخيط رفيع بشيء نريد مفارقته لكن وبالرغم من ضعفه يبقى مقيدًا لنا ومقوضًا لحركتنا ولا نستطيع التحرر منه.

(هياء): أتحرر من ماذا وإلى أين؟ أنا لا أرى طريقًا أمامي!

(نديم): ربما يكون خلفك..

نظرت (هياء) له بوجه متعجب ولم تعلق على كلامه وهو بدوره لم

[illegible] أعد لكِ العشاء اليوم يا

[illegible] فقتها إحدى

سيدة (هياء)؟

هياء) هل أنت جديدة هنا؟

(خادمة): لا يا سيدتي!

(هياء): لم تسألين إذًا؟ أين (بسمة)؟ هي تعرف مواعيدي!

(الخادمة) باستغراب: (بسمة) من؟

(هياء) مستذكرة: انسي الأمر.. لن أعود قبل منتصف الليل.

(الخادمة): حاضر سنكون بانتظارك.

خرجت (هياء) من القصر وسارت حتى وصلت للبوابة ليفتح لها الحراس بمجرد رؤيتها وهي مقبلة عليهم وعند مرورها بجانبهم قالت لأحدهم: أنت.. اقترب مني.

اقترب الحارس منها وحنى رأسه قائلًا: أمرك يا سيدة (هياء).

(هياء): منذ متى وأنت تعمل عندي؟

(الحارس) مستغربًا من سؤالها: منذ عشر سنوات تقريبًا!

(هياء): معنى ذلك أنك تذكر (حليمة).

(الحارس): لا.. (حليمة) من؟

(هياء) بحنق من التعجب والسخط: كيف تقول بأنك تعمل عندي لعشر سنوات وأنت لا تذكر شخصًا كان يرافقني في كل مكان؟!

(الحارس) بتحرج ورهبة: أعتذر يا سيدتي ربما نسيت!

(هياء): نسيت؟! هل أنت أحمق!

فقرب رئيس الحراس منها عندما رأى ثورة غضبها وقال: ما المشكلة يا سيدتي هل اقترف خطأ ما؟

(هياء) صارخة فيه: أي نوع من الحراس تقوم بتعيينهم هنا؟!

(رئيس الحراس): أخبريني فقط بما فعل وسأعاقبه بنفسي!

(هياء) ملوحة بيدها في وجهه مستأنفة سيرها عبر الشارع نحو منزل (أمين): كلكم حمقى ولا فائدة منكم!

وقفت (هياء) عند باب منزل (أمين) وأخرجت المفتاح من جيبها وهي تحدث نفسها متذمرة: يظنون أني فقدت عقلي ويريدون التسلي بي!

دخلت المنزل المظلم وتوجهت للركن الذي كان (أمين) يعد فيه

[illegible] وأخرجت علبة ثقاب [illegible]
[illegible] ووضعت البقية في [illegible] حملت الشمعة [illegible]
طريقها لمدخل السرداب وفتحت الباب وبزلت السلالم بخطوات
حذرة حتى وصلت للمكتبة وسارت نحو الأريكة الجلدية وثبتت
الشمعة فوق المنضدة المقابلة لها. أخرجت شمعة أخرى من جيبها
وأشعلتها بلهب الشمعة المشتعلة ثم استدارت وبدأت تتجول بين
الرفوف حتى وقعت عيناها على كتاب لفت انتباهها بسبب كعبه
فقد كان عليه نقوش ذهبية لمعت مع حركة لهب الشمعة فقامت
بسحبه بيدها اليمنى وإدارته لتقرأ عنوانه.. «.. الأرجوحة..».
عادت (هياء) للأريكة الجلدية وجلست عليها بعد ما ثبتت الشمعة
بجانب الأخرى وفتحت الكتاب ليخرج وهج وميض قوي غطّاها
بالكامل..

ضـــوء وضـــوضـــاء

تشع الضوء وتبدد لتجد (هياء) نفسها في كوخ صغير بغرفة واحدة
خالية من أي أثاث عدا كرسيًا أسود صغيرًا في أقصى المكان المقابل
لباب الذي جاورته نافذة تُطل على مرجٍ واسع جميل وشجرة كبيرة
ي الأفق رأتها عندما تقدمت وأطلت من تلك النافذة. فتحت
باب و: طَت للخارج فاستقبلتها ترانيم مجموعة من الأجراس
صغيرة المعلقة على أرفة المنزل والتي تراقصت تزامنًا مع ريح
ردة ومنعشة هبت في المكان باتجاه تلك الشجرة وكأنها تريد حملها
حوها.

ضعت (هياء) كفيها على صدرها متحسسة كنزة زهرية صوفية
نت تلبسها وخلال تمعنها بتلك الكنزة أحست بقبعة لم تشعر
ا فوق رأسها تطير من عليها عندما اشتد هبوب الرياح. راقبت
ياء) تحليق تلك القبعة القشية الصفراء بعيدًا عنها وبينما كانت
رحة في تراقصها وسط السماء الزرقاء الصافية سمعت دبيبًا قويًا
عن يمينها وبعد لحظات خرجت مجموعة من الخيول البيضاء

[illegible] مدت يدها وأمسكت [illegible]

[illegible] الشجرة وجلست فوقه [illegible]

[illegible] (هيء) بسعادة غامرة تغزو [illegible] وهي [illegible]

[illegible] والريح تداعب وجهها وشعرها وقدميها الحافيتين بعد

[illegible] خلال التأرجح وقالت بصوت مرتفع وابتسامة

عريضة وهي تشد الحبال بقبضتيها:

«أستطيع أن أبقى هنا للأبد...!»

[illegible] أنهت تلك العبارة حتى أحست بشيء يسقط من الأعلى

ويضرب رأسها ليختل توازنها وتقع على قفاها أرضًا. بحثت بنظرها

عن الشيء الذي وقع عليها وتسبب في سقوطها فرأت تفاحة حمراء

على سطح العشب الأخضر. نهضت من مكانها والتقطت الثمرة

وقلبتها في يدها ثم رفعت نظرها للأعلى فلم تر أية ثمار أخرى معلقة

على الشجرة وعندما أعادت نظرها للتفاحة فزعت لأنها شاهدت

[illegible] الزهري ذا القرن الأصفر الذي عبر من أمامها سابقًا مع

[illegible] عند المنزل يقف أمامها وقريبًا جدًّا منها. مدت (هيء)

[illegible] من فمه وقالت: «هل تريدها؟»

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عن العاصفة..

[illegible] اء تزداد سوءًا والسماء

[illegible] ض التي أصبحت طينية

[illegible] حدث مرات قبل [illegible]

(هياء) وإحساس بالخوف يعتريها فجأة: بأني لا أريد البقاء هنا أكثر وأريد الرحيل عن هنا بسرعة..

(الرجل) مشيرًا بنظارته: ارحلي إذًا.. لم لا تزالين واقفة؟

استدارت (هياء) بعينين متوجستين لم ترفعهما عن الرجل وأمسكت بكلتا يديها مقبض الباب وحاولت أن تديره لكنها لم تستطع فهزته عدة مرات بقوة لكن دون جدوى فقال الرجل: لمَ تريدين الخروج من الباب؟

(هياء) وهي لا تزال قابضة على المقبض: ومن أين سوف أخرج؟!.. هل ترى بابًا آخر؟!

(الرجل) فاتحًا الكتاب مرة أخرى بعد ما وضع نظارته: طريق الخروج ليس «بابًا» دائمًا..

وجهت (هياء) نظرها للنافذة بجانبها وقالت: وأنت؟ ألن تخرج أيضًا؟

(الرجل) وعيناه على صفحات الكتاب وتتحولان للّون الأحمر: ما زلت أسيرًا لهذا الكتاب الشيق ولا أستطيع تركه..

خرجت (هياء) بسرعة وفتحت النافذة ليخرج وميض قوي غطّى مكان بأكمله..

عادت (هياء) لمكتبة (أمين) في سرداب منزله وهي تجلس فوق ريكته الجلدية والكتاب بيدها وقالت: «كانت قراءة سريعة ومخيفة..»

هضت من مكانها وحملت إحدى الشمعدات لتعيد الكتاب لمكانه وبعد ما دفعته في الرف وجهت الشمعة للرفوف المقابلة قائلة: أحتاج كتابًا آخر ينسيني ذلك الكتاب الغريب..».

خلال تمرير ضوء لهب الشمعة لمجموعة الرفوف تكرر الأمر ذاته بعد مرة أخرى وهو لمعان كعب كتاب في الجهة المقابلة من المكتبة وقبل أن تسير نحوه وجّهت لهب الشمعة للكتاب الذي أعادته للتو ترى أن كعبه لم يلمع كالسابق فقالت: «غريبة.. ما معنى هذا؟»

تحولت (هياء) الكتاب الذي لمع وسحبت كتابًا قريبًا منها وألقت نظرة على عنوانه.. «العورة التي سترتنا..» تبسمت وقالت: «لمَ أشتاق لكِ يا رؤوم..؟»

[illegible]

[illegible] العنوان «.. وليمة الحروف..»

[illegible]

[illegible]

[illegible] وكأنها [illegible] من [illegible] اجتمع على شجيرة خضراء

[illegible] لم تكن (هيا) متشكلة كواحدة منهن غير أنها ملكت جناحين

[illegible] أجنحتهن وحجمها قد تقلص ليصبح محاكيًا لأحجامهن

[illegible] أثار استغرابها كثيرًا، ففي العادة تتخذ شكل الكائنات التي

[illegible] معها وتتقمص حياتها بالكامل شكلًا وعملًا. بقيت

(هيا) تراقب مجموعات العثاث وهي منهمكة بأكل أوراق ذلك

الكتاب ولم تحاول التدخل أو التحدث مع أي منها حتى توقفت

[illegible] ورفعت رأسها الصغير ونظرت إليها بأعينها السوداء

الواسعة وقالت: «لم لا تأكلين؟»

(هيا) بشيء من الارتباك والتوتر: لا، شكرًا لقد أكلت!

(العثة): أكلتِ ماذا؟

(هيا): أكلت.. أكلت بعض الملابس!

(العثة): أنت مخطوطة.. الملابس ألذ بكثير من الورق.. هل كانت

مصنوعة من القطن؟

[illegible]

(هبة): لا لا كنت من الحرير.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أكلتها كلها..»

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مستمرة بالأكل إذاً؟

عثة) وهي تعاود قضم الورقة. لا أستطيع التوقف فطعمها لذيذ جداً لكني أشعر بأن بطني ستنفجر!

هياء) تنهرها بقوة: توقفي عن الأكل! ستهلكين!

شق بطن العثة وخرج منها ما يشبه المخاط الأبيض تسقط على ظهرها بلا حراك. توقفت بقية العثاث عن الأكل في وقت واحد تأملن صاحبتهن الهالكة لكن ما لبثت أن عادت رؤوسهن الصغيرة وسجدت عند أطراف الورقة واستأنفن تفتيتها والتهامها

(هياء): ما هذا الجنون؟

صوت يحدثها من الظلمة: هل تريدين حقًّا مساعدتهن؟

هياء) رافعة رأسها في العتمة: من أنت؟

جاوبها الصوت : في أعلى المكان يوجد مصباح.. أشعليه وسرى يتوقفن عن الأكل.

(هياء): أخبرني أولًا من أنت؟! صوتك مألوف!

يجب الصوت عليها وعم الهدوء المكان عدا صوت العثاث وهي تفرمش أطراف الورقة وصوت واحدة أخرى تسقط على ظهرها بطن مشقوق..

توقفت عن الأكل في الحال

يعنت وتشرب جثتها بأرجلها المنكورة على الأرض و(هياء)
ترفرف فوقهن تراقب ذلك المنظر بفزع ليعاود الصوت الحديث
معها

«حياناً يجب أن نحترق كي نستيقظ..»

يوهج المصباح وأشع نوراً أبيض قوياً غطى المكان بالكامل.

المنبع الوهج الأبيض لتجد (هياء) نفسها على الأريكة والكتاب بين
يديها وبعد عدة أنفاس قالت: «ما بها الكتب اليوم غريبة المحتوى؟»

نهضت (هياء) وحملت إحدى الشمعات معها وأعادت الكتاب
مكانه وبعد ما دفعته في الرف وجهت لهب الشمعة لكعبه ولاحظت
أنه لم يلمع فقالت: «فقد لمعانه هو الآخر..»

سارت مبتعدة عن ذلك الرف وتجولت بين الرفوف محركة لهب
الشمعة بين الكتب المصفوفة حتى وقعت عيناها على كتاب يلمع
في مكان مرتفع وقالت محدثة نفسها بتعجب: «ما الذي يحدث؟ ما
معنى هذا كله؟»

تسارعت (هياء) قرار قراءة ذلك الكتاب لأنها لم تحب أن تكون

[illegible]

[illegible] حتى وصلت [illegible]

[illegible] الأخرى [illegible]

«.. السقوط من [illegible] متعبة»

(هيفاء) تفتح [illegible] الشمعة [illegible] مشوقا.

حين وهي [illegible]

تبدد الوهج الأصفر وتلاشى [illegible] (هيفاء) [illegible]

وأنها قد جلست على شفة وقدماها مغموستان في ماء بارد.

الوقت كان ليلا لكن المكان أنير بقمر ضخم مكتمل توهج

الشيء بالإضاءة المتسربة من الفراغات الضيقة التي خلقت بين

أغصان أزهار [illegible] الأصفر الضخمة المنتشرة على ضفاف ذلك

النهر. الأجواء كانت هادئة وجميلة [illegible] فيها عدا معزوفة عرفتها

الطبيعة من حولها نسجتها أنغام [illegible] الليل المصرصرة ونقيق

الضفادع الصغيرة وصوت عجيج ماء النهر الجاري. وضعت

(هيفاء) ساعديها فوق ركبتيها المثنيتين وأسندت ذقنها فوقهما وهي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مساعدتك؟

[illegible]) وهي عاقدة ذراعيها [illegible]

[illegible] نحو (هياء): لا دخل لك!

[illegible] (هياء) [illegible]

[illegible]

[illegible]

(الفتاة) لا تهمني! أريد أن أصطادها لتصبح ملكي وحدي!

رفعت (هيا) الشبكة من على الأرض وشدّت عضلاتها وقالت

حسناً سوف أصطاد لك بعضها لكن عديني بأنك ستحرر بها قبل

أن تموت.

بحركة سريعة حملت الفتاة البرطمان وخطفت الشبكة من يدها

وجرت مبتعدة عن المكان و(هيا) تراقبها باسمة بخليط من

العجب والاستغراب..

خلال وقوف (هيا) تحت رأس صنارة منتصباً عند ضفاف النهر

من بعيد فقررت السير نحوه وابتسامتها لا تزال على محياها وعند

وصولها شاهدت كهلاً جالساً يصطاد بعض السمك وبجانبه سلة

مملوءة بالأسماك الملونة بمختلف الأشكال والأحجام. ولاحظت

أن خطاف الصنارة لم يكن في الماء وعلى وجه ذلك الصياد العجوز

تسمت معالم الحزن الشديد وهو ينظر السلة المملوءة بالأسماك

فقالت له: ما لك يا عم؟ لمَ أنت مستاء؟

صياد العجوز) وقبضته مسندة خده المتعب وعيناه الحزينتان مصمتان على الأسماك المكومة في سلته: كل مرة أرمي بها صنارتي في الماء تعلق سمكة بها..

هياء) تجلس أمامه بوجه مستغرب: وما المحزن في ذلك؟ هذا أمر يجلب السرور وليس الحزن!

صياد العجوز) زافرًا: لا يوجد متعة في ذلك. احصول على كل ما تريد وقتما تريد يسلب الحياة معناها. متعة الصيد هي الانتظار والصبر مرفقًا لرعشة قصة الصنارة بين يديك وليس نعمة!

هياء): وهل معنى الحياة يكمن في المشقة والحرمان؟ أنت منكر على النعمة!

صياد العجوز) رافعًا رأسه من فوق قبضته وموجهًا نظره نحو هياء): كثرة الشيء تنقص، والوفرة كالشح نقمة.. ثم إني سئمت أكل الأسماك لكنني أعشق صيدها.

هياء): أنت كمجموعة العثاث التي قابلتها قبل قليل.. لا يعرفون معنى الاكتفاء.. يمارسون شيئًا سئمن منه ومع هذا لا يستطعن التوقف..

[illegible]

[illegible]

وقال: [illegible] حظكِ أفضل مني..

(هياء) بنبرة ساخرة ومتعجبة: أمرك غريب أيها الكهل.. هاتها!

وقفت (هياء) وشدت بقبضتيها على قصبة الصنارة ورفعتها فوق رأسها ثم وجهتها للأمام بكل قوتها رامية خطافها في الماء.

جلست (هياء) ممسكة الصنارة تراقب سطح الماء.

(الصياد العجوز) بغبطة: ثم أحسدك على ثبات الخيط هكذا فهو لا يتحرك إلا مع أمواج النهر فقط!

(هياء) ضاحكة: هذه أول مرة أرى صياداً يسأم من وفرة الصيد!

(الصياد العجوز) ملتفتاً إليها وبنبرة هادئة وباردة كالثلج: ماذا عنك أنت؟ ألم تسأمي بعد؟

(هياء) ونظرها على طرف الخيط الخارج من الماء: من ماذا؟

(الصياد العجوز) وهو مستمر بالتحديق بها: من الاستمرار والمحاولة.

(هياء) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(الصياد العجوز): أعني ألم تسأمي من [illegible]

(هياء) تجول بنظرها حولها: لا لم أسأم بعد [illegible] [illegible] وهادئ

(الصياد العجوز): لا أتحدث عن [illegible]

بدأت مجموعة من [illegible] المضيئة [illegible] حول (هياء) وحلقت [illegible] منها بشكل كثيف

(هياء) [illegible] نحو الصياد وهي تلوح [illegible] [illegible] [illegible] عن وجهها: أين تقصد إذاً؟

(الصياد العجوز) واضعاً سبابته على جبينها [illegible] [illegible] أقصد هنا..

خرج وهج قوي من طرف سبابة الصياد العجوز غطى [illegible] بالكامل..

فتحت (هياء) عينيها بعد انقشاع الوهج واختل توازنها من فوق السلم لتسقط معه على الأرض بقوة وخلال سقوطها التصقت الشمعة المشتعلة التي كانت ممسكة بها بأحد الأرفف وفي ثوانٍ اشتعل جزء من المكتبة وانتشر الدخان وسط هلع (هياء) التي

حاولت إخمادها بسحب السجادة تحت الطاولة الصغيرة بجانب الأريكة الجلدية لتسقط الشمعة الأخرى عن الأرض دون أن تنتبه (هياء) لذلك لأنها انشغلت بضرب ألسنة اللهب المشتعلة أمامها ومع مرور الوقت شبت النار خلفها وتصاعدت وحاصرها الدخان الكثيف وأدخلها في نوبة من السعال قادتها للسقوط على ركبتيها والبدء في فقدان الوعي قبل أن ينتشلها أحد الحراس الذين رأوا الدخان من الخارج وهرعوا لنجدتها

وقف الجميع أمام منزل السيد (أمين) وراقبوه وهو يتجول بكتلة كبيرة من اللهب الأحمر و(هياء) تبكي بحرقة وهي تشاهد أجزاءه تتهاوى واحدًا تلو الآخر بينما تجمهر مجموعة من أهالي الحي بين متفرج ومحاول لإخماد النيران برمي بعض الأتربة والرمال بأيديهم العارية أو سكب دلاء من المياه عليها.

بسطت (هياء) كفيها الملوثتين بالسواد أمام ناظريها لأنها أحست برجفة قوية تنتابهما وفجأة بدأت أناملها بالتحلل من قمتها إلى ما يشبه الغبار الماسي الذي تطاير مع الهواء وبقيت تراقب ما يحدث في ذهول تراقب نفسها تذوب وتضمحل.

مـــــوت نـــوتـــة

أجفان ثقيلة تتباعد..

أنفاس منهكة تتصاعد.

سيدة تستيقظ في غرفة صغيرة بنافذة مفتوحة.

ستائر رقيقة من الحرير الأبيض تتحرك برفق مع هبوب النسائم..

شعاع الشمس الدافئ ملأ المكان وحطت بعض أشعته عند أقدام السيدة..

لتفتت السيدة يمينًا ويسارًا بعد استيقاظها وتفحصت جوانب تلك الغرفة..

قفص معلق عند النافذة يتقافز فيه عصفور أصفر صغير يغرد بحماس..

مرسم منصوب في أحد الأركان..

حامل لوحات استقرت عليه لوحة زيتية نصف مكتملة

[illegible] على سطحها مجموعة من الألوان بمختلف

أنواعها..

[illegible] ريش التلوين بعدة أحجام

معدات التنظيف وإزالة الألوان والبقع

أصص [illegible] الخضراء توزعت في كل مكان إلى جانب

توزيع الزهور في فازات ذوات نقوش زاهية.

أبخرة بيضاء تتصاعد من فواحة عطرية فوق منضدة عند

الباب..

يستند لتلك المنضدة آلة وترية كُمَّثرية الشكل.

[illegible] فوقه كتاب معلق

[illegible] وترى

[illegible] مجموعة من

[illegible] قريب

[illegible] اللوحة

[illegible]

لفتح الباب وأطل رجل برأسه ويقول باسمًا: الجميع بانتظارك.

التفتت المرأة تجاهه وبادلته الابتسام وقالت: سألحق بك يا (عرندس)..

(عرندس) ضاحكًا قبل أن يرحل: لا تتأخري!

أعادت المرأة نظرها للوحة ورفعت يدها ماسحة بأناملها على سطح اللوحة متحسسة نتوءات الألوان الجافة رافعة بعدها أصابعها لتمررها في غرة شعرها الطويل وتنزلها في النهاية على بطنها وظلت تمسح بشكل دائري عليه وهي تحدق بتلك اللوحة لأكثر من دقيقة قبل أن تستدير وتتوجه نحو الباب..

خرجت لغرفة مكتظة بالناس وأصوات أحاديثهم الجانبية ملأت المكان وما أن رأوها حتى هللوا مرحّبين بها ومن ضمن المرحبين كان (عرندس) الذي دنا منها وقال: كل عام وأنتِ لقلبي أقرب..

تبسمت المرأة خلال تلقيها التحايا احتفالًا بيوم ميلادها والتبريكات من الحاضرين الذين نهضوا من أماكنهم وساروا نحوها تباعًا. كان أول المهنئين أمها وأبوها الذي نفخ بعض الدخان من غليونه وقال: متى سأصبح جدًّا؟!

[illegible]

[illegible]

وقالت: كل عام وأنتِ بخير..

[illegible] عن الوقفة خلفها. أختها الكبرى (فردوس) والتي لفت ذراعيها حولها هامسة في أذنها: كل عام وأنتِ أفضل أخت في الدنيا. هديتك ستصل لاحقًا بعد ما يرحل الجميع خاصة عمتي (زكية).

وضعت المرأة ظهر كفها على فمها مُخفية ضحكة باغتتها فقبلتها (فردوس) على وجنتها وسارت مبتعدة ليتقدم بعدها زوجان شابان كل منهما يمسك بيد الآخر باسمين يجري حولهما صبي صغير فقالت الزوجة: أنا و(زاري) عدنا خصيصًا من السفر لحضور عيد ميلادك!

(زاري) نعم صحيح. لم تستطع (مريم) البقاء بعيدًا عن أعزّ [illegible]

([illegible])؟ هل كنت ستخذله [illegible]

كنت دومًا باحثة عن الجمال.. في كل شيء حولي ومعي.. بحثت مطولًا عن جمال لا وجود له ولم أكن سأكتفي بغيره.. لذا فرحلتي للبحث عنه باقية ومستمرة ما حييت..

وعندما أخذ ذلك الجمال [illegible]

[illegible] وتفقد بريقه أمام عيني [illegible]

وجدت أن الإجابة مستحيلة لأن السؤال خاطئ من الأساس

جمال حولنا في كل مكان نحن من نختار رؤيته من عدمها كما

كانت تقول خالتي (حليمة) دائماً

اكتشفت أخطائي وأنا أرسم [illegible] وهي أن

الجمال ليس زهرة نقطفها بل [illegible]

مشكلتنا أننا نتعامل مع الجمال ككذبة وليس كمبالغة جميلة

للحقيقة.. القناعة فضيلة إلا إذا كانت تسوية وتنازلاً عما نستحق

وهي السعادة.. السعادة المطلقة والمحررة من قيود المستحيل

أذكر أني سألت أمي وأنا صغيرة وقلت: «كيف التقيت بأبي؟»،

وهذا السؤال لم يكن من فراغ بل كان نتيجة المحبة التي رأيتها تزدهر

بينهما كل يوم وكنت أريد أن أحظى بتلك السعادة نفسها عندما أقع

في الحب أول مرة لكن إجابتها كانت عكس ما توقعت.. أخبرتني

أنها عندما كانت تمشي يوماً في الحي النوى كاحلها أمامه فتظاهرت

بأنها لا تستطيع الوقوف بعد ما شاهدت اهتمامه وخوفه عليها.

[illegible] فقلت وأنا مصدومة.

[illegible] أكثر علاقات الحب الناجحة تبدأ

بكذبة يا ابنتي.

عارضتها عاصفة وقلت بأنها مخطئة وأخبرتها بأني أحلم بنوعٍ مختلف من الحب فلم تهاودني أو تسايرني بل أجابتني بإجابة شتتتني أكثر وقالت: «كل حلم يتغير عندما يصبح واقعًا.. احلمي يا ابنتي لكن احلمي بواقع جميل وليس بحلم غير واقعي..»

فقدت الأمل وقتها بأن أجد الحب الذي أصبو إليه وبالشكل الذي رسمته في مخيلتي.. حتى وجدت نصفي الآخر وتوءم روحي.. زوجي العزيز (عرندس).. الشخص الوحيد الذي حين أستحضره يغيب عقلي ويطيب خاطري..

وضعت المرأة يدها على بطنها ثم تبسمت وقالت: عندما فقدت مولودي الأول قبل أن أراه ظننت أن الدنيا انتهت ولا مناص أو مهرب من الغرق في بحر دموعي الحزينة على فراقه.. ليس من المفترض أن ندفن أبناءنا.. هم من يجب أن يوارونا الثرى.. لكن هكذا حكمت الأقدار.. قدري أنا بالذات.. أبعدت الجميع عني

لم أكن أريد أن أمنح

مبددًا كل أحزاني.. تساءلت مع نفسي المتعافية شيئًا فشيئًا مع كل سطر أتجاوزه وكل صفحة أطويها: كيف لكتاب أن يخفف عني؟ أنا لا أشعر بملل كي أتسلى أو مفتقدة لعلم كي أتزود به.. أنا أعيش حجبًا ناجمًا عن عاصفة من الذكريات المؤلمة ولن تزول بقراءة ورق محبور..

كم كنت مخطئة..

وجدت ضالتي في الكتب.. منحتني الكثير لكنها أخذت مني أكثر فهي قد تمنحنا حيوات أخرى للغوص في جمالها، لكنها قد تسلبنا في غفلة منا حياتنا التي من المفترض أن نعيش لحظاتها بالكامل بحلوها ومرها ولا نسمح للحزن يومًا أن يستوطن قلوبنا.. نتعلم من أخطائنا ونزهو بإنجازاتنا.. لا تهربوا من حياتكم بل عانقوها.. الكتب ليست بديلًا عن حياتك الحقيقية لكنها بلا شك من نعمها المهجورة..

أحبكم.. أحبكم جميعًا.. وحياتي لن يكون لها معنى بدونكم..»

وقف الجميع بين باكٍ ومبتسم وتناوبوا على معانقتها وتقبيلها بعد ذلك أكمل الحاضرون الحفل وتناولوا الكعكة التي غرس فيها

[illegible] شمعة [illegible] المرأة في [illegible] واحد [illegible]

[illegible] المكان من الضيوف [illegible] (عرندس) [illegible]

[illegible] أوقفها [illegible] سأنسى الأمر

بنفسي..»

- لكني لست متعبة.

(عرندس) باسمًا: أعرف لكن أنا سأهتم بكل شيء لا تقلقي.

تبسمت المرأة وقالت: حسنًا. سأذهب لغرفة المرسم

دخلت للغرفة لكن ما أن توسطتها حتى سمعت الباب يطرق

فقالت: تفضل..

أدير المقبض وتحركت درفة الباب لتطلّ (عرندس) برأسه باسمًا

وهو يقول: هناك ضيف متأخر يريد السلام عليك!

هزت المرأة رأسها متسائلة: من؟ أمك (فاطمة)؟ ظنت أنها مسافرة!

دخل رجل عجوز أصلع لكن شعر رأسه من الخلف كان طويلًا

بعض الشيء وسار لوسط الغرفة وهو يفرك لحيته البيضاء الكثيفة

ولوح بيده باسمًا بعد ما ضبط نظارة ذات عدسات مربعة على أنفه

بسبابته وقال:

«[illegible] الأول من عقدك الثالث؟»

[illegible] المرأة بسعادة كبيرة عند رؤيته وقالت: «يومي اكتمل الآن بحضورك [illegible]»

(عرندس) مخاطبًا الرجل ذا اللحية البيضاء من مدخل الغرفة: سأذهب لإكمال ترتيب المكان. هل تريد مني شيئًا يا عم (أمين)؟

(أمين) رافعًا سبابته ضاحكًا: هل بقي شيء من الكعك؟

(عرندس) مبتسمًا: بالطبع!

(أمين) يربت على كرشه الكبيرة: هل أمك هي من أعدته؟

(عرندس) ضاحكًا: نعم نعم.. لقد أحضرتها قبل سفرها بالأمس!

(امين) يسير تجاه المرأة المنتشية سعادة لرؤيته وكأنه يترافص على أنغام موسيقية: أحضر لي قطعتين إذًا!

(عرندس) وهو ممسك بمقبض الباب: هل تريد بعض القهوة معها؟

(أمين) مقهقهًا: قهوة؟!.. بالطبع لا!.. أنت تعرف أن الشاي هو

مشروبي المفضل! لا تخلط بين مشروبي ومشروب زوجتك الفنانة!

(عرندس) ضاحكًا ساحبًا مقبض الباب وهو يهم بالخروج: حاضر يا عم (أمين).

وقف (أمين) أمام المرآة وأخرج بحركة سريعة من جيب صدره مغلفًا ومده لها باسمًا وقال: «كل عام وأنت بخير يا مبدعة..»

أخذت المرأة المغلف وأسندت طرفه عند ذقنها وقالت باسمة. ممم.. ما عساه أن يكون؟

(أمين) يقهقه ضاحكًا بضحكة اهتزت لها بطنه الكبيرة: لا تتظاهري بأنك لا تعرفين!

وضعت المرأة المغلف على طرف النافذة وقالت: بلى أعرف.. جميع كتبك التي تهديني إياها ساحرة!

(أمين): كتبي خالية من السحر.. السحر في عينيك وروحك فقط فهي من تشكل وترى كل الجمال الذي تخلقينه..

- تقصد الكذبة الجميلة التي أوهم نفسي بها

ث الكعك.

- ماذا؟.. هل تريد شيئ آخر؟

تبسمت المرأة وقالت: حاضر.

ويبقى السؤال..

هل يمكن أن نجد السعادة وحدنا ولوحدنا. ؟

وأيًا كانت الإجابات العاصفة بعقلي فسأختار منها ما لا يرهق حسدًا ولا يطلب جهدًا على اعتبار أننا في الغالب مثاليون في حال ما إذا كان شأن المجتمع هو شأنه ولا شأن لي فيه عدا نقده ونقضه..

إلا أني هذه المرة سأخفض جناح التواضع وسأعلف مشاعري بحمى الأنا وسأعترف تواضعًا بأنني المجتمع والمجتمع أنا وأن كل ما هو شأنه في الأصل هو شأنٌ لي ومن الواجب قبل أن يكون حقًا أن أدافع عنه وأحميه من التآكل بين نفسه ونفسه فيقضي على كلينا ولا ينتفع أحد.

فلو قلنا إنّ القناعة هي البحث عما نحتاج فالسعادة في الغالب هي البحث عما نريد..

وبين قانع ومُريد.. يأتي ثالث ليكون أحد أهم بواعث السعادة

حقيقية والذي يتجسد عادة على هيئة يد سخية أو لسان بذي أو ربما ابتسامة دون مغزى أو فسحة في مجلس دنا لك فيه أحدهم لتكون منه أدنى وأقرب

فالسعادة لا تبدأ أو تنتهي عند أشخاص ولكنها قد تزدهر أو تذبل بسبب أحدهم..

ولو اعترفنا أن السلبية والتشاؤم والتذمر وغيرها من منغصات السعادة ما هي إلا أسلوب الحياة الوحيد لمن لا حياة لهم أو معهم..

فالإيجابية والأمل والعطاء المنهمر هي أسلوب الحياة الوحيد لمن لا حياة دونهم.

العقل والقلب خصمان لدودان. يفرض كل منهما رأيه على الآخر في حين أنهما يسمحان لك أن تمنح لأحدهما السيادة دون اعتراض .. وما أن تقرر من يكون رأيه محل قرار وامتثال حتى ينشط الآخر لمراده ويعمل لمصلحته.. فإن ساد رأي القلب أخذك العقل إلى مراده وحققه وما أن يسود رأي العقل حتى يوده القلب ويلين إليه فيملأَك لنيله شغفًا ودفعًا.

وعلى الرغم من أن رحلة العقل والقلب لتحويل المشاعر إلى أفكار هي رحلة شاقة متلاطمة الوجهات أحدهما سيغرق في نهايتها أو يغطس بنفسه في قاع اليأس لعدم قدرته على المواصلة أو قد يكون ارتأى لنفسه أن يظل متواريًا حتى يحين دوره.. فمن يدري.. لربما احتاجه الطرف الآخر لإسعافه في النهاية..

سيبقى طريق الشعور من القلب إلى العقل الذي يأخذه إلى حيز التطبيق والفعل طريقًا قلما ينجح إلا أن الإبداع الحقيقي لا يظهر إلا بعد إتمام هذه الرحلة والتي يعمل فيها أحد العضوين في مصلحة الآخر كليًا وبلا إرادة تذكر، فإرادته هي ما يريد سيده وعداها لا حزن عليه ولا أسى.

لو أخذنا بقول القائلين المرجحين بسيادة العقل كفرض واجب لا خيار فيه على اعتبار أن العاطفة داء للعقول ومهلكة للقرارات فنقول إن سيادة الموقف هي الأسمى على الإطلاق، وترجيح خير الخيرين لا عيب فيه إلا إذا كان المرء فاقدًا لسلطة نفسه تاركًا تحكمه في يد قلبه وعقله فإن قنع عقله سار إليه وإن قنع قلبه مال له دون وعي منه ولا إرادة، فيفقد مجدافه وتتمزق

أشرعته ما أن يختلقا فيختصما ليرميا الكرة في ملعبك بلا مران منك ولا ممارسة مسبقة لقرار تقنع أنت به أولًا ثم تخضع له عقلك وقلبك، إن الإرادة التي نتحدث عنها ليست قدرة خارقة ولا وصفة سحرية بل هي أسلوب تهذيب إنساني يجلب إليك ما تريده لمجرد أنك تريده ويبعد عنك ما لا تريد لمجرد أنك لا تريده فارضًا بذلك رأيك وقوتك على قلبك وعقلك.

إن كنت من المحظوظين وتعرف أين تكمن سعادتك وتراها أمامك..

فأقدم نحوها ولا تنتظر أو تنظر وراءك..

واقطفها..

فنصل الزمن يُشحذ.. وقطار العمر بسعيه يشتد..

واحم تلك الثمرة من السوس الذي سينخرها ويفسدها..

عفن مصدره بعض البشر المحيطين بك..

من سيقعدونك إذا هممت أن تقوم..

وسيهدمونك وأنتَ تضع اللبنات الأولى ..

سيحبطونك وأنتَ متفائل وسيلومونك إذا تعثرت ..

وهم أنفسهم من سيصفقون لك إذا نجحت ..

وسيقسمون أنهم كانوا واثقين من أنك ستصل ..

سيضحكون من خلفك ويبتسمون أمامك.. وليس لك ..

هؤلاء الناس بالذات ..

تخلص منهم اليوم قبل الغد ..

لتترك مجالًا لسعادتك لأن تنمو وتزدهر ..

بعيدًا عن غيوم أنفسهم المكدرة ..

فأنت تستحق ذلك ..

أسامة المسلم

وميض وهج أبيض قوي يخرج من وسط الكتاب

بين يديك ويشع منيرًا المكان حولك . .